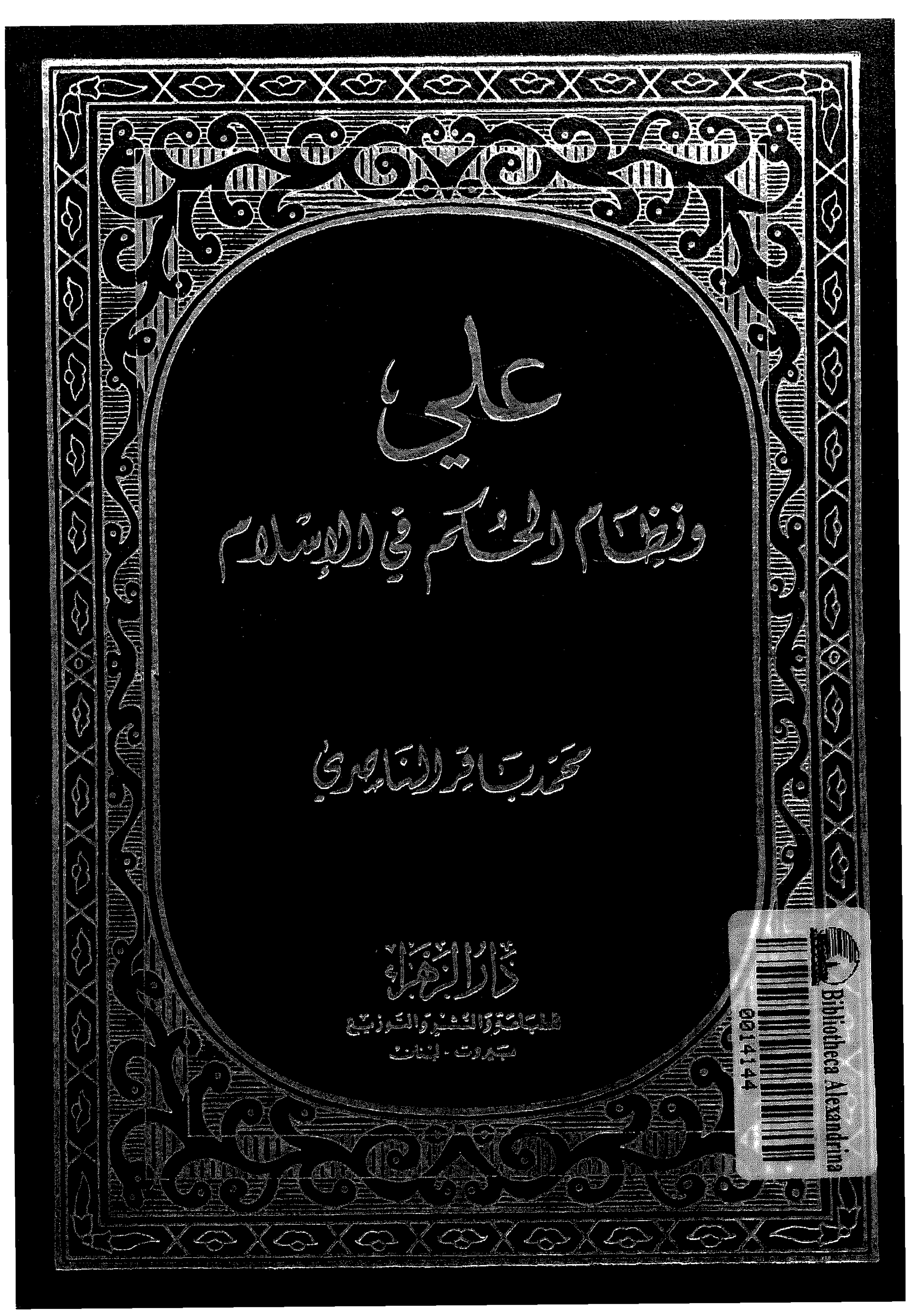

علي
ونظام الحكم في الإسلام
محمد باقر الناصري
دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0014144


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



عليّ
ونظام الحكم في الإسلام

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

محمد باقر الناصري

عليّ
ونظام الحكم في الإسلام

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيروت
ص.ب ٩٢٧٠

دراسـة ، تـاريخيـة ، فكـريـة ، سياسية ، عن أهم مشروع لتقنين مركز القيادة والولايـة في الاسلام على يـد عظيم من روّاد العـدالة الالهية عليّ امير المؤمنين (ع) في عهده لمالك الاشتر رضوان الله عليه حين بعثه والياً على مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل. ان الله نعمّا يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيراً ﴾.

(سورة النساء ـ الآية : ٥٨)

(العدلُ جُنّة واقية ، وجَنّة باقية).

(حديث نبوي شريف)

(فإذا أدت الرعيّة الى الوالي حقّه :وأدى الوالي اليها حقّها، عزّ الحكم بينهم وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل).

(عليّ أمير المؤمنين (ع))



الإهداء

بسمه تعالى

إلى طلائع الجهاد المقدس من شبابنا الرسالي. . .

الى الروائع النظرة ، وجه الصحوة الاسلامية ولسانها المعبّر عن خزين الرسالة وعطائها . . .

اليكم يا شباب الامّة وأملها المرجّى للغد الاسلامي الكبير. . .

اليكم وعبركم الى البشرية المعذبّة. . .

أقدم هذا السفر الخالد. . . النابض بالدفء والحيويّة والعطاء الذي انطلقت به حنجرة الامام العادل، والحاكم الاسلامي النموذجي ، الذي جسّد الشريعة وأحكامها ومثلها ، بأفعاله قبل أقواله حتى سقط شهيد عدالته .

ذلك عليّ أمير المؤمنين ، وحبيب المستضعفين. . .

فلنجعل من هذه التجارب والنصوص الرسالية قدوة ونبراساً ، نترسمها في مسيرتنا الشائكة ، ودرعاً نحتمي به من مضلات الفتن ، وعوادي الزمن ، ونضمن به النجاة « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم ».

محمد باقر الناصري



مقدمة وتعريف

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبرز مظاهر تنامي الوعي الاسلامي المبارك بين المسلمين ، هذا الاقبال المنقطع النظير على كل ما له صلة بالفكر الاسلامي في مختلف الابعاد الفكرية ، والسياسية ، والاخلاقية ، ومناهج التربية والحياة وقواعد الحكم والادارة . . .

وبالأخص منذ بداية القرن الرابع عشر للهجرة النبوية الشريفة ، أي خلال مئة عام خلت ، وتنامي هذا الوعي الاسلامي واطراده وشيوعه ، كان بمقدار انحسار المد الجاهلي ، وثبوت فشل الاطروحات الوضعية في ملأ الفراغ الذي احدثه اقصاء الاسلام عن مجالات الحياة ، وفرض صيغ الكفر والضلال على المجتمع الدولي والاسلامي ، مما هذّب وزاد في تنامي هذا الوعي المبارك .

نعم خلال هذه الحقبة القلقة من تاريخ البشرية والامة الاسلامية ، بما فيها من احداث وحروب دولية وصراعات فكرية ، ويقظة ثقافية حضارية . كان نصيب المسلمين منها كثيراً وهاماً على أيدي روّاد اسلاميين ، وفقهاء رساليين ، وعمق ثقة المسلمين

بضرورة العودة الى دينهم ورسالتهم ، وازداد المسلمون الرساليون تعلقاً وصموداً في مواجهة تيارات الكفر والالحاد ، وفساد الاخلاق والقيم ، وهكذا استمر التيار الاسلامي ينمو ويكبر ويتجذّر ويأخذ أبعاداً كبيرة وهامة كمّاً وكيفاً . . توّجها وفجّرها بركاناً متصاعد الاوار ، اندلاع الثورة الاسلامية ، وبروزها حقيقة واقعة ممثلة بقيام الجمهورية الاسلامية في ايران الاسلام بقيادة مفجّر الثورة وقائدها الامام الخميني أدام الله نصره ، واستجابت ملايين المسلمين ـ في شرق الارض وغربها ـ لصرخة الحق المدوّية في أذن الاجيال ، بضرورة قيام حكومة العدل الالهي في الارض ، وانقاذ البشرية المعذبة من طغيان الاستعمار العالمي والحكومات الكافرة والمنحرفة . . .

ومن أولى أوليّات تحقيق أماني البشرية في السعادة المنشودة ، والحياة الحرة الكريمة هو الرجوع الى الفكر الاسلامي الاصيل ، كتاباً وسنّة ، بعدما ضاقت البشرية من مأساتها بالافكار والفلسفات الجاهلية المادية بجميع أنواعها ومنطلقاتها ، ومنابتها ، وبعدما خسرت البشرية في معاناتها بهذه الفلسفات الجاهلية عبر قرون وقرون ، ملايين الاضاحي من البشر ، ضحايا تلك التجارب المريرة ، المغرقة في الخواء والفشل والخسران ، في الانفس والاموال ، وبعدما أقرّ ادعياء الديانات السالفة ، وأذعنوا للفلسفات الجاهلية والايدولوجيات المادية بشقيها العلمانية والالحادية . وأغروا البشر بالرضوخ لحكومات الجور والفساد ، وبعد مساهمة مراكز القوى الدينية غير الاسلامية في ترويض البشرية لواقع الفصل بين

الدين والسياسة ، والابتعاد عن التفكير والعمل لاقامة حكومة العدل الالهي ، مفترين على الله ورسله وأنبيائه ما يبرّر خضوعهم للكفر والفساد ، تحت شعار (ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر) .

وطبيعي جداً بعد هذا الاغتراب والتشرّد الفكري ، والنهاية المأساوية ، والافلاس الكامل للحضارة المادية ، بكافة أقسامها وصورها ، ومنطلقاتها ، ان يعود الناس الى الدين الاسلامي الحنيف بقية الله في الارض ، ورسالته الخالدة ، ينشدون فيه الخلاص من محنتهم ، والشفاء من امراضهم القاتلة في سائر بدن الكيان البشري ، بإبعاده الفردية والجماعية ، ينشدون منه الهدى والرشاد ويتنسمون من روضه عبير الحرية ويرددون نشيد الخلاص . لتحكيم كتاب الله العظيم ونصوصه الخالدة ، التي لا تبطل ولا تبور . **« كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »** .

وباقتفاء ممارسات الرسول الاعظم (ص) وآله الهداة الميامين ، وصالح الرواد المسلمين من الاولين والاخرين ، وطبيعي وضروري جداً أن يعود الناس الى عطاء بطل الاسلام الخالد الامام علي بن أبي طالب(ع) ليدرسوه وينتهلوا منه ما اتسعت مداركهم من عطائه ونبعه الغني ، الذي تتلمذ فيه على القرآن الكريم باعتباره أول من تلقّى آيات الكتاب العزيز واحكامه من رسول الله (ص) فالامام عليّ خريج مدرسة القرآن الاول ، الذي حمله بوعي وامانة واخلاص فهو (ع) اعلم الناس بمكنونات كتاب الله العظيم ونفائسه ومخزوناته ، وأفقه الناس بما أودع الله من خير وعطاء للبشرية بكتابه الكريم ودستوره الخالد .

فكان ما أخذه (ع) من القرآن الكريم وما تلقاه من دروس عملية ، وأقوال وتطبيقات على يد استاذه العظيم رسول الله محمد (ص) ثروة رسالية خالدة ، كما يقول هو (ع) :

« لقد كنت اتبعه اتباع الفصيل لأمه ، وقد كان يرفع لي في كل يوم . . . » :

« وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره ، وأنا ولدٌ يضمني الى صدره ، ويكنفني في فراشه ، ويمسني جسده ، ويُشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به (ص) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن اخلاق العالم ، ليله ونهاره .

ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثرامه ، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بِحِراء فأراه ولا يراه غيري .

ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الاسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وأنا ثالثهما ـ أرى نور الوحي والرسالة ، وأشمُّ ريح النبوة . . .

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (ص) فقلت : يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ .

فقال : هذا الشيطان قد أيس من عبادته . إنك تسمع ما

اسمع ، وترى ما أرى ، إلا أنك لست بنبي ، ولكنك لوزير وإنك لعلى خير »[1].

فهو تلميذ الرسول (ص) الاول ، ووصيه وخازن علمه ، وثقته في أمته ، وخليفته من بعده ومصداق وصيته الخالدة ، ونصيحته الابوية لجميع البشر ، بذلك النص التاريخي الصريح : « إني مخلف فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» .[1]

هذا بالإضافة الى ما منح الله تعالى علياً أمير المؤمنين (ع) من استعداد غير محدود في فهم روح الاسلام وجوهره بتربيته الفاضلة ، وفطرته المستقيمة ، ونبوغه الفريد ، واخلاصه لله ولرسالته وحبه الجم للبشرية واسعادها ، وكل ما في عليّ (ع) بملفه الضخم من السموّ والرسالية والعبقرية يؤكد هذه الحقائق ويجليّها .

ومن تلك الشواهد والحقائق على عظمه هذا القديس الفذ ، هذه الشرائح البلاغية من خطبه ووصاياه واحكامه . بما في هذه النصوص الكريمة من عمق ونضج ورسالية ، وبما استهدفته من معالجات ذات اصالة ، كانت وما تزال تشكل استجابة رائعة لكثير

---

(١) نهج البلاغة : خطبة ١٩٢ .

(٢) ذكره جل كتاب الحديث .

صحيح البخاري، صحيح مسلم، المستدرك عن الصحيحين للحافظ النيسابوري ج٣ ص١٤٨ ويراجع بالتوسع كتاب الغدير للامين.

من حاجات المجتمع الانساني المعذب واجابة لكثير من اسئلته ، لأمس البشرية المؤلم ، وحاضرها الذي يشهد أعنف أنواع الصراع الحضاري والفكري بين الاسلام عبر صحوة الامة وتطلعها للخلاص من محنتها ، وبين قوى الكفر والفساد والاستكبار الجاهلي بكافة اشكاله ونحله ومصادره . .

كما تشكل هذه النصوص العلوية المباركة صمام الامان لاستمرار توهج الحق وعلوّ كلمة الله وانتصارها في الغد القريب المشرق الباسم ان شاء الله .

فعلي (ع) هو ذلك العملاق الشامخ الذي اعترف بعلمه وفضله وبلاغته القريب والبعيد والعدو والصديق .

فهذا معاوية بن ابي سفيان ألّد أعدائه وأبرز خصومه يقول : والله ما رأيت أحداً يخطب ليس محمد ـ اي غير محمد (ص) ـ أحسن من علي إذا خطب فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره[1] .

وقال الحارث الاعور : والله لقد رأيت علياً ، وانه ليخطب قاعداً كقائم ، ومحارباً كمسالم[2] .

وقال سبط ابن الجوزي : كان علي ينطق بكلام قد حف بالعصمة ، ويتكلم بميزان الحكمة، كلام القى الله عليه المهابة ، فكل من طرق سمعه راقه فهابه ، وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة ، والطلاوة والفصاحة ، ولم تسقط له كلمة ، ولا بارت له

(١ ـ ٢) مصادر نهج البلاغة للسيد عبد الزهراء الحسيني ج١ ص٤٣ .

حجة ، اعجز الناطقين ، وحاز قصب السبق في السابقين[١].

وقال ابن ابي الحديد المعتزلي : واعلم اننا لا يتخالجنا الشك في انه (ع) افصح من كل ناطق بلغة العرب من الاولين والاخرين إلا من كلام الله سبحانه وكلام رسول الله (ص).[٢].

وقالوا : ان عبد الحميد الكاتب ، كان في حداثة سنه معلماً بالكوفة ، وهناك حدث له غرام بتمثل كلام علي بن أبي طالب ، فقيل له ما الذي خرجّك في البلاغة ؟

قال حفظت سبعين خطبة من خطب الاصلع ففاضت ثم فاضت[٣]. . .

يقول السيد عبد الزهراء الحسيني تشرفت ذات يوم بمجلس الامام الفقيد الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء بكربلاء، فجرى ذكر ابي الطيب المتنبي ،واظهر احد الحاضرين اعجابه بحكاياته فقال الشيخ (رحمه الله): أن المتنبي كثيراً ما يصول على حكم الأئمة عليهم السلام ، وخصوصاً حكم امير المؤمنين (ع) فيأخذ معانيها ثم ينظمها في أقواله ، ثم قال رحمه الله : خذ مثلاً المتنبي يقول :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

---

(١) تذكرة الخواص لابن الجوزي.

(٢) شرح النهج ج٢ ص٩٩.

(٣) امراء البيان لمحمد كردعلي ج١ ص٤٥ وشرح النهج لابن ابي الحديد ج١ ص٨.

قال : أخذ هـذا من قول علي (ع) « الـظلم من كوامن النفوس ، القوة تبديه ، والضعف يخفيه »[1].

وبودي أن أختم هذا الفصـل المترامي الاطـراف الذي لا يستوعب بمجلدات فضلاً عن صفحات بنص ادبي رائع لعلم من اعـلام الفكر المتـأخرين وفـارس من فرسـان احياء تـراث أمير المؤمنين (ع) هو المرحوم الشيخ محمد عبده المصري المشهور حيث جاء في أسباب تعلقه بنهج البلاغة وتوجهه لشرحه واخراجها بالطبعة المنسوبة إليه :

وبعد : فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادفة بلا تعمد ، فتصفحت بعض صفحاته ، وتأملت جملاً من عباراته ، فكان يخيل لي في كل مقام أن حروباً نشبت ، وغارات شنت ، وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة ، وأن للأوهام عرامة ، وللريب دعارة ، وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة في عقود النظام وصفوف الانتظام تناضح بالصفيح الابلج ، والقويم الاملج . . . . فما انا إلا والحق منتصر ، والباطل منكسر وصرح الشك في خمود ، وهرج الريب في ركود ، وأن مدبر تلك الدولة ، وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب امير المؤمنين علي ابن أبي طالب . . . .

ويستمر الشيخ محمد عبده في وصف رائع لنهج البلاغة وما جاء فيه من العلوم والحكم والسياسة والامثال ثم يختم ذلك الفصل

---

(١) مصادر النهج ج١ ص٤٧ .

بقوله : ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي (رحمه الله) من كلام سيدنا ومولانا امير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه جمع متفرقه ، وسماه (نهج البلاغة) ولا أعلم اسماً اليق بالدلالة على معناه منه ، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما اتى به صاحب الاختيار(١) . .

ومن اراد التوسع والاستيعاب لما جاء في حق نهج البلاغة فليرجع للموسعات من كتب الحديث والتاريخ ومنها الكتاب القيم والسفر الثمين (مصادر نهج البلاغة واسانيده للعلامة المحقق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب فقد استفدنا كثيراً من هذا الكتاب بالاضافة الى افادتنا من المؤلف مباشرة ـ أدام الله فضله وتوفيقه ـ من ملاحظات قيمة واقتراحات سديدة .

ما هـو العهد ؟ :

هو : نص الوثيقة الاسلامية ، أو ورقة العمـل ـ إن صح التعبير ـ التي زوّد بها أمير المؤمنين عليّ (ع) صاحبه وتلميذه الجليل مالك الاشتر النخعي ، حين ارسله والياً على اقليم مصر وتوابعها ، بعد عودة الخلافة الاسلامية للامام علي (ع) .

وقد روى هذا العهد وصححه جل من روى وصَحح نهج البلاغة وأسانيده ، وزاد بعض المحققين ، كالعلامة السيد عبـد

---

(١) الشيخ محمد عبده في مقدمته لشرحه لنهج البلاغة المطبوع في كثير من البلاد الاسلامية .

الزهراء الحسيني في موسوعته (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) مؤكداً سند هذا العهد بالخصوص ، وان هذا العهد كان مشهوراً ومعروفاً عند أهل البيت (ع) واتباعهم حيث رواه قبل الشريف الرضي - رحمه الله - الشيخ الثقة الجليل أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة المتوفي سنة ٣٣٠ للهجرة في تحف العقول ، كما ان ممن روى العهد قبل الشريف الرضي رضوان الله عليه القاضي النعمان المصري في كتابه دعائم الاسلام ، وهو أقدم من نهج البلاغة .

كما ذكره النجاشي في فهرسه ، حيث تعرّض لسند العهد فقال : اخبرنا ابن ابي الجنيد عن علي بن همام ، عن الحميدي ، عن هارون بن مسلم ، عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الاصبغ .

وذكر الشيخ الطوسي - رحمه الله تعالى - في الفهرست (ص ٦٢) تأكيداً لهذا السند فقال: أخبرنا بالعهد ابن ابي جنيد ، عن محمد بن الحسن ، عن الحميدي عن هارون بن مسلم والحسين بن طريف ، عن الاصبغ بن نباتة ، عن أمير المؤمنين (ع) .

وقد اكتسب هذا العهد اهمية كبرى عبر عمر الاسلام المبارك ، وحظى باهتمام كبار علماء المسلمين ومصلحي الامة ، والمنادين بالعدالة والانسانية . ، لأنه يرسم الخط المستقيم للحكام وولاة الامور ويشخّص اهم المشاكل ، ويتحسس برفق وبصيرة مواطن الالم في جسم البشرية المعذبة ، ويصف لها الدواء الناجع والحل الصائب.

وكل من شخّص أو كتب من بعده (ع) في هذا المضمار ، فإنما عليه تتلمذ أو منه أخذ ، وإلاَّ فلن يوفىّ الامر حقه ، وهذا ما أكده كل من كتب عن العهد ، أو ترجم لرجاله فهذا جورج جرداق ـ المسيحي اللبناني ـ يقول : « فليس من أساس بوثيقة حقوق الانسان التي نشرتها هيئة الامم المتحدة ، إلاَّ ونجد له مثيلاً في دستور ابن أبي طالب ، ثم تجد في دستوره ما يعلو ويزيد ، ثم يعدد الكاتب المسيحي في كتابه (عليّ صوت العدالة الانسانية) عند حديثه عن هذا العهد ، أموراً يمتاز بها العهد العلوي على وثيقة حقوق الانسان ، فيقول : الفرق الاول هو أن الوثيقة الدولية لاعلان حقوق الانسان وضعها الوف من المفكرين ينتمون لمعظم دول الارض ، فيما وضع الدستور العلوي عبقري واحد هو علي بن أبي طالب .

الفرق الثاني : هو أن علي بن أبي طالب سبق واضعي هذه الوثيقة ببضعة عشر قرناً .

الفرق الثالث : هو أن واضعي هذه الوثيقة أو جامعي شروطها ـ والقول أصح ـ قد ملؤا الدنيا عجيجاً فارغاً حول ما صنعوا ، واكثروا من الدعاوى لأنفسهم على صورة ينفر منها الصدق والذوق جميعاً وازعجوا الانسان بمظاهر غرورهم وما اليه ، وحمّلوه الف منّة وألف حمل ثقيل ، فيما تواضع ابن أبي طالب للناس ولرب العالمين ، فلم يستعل ، ولم يستكبر ، بل رجى الله والناس في أن يغفروا له ما عمل وما لم يعمل .

الفرق الرابع والاهم : هو أن معظم هذه الدول المتحدة التي

ساهمت في وثيقة حقوق الانسان واعترفت بها ، هي التي تسلب الانسان حقوقه ، فينتشر جنودها في كل ميدان تمزيقاً لهذه الوثيقة وهدراً لتلك الحقوق[1].

فيما مزّق ابن أبي طالب صور الاستبداد والاستئثار حيث حطت له قدم ، وحيث سمع له قول وحيث تلامع سيفه مع نور الشمس وسوى بها الارض ، ومشى عليها الاقدام ، ثم قضى شهيد

---

(١) وتأكيداً لهذه الحقيقة ، ما نراه من أحوال الشعوب المستضعفة وهي تإنّ تحت ويلات اساطيل وجيوش الاستكبار العالمي التي تنتشر لحماية الظلم وتوطيد أركان الحكومات والحكام الظلمة بل ان كل من له أطماع او مصالح في البلدان المستضعفة ما عليه إلّا أن يحصل على قرار من الامم المتحدة حامية مصالح الاستكبار العالمي ، ليدخل الغزاة الى كل بقعة من بقاع الارض تحت راية الامم المتحدة والمنظمات الدولية الاخرى ، كما جرى في فلسطين وتقسيمها بين الغزاة والصهاينة والحكام العملاء في الدول المجاورة وطرد أهل فلسطين الاصليين . وكذلك في اريتيريا ، والباكستان وقبرص ، ودول افريقية كثيرة ، ورأينا كيف أن دول الاستكبار العالمي قد حققت بواسطة المنظمات الدولية ما عجزت عن تحقيقه بجيوشها وأساطيلها العلنية ، ودخل الاستعمار الى شتى بقاع العالم يعيث فيها فساداً ونهباً واضطهاداً للشعوب تحت راية المنظمات الدولية ، وكما جرى من جرائم الاستكابر العالمي وأساطيله المدمرة في لبنان لحماية الغزو الصهيوني والتستر على جرائمه واصرار الاستكبار العالمي بقيادة امريكا على محاربة الثورة الاسلامية في ايران ، ومحاصرتها واغراء الحكومات العميلة في المنطقة على محاربة الثورة الاسلامية ومحاصرتها واضطهاد شعوب المنطقة المسلمة وفرض الوصاية عليها ، والوقوف بوجه الصحوة الاسلامية ، وحين فشلت كل وسائل الاستكبار العالمي والصهيونية في محاربة الثورة ومحاصرتها فكرياً واعلامياً وسياسياً دخلوا بكل صلف ووقاحة الى الخليج بأساطيلهم واجهزتهم التجسسية .

الدفاع عن حقوق الافراد والجماعات ، بعد أن استشهد في حياته الف مرّة .

ويقول الحجة الراحل السيد هبة الدين الشهرستاني في تقديمه لكتاب (الراعي والرعية) للاستاذ توفيق الفكيكي ، وبعد أن أورد السيد الشهرستاني مصادر العهد ومفاخره مشيراً لشدة اهتمام الامم بهذا العهد ، وتوجههم نحوه بالحفظ والشرح والاطراء . . .

فيقول : لقد عظم اهتمام المجتمع العلمي ، وبالاحرى الوسط الادبي ، بالعهد المعهود من امير المؤمنين علي (ع)، وحق لهم أن يعظموه ويعجبوا به وبما احتواه اعجاباً قل ما اتفق مثله لغيره ، فتداولته الايدي ، وتناولته الاقلام ، وشرحه أولوا العلم الاعلام ، وأوصت به الملوك أمراء جيوشها وحكامها .

ثم ناهيك في عظمة هذا العهد المعهود اهتمام العالم الاوروبي أيضاً بشأنه ، فوق اهتمام الاوساط الشرقية به ، والاستفادة منه ، ومن ناظم نظمه ، ومن مترجم ترجمه ، وكاتب نسخه ، ومن علامة شرحه ومن أديب استظهره .

ولقد كان عهد الامام لمالك موضع العناية منذ اقدم العصور الى اليوم عند الكثير من رجال العلم ، واعلام الادب ، واساتذة القانون ، لذلك تراهم قد تناولوه درساً وبحثاً ، وأوسعوه شرحاً وتعليقاً ، وافردوا فيه المؤلفات او ترجموه الى كثير من اللغات وكنماذج عما كتب عن العهد نذكر منهم :

١ ـ أداب الملوك لرفيع الدين الطباطبائي التبريزي المتوفي في ١٣٢٦هـ .

٢ ـ أساس السياسة في تأسيس الرياسة للشيخ محمد الكجوري الطهراني المتوفي ١٤ شعبان ١٣٥٣هـ.

٣ ـ التحفة السليمانية : للسيد ماجد البحراني المتوفي ١٠٩٧هـ .

٤ ـ الراعي والرعية : لتوفيق الفكيكي المحامي المعاصر طبع خلال الربع قرن الفائت عدة طبعات.

٥ ـ السياسة العلوية : للشيخ عبد الواحد المظفر .

٦ ـ شرح عهد امير المؤمنين : للعلامة محمد باقر الاصفهاني المشهور بالمجلسي المتوفي ١١١١هـ .

٧ ـ شرح عهد امير المؤمنين : للعلامة محمد باقر بن محمد صالح القزويني ، ذكر الشيخ الطهراني في الذريعة انه رأى نسخته المخطوطة في مكتبة السيد نصر الله التقوي في طهران .

٨ ـ شرح عهد امير المؤمنين للميرزا حسن بن السيد علي القزويني المتوفي في ١٣٥٨هـ وهو فصل في كتابه (تاريخ مصر قديماً).

٩ ـ شرح عهد امير المؤمنيني : للميرزا محمد بن سليمان التنكجاني فصل من كتابه (قصص العلماء).

١٠ ـ شرح عهد امير المؤمنين للشيخ هادي القائني البيرجندي فارسي اللغه سنة ١٣٣٣هـ.

١١ ـ فرمان مبارك : شرح للعهد بالفارسية للكاتب جواد فاضل احد شراح نهج البلاغة.

١٢ - نصائح الملوك : للمولى ابي الحسن العاملي صاحب الانساب . . .(١).

هذا بالاضافة الى تعرض كافة شراح النهج لهذا العهد كل حسب طريقته في التوسعة والاختصار كما تعرض جمع من العلماء والكتاب والباحثون الاسلاميون في السنين الاخيرة من هذا القرن وخاصة خلال النصف الاخير منه وبروز الصحوة الاسلامية المباركة فكتبوا في العهد ومنه وحوله الكثير من الكتب والابحاث .

كما نظمه كثير من الشعراء في قديم الزمان وحديثه بما لا يمكن الاحاطة به في مثل هذا الفصل، وسيبقى العهد مثار اعجاب واهتمام كل العلماء والباحثين الاسلاميين وحملة الفكر الاسلامي ، والمناوئين بتحكيم الاسلام ، وقلما نجد كاتباً او مفكراً اسلامياً يتصدى لبحث الحكم والادارة في الاسلام دون أن يشير أو يرجع الى هذا العهد المبارك .

من هو الاشتر :

هو مالك بن الحرث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن خزيمة بن سعد بن مالك بن نخع . كان من زعماء العراق الاشداء ، فارساً صنديداً لا يشق له غبار(١).

من شخصيات التاريخ الاسلامي النادرة ، ومن ابطال الحرب

(أ) باختصار وتصرف عن السيد عبد الزهرا الحسيني في مصادر النهج ج٣ ص٤٢٦ .
(١) السيد الامين في أعيان الشيعة ج٩ ص ٤١ .

البارزين في أيام العرب ، جمع البطولة الى النجدة ، والشجاعة الى الدين ، والفصاحة والبلاغة الى العلم والادب[1].

ولد هذا البطل المشهور قبل الاسلام بقليل ، وقد عاصر النبي (ص) ولكنه لم يره ، ولم يسمع حديثه ،غير أن مالكاً ذكر عند النبي (ص) فقال فيه : « أنه لمؤمن حقاً »[2].

شهد وقعة اليرموك ، وشترت عينه فيها ، وقيل شترت (استرخى جفنها) في حروب الردة مع ابي مسيكة الايادي ، ثم سكن الكوفة[3].

وكان مالك معروفاً بالحلم ، وسداد الرأي والشجاعة ، والجرأة في الله ، وله مواقف تؤكد اتصافه بهذه الصفات كموقفه من تلكؤ أهل الكوفة وتباطؤهم عن اللحوق بعلي (ع) حينما توجه الى البصرة لاخماد التمرد الاول المعروف بحرب الجمل.

بالاضافة الى مواقف الاشتر المتكررة من تمرّد معاوية بن أبي سفيان على الخليفة الشرعي علي امير المؤمنين (ع) وان دلّت تلك المواقف وغيرها انما تدل على صلابة العقيدة ورسوخها عند مالك ، وصدق اللهجة في نقل مشاعر المسملين وتجسيد احكام الاسلام ، ودون وجل أو محاباة او التواء كما هو شأن كثير من الوجهاء والمقربين من الحكام ، فإن اكثر هؤلاء تعوّدوا الرياء ، والمصانعة

---

(١) احمد الجندي في أعيان الشيعة ج٩ ص٤١.
(٢) السيد الامين ـ المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .

وعدم المجاهرية بالحق ، وإبراز ما يجيش في نفوس الامة .

وبسبب دجل مرافقي الحكام ومستشاريهم ، فشلت كثير من القيادات ، وانهارت كثير من السياسات والدول ، ويكفي في بيان أهمية صلابة مالك وصبره على الحق أن نستعرض بعض مواقفه الرسالية الرائعة التي وقفها بوجه ولاة الجور من أمثال سعيد بن العاص الاموي الجاهلي في الرد على مقولته الجاهلية المشهورة حيث كان سعيد والياً على الكوفة من قبل عثمان بن عفان ، وكان جالساً ذات يوم يحدّث من حوله ، بأن السواد (يقصد سواد العراق) بما فيه من مزارع وبساتين إنما هي بستان لقريش وبني أمية. . .

توقف مالك الاشتر حين سمع المقالة ، ورد على سعيد بن العاص : « أتزعم أن السواد الذي أفاء الله على المسلمين بأسيافنا بستان لك ولقومك ؟ » وعلى أثر هذه المواجهة ، وغيرها من المواقف الاسلامية الرائعة نفي مالك الاشتر مع جملة من وجوه الشيعة بأمر عثمان الى الشام ثم ردّوهم الى الكوفة ، ثم نفوا ثانية الى حمص ، واستمر في الشجب لاعمال بني أمية والحكام الظلمة ولقيادة الامة نحو بيعة أمير المؤمنين (ع)، واستمر بصحبته ومن وجوه قوّاده ومعاونيه ، وقد برز مالك في المجال السياسي والعسكري ، وأدرك معاوية خطر الاشتر وصلابته ، ومدى تأثيره في دعم أمير المؤمنين علي (ع)، وتوطيد حكمه وقيادته ، فسعى في دس السم اليه وهو في طريقه لاستلام ولاية الامر في مصر ، خلفاً لمحمد ابن ابي بكر رضوان الله عليه ونفدت مكيدة معاوية ، ومات مالك الاشتر مسموماً في أرض مصر ، ودفن هناك عام ٣٩ للهجرة

وقد سر معاوية بمقتل مالك سروراً عظيماً ، فقال : « كانت لعلي يمينان قطعت أحدهما بصفين ـ يقصد عمار بن ياسر ـ وقطعت الاخرى بمصر ـ ويقصد مالك الاشتر ـ » رضوان الله عليهما .

أما علي عليه السلام فقد بان الألم والحزن والانكسار عليه حين بلغه موت مالك ، وعبّر عن ذلك بكثير من الكلمات التاريخية التي لم يقلها في تأبين غيره : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، اللهم اني احتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر» . .

وقال علي (ع): كان لي مالك كما كنت لرسول الله (ص).
وقال : لله در مالك أما والله ليهدّن موتك عالماً ، وليفرحن عالماً ، على مثل مالك فلتبك البواكي ، وهل موجود كمالك ؟ .

فأنت تراه لما اشتدت فتنة رفع المصاحف بصفين واحاط المنافقون والخوارج بعلي (ع) يطلبون منه ايقاف الحرب وقبول التحكيم ، وكان الاشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على معسكر معاوية ليدخله فاتحاً فجاءته رسل علي (ع) وعاد مرغماً وبعد لجاجة ومحاججة بين الاشتر والخوارج قال فيهم قولته الرسالية الصريحة الجريئة ، مخاطباً أولئك الضالين من الخوارج والمنافقين : « خدعتم والله فانخدعتم ، ودعيتم الى وضع الحرب فأجبتم ، يا أصحاب الجباه السود ، كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا ، وشوقاً الى الله ، فلا أرى فراركم إلاّ الى الدنيا من الموت ، ألا قبحاً يا أشباه النيب الجلالة ،ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمين ».

ومن مفاخر الاشتر ومواقفه التاريخية التي يجب الا تنسى موقفه من صحيفة التحكيم ، فإنه لما كتبت صحيفة التحكيم دعي لها الاشتر ليوقعها فيمن وقعها ، فقال مالك : لا صحبتني يميني ولا نفعني بعدها الشمال ان كتبت لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو على موادعة . وحين اشتكى القوم لعلي (ع) عدم توقيع مالك لصحيفة التحكيم ، جاء الرد الحاسم من علي (ع) حيث اجابهم امير المؤمنيني : « وليت لي منكم مثله اثنين بل ليت لي فيكم مثله واحداً يرى في عدوي مثل رأيه ، إذاً لخفّت عليّ مؤنتكم ، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم . . . » .

وهنا نلمس بجلاء مدى اهتمام الامام علي (ع) بأصحاب العقيدة وقول الحق ، كما نلمس قيمة الاشتر عند علي (ع) وحسرته ان لا يكون لمالك شبيه في المواقف المبدئية .

وللتدليل على مدى اهتمام الامام بمالك الاشتر باعتباره نموذجاً اسلامياً يتصف بكل صفات التقوى والوعي والثبات ، نقرأ ما كتبه علي (ع) في حق مالك وهو اطار رسالي رسمه (ع) لولاة الامور والحكام والقادة : روى فضيل بن خديج ، عن مولى الاشتر ، قال : لما اصيب الاشتر وجدنا في ثقله رسالة علي الى اهل مصر :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من عبد الله علي أمير المؤمنين ، الى النفر المسلمين الذين غضبوا لله إذ عصي في أرضه ، وضرب الجور برواقه على البر

والفاجر ، فلا حق يستراح اليه ، ولا منكر يتناهى عنه ،

سلام عليكم فإني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد ، فقد وجهت اليكم عبداً من عباد الله ،لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الاعداء حذار الدوائر ، أشد على الكفار من حريق النار ، وهو مالك بن الحارث الاشتر أخو مذحج ، فاسمعوا له واطيعوا فإنه سيف من سيوف الله[1] لا نابي الضريبة ،ولا كليل الحد ، فإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، وان امركم ان تنفروا فانفروا ، وان امركم أن تحجموا فاحجموا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلاّ بأمري ، وقد أثرتكم به على نفسي ، لنصيحته وشدة شكيمته ، على عدوه ، عصمكم الله بالحق ، وثبتكم باليقين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[2].

ونحن حين نمعن النظر في هذه الفقرات وغيرها ، ونورد كثيراً مما ورد في حق مالك لحاجتنا والبشرية كافة للتزوّد من تشخصيه (ع) لأهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الوالي والحاكم .

وان هذه الصفات والمؤهلات التي وصفها علي (ع) في مالك الاشتر تبقى ماثلة للعيان تحتاجها البشرية في كل زمان ومكان .

ونحن اليوم أحوج ما نكون لوقفة متأنية أمام هذه الصورة

(١) حقاً أن يكون مالك سيف الله وقد سماه امير المؤمنين (ع) بذلك .
(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٢ ص٣٠.

الاسلامية الرائعة التي ابدعتها ريشة الامام العادل .

وفي رسالة له (ع) يكرم بها مالكاً أيما تكريم حين يكتب الى كبار قادته وأصحابه ، الى زياد بن النضر ، وشريح بن هاني ، حين أمَّر عليهما الاشتر : أما بعد ، فقد أمّرت عليكما وعلى من في حيّزكما مالك بن الحارث الاشتر ، ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ، ولا بطوه عمّا الاسراع اليه احزم ، ولا اسراعه الى ما الابطاء عنه أمثل . . . .[1].

هذا قليل من كثير مما حوته كتب التاريخ والتراجم عن مالك الاشتر حيث ضم ملفه الضخم من المفاخر والمواقف ما لا يسع المجال استيعابها .

فجزاه الله عن الاسلام والحق وأهله خير الجزاء ، ونفعنا الله والأمة الاسلامية بسيرته الرسالية ومواقفه المبدئية . وجزى الله أهل البيت (ع) على تربيتهم الفاضلة للرواد الاوائل ، وهكذا فلتكن التربية والنتاج والمواقف .

ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وفي مثله فليتنافس المتنافسون والحمد لله رب العالمين .

محمد باقر الناصري
١٤١٠هـ .

---

(١) الراعي والرعية لتوفيق الفكيكي وغيره من المصادر .



نص العهد العلوي الشريف
والتعليق عليه

محمد باقر الناصري



بســـم الله الرحمن الرحيم(١)

(١) الابتداء بالبسملة سنّة صالحة ، مصدرها القرآن الكريم ، وهي جزء من كل سورة ، ففيما رواه سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : كان النبي (ص) لا يعلم ختم السورة حتى تنزل « بســـم الله الرحمن الرحيم »(أ).
وفي حديث آخر رواه ابن أبي مليكة عن أم سلمة « أن رسول الله (ص) قرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم »(ب).
وفي حديث ثالث رواه مسعر عن محمد بن قيس عن أبي هريرة قال : كان رسول الله (ص) يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم(ج).
وروي عن أنس بن مالك قال : صلّى معاوية بالمدينة صلاة فجهر فيهـا بالقراءة . فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن « أي الفاتحة » ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة ، فلما سلم ، ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والانصار من كل مكان : يا معاوية أسرقت الصلاة ؟ أم نسيت ؟ فلما صلّى بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم =

(أ) رواه الحاكم في المستدرك عن الصحيحين وصححه على شرط الشيخين .
(ب) المصدر السابق ص٢٣٢ .
(ج) نفس المصدر السابق في نفس الصفحة ـ طبع دار الكاتب العربي .

= للسورة التي بعد أم القرآن ، وكبّر حين هوى ساجداً(د).

إنما أوردنا هذه الاحاديث للتأكيد على جزئية البسملة من كل سورة عند عموم الصحابة والتابعين . أما عند أهل البيت والعلماء السائرين على خطهم ومن تبعهم من صدر الاسلام الى اليوم فإن الاجماع قائم على ذلك . يقول السيد شبّر في تفسيره المختصر : بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة ومن كل سورة باجماعنا ونصوصنا(هـ).

ويقول الطبرسي في مجمع البيان : اتفق اصحابنا انها آية من سورة الحمد ومن كل سورة ، وان من تركها في الصلاة بطلت صلاته سواء كانت فرضاً أو نفلاً ،(و) يعني من تركها عمداً .

ويؤكد الشهيد آية الله السيد قاسم شبّر في كتابه (المؤمنون في القرآن) : أن جزئية البسملة من القرآن يذهب إليها مضافاً لائمتنا (ع) وفقهائنا ، جمع من الصحابة كأبي هريرة ، وابن عباس وابن عمر ، وبعض التابعين ، كسعيد بن جبير ، وعطاء الزهري ، وابن المبارك ، وبعض فقهاء مكة وقرائها ، منهم عاصم والكسائي والشافعي واحمد. . . .

اما الشهيد السيد قطب فيعالج الموضوع من زوايا متعددة ، معتمداً في اعتبار جزئية البسملة من كل سورة على الحشد الهائل من الاحاديث ومذاهب العلماء والقراء في جزئيتها مضيفاً اليها جوانب عرفانية وأدبية رائعة حيث يقول في تفسيره لسورة الفاتحة : تبـدأ السورة ببسم الله الرحمن الرحيم ، ومع الخلاف حول البسـملة . . . فإن الارجح انها آية من سورة الفاتحة ، وبها تحتسب آياتها سبعاً ، والبدأ باسم الله هو الادب الذي أوصى الله نبيه (ص) في أوّل ما نزل من القرآن باتفاق ، وهو قوله تعالى : « إقرا باسم ربك. . . » وهو الذي يتفق مع قاعدة التصوّر الاسلامي(ز) .

(د) المصدر السابق ص٣٣.

(هـ) تفسير شبّر ـ طبع القاهرة وبيروت عند تفسير سورة الفاتحة .

(و) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ج١ ص٨.

(ز) في ظلال القرآن للسيد قطب ص٢١ ج١.

هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين (٢) مـالك بن الحارث الاشتر في عهده اليه ، حين ولّاه مصر ، جباية خراجها ، وجهاد عدوّها ، واستصلاح اهلها وعمارة بلادها .(٣) أمره بتقوى

---

(٢) هذا ما أمر به عبد الله . . هذا من أدب الكتابة عند السلف الصالح من الانبياء والصالحين ، حيث روّضوا انفسهم وأدبوا أتباعهم بأنهم يشرعون فيما يكتبون ويأمرون ويتحدثون بعد البسملة وذكر الله العظيم وبيان عظمته وسلطانه ، معترفين لله بالعبودية والاذعان وانه تعالى هو الحاكم المطلق وهو فوق كل شيء . والنـاس مهما تبـاينت مراتبهم الاجتمـاعية ومسؤوليـاتهم ومهامهم السياسية والعلمية والقيادية فإنهم عبيد لله محكومون له بسلطانه وقدرته . واوامره. وهي سنّة صالحة ، تبرز اهتمام الاسلام بصفة التواضع عامة ، وامام الله وعظمته وقدرته خاصّة. . « لا يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ».
وفي هذا الادب الرسالي دفع لآفة الغرور ، وكسر لشوكة الملك والسلطان ، التي ألفها الناس من الرؤساء والملوك حين يقولون : نحن الخليفة ، ونحن الملك والرئيس. . .

(٣) تقدم الكلام عن نسب الاشتر ومكانته الدينية والاجتماعية والجهادية ، كما أشرنا في بعض فقرات العهد الشريف الى القيمة الفكرية والسياسية والادارية للعهد الشريف وعن ظروف كتابة هذا العهد.
بقي أن نقف وقفة وعي وتبصّر واستيعاب للفقرات الاربعة ونظرة الاسلام والحكومة الاسلامية للحكم والسلطان وكيف ان الامام(ع) اكّد في أوّل فقرات كتاب الاعتماد او منهاج الحكم والادارة الذي يجب ان يعتمده ويهدف اليه كل حاكم ووالٍ ورئيس وقائد .
وان الحكم بنظر الاسلام وسيلة لا غاية . وسيلة لتحقيق حكم الله وعدله وقانونه في الارض ونشر العدالة الاجتماعية عبر نظام يرعى وينظم جميع طبقات المجتمع وشؤونه ومشاكله عبر برنامج عمل منظّم مسيّج بالعلم والعدل وحسن التطبيق .
ولا يوجد مبدأ أو نظام يقرر أسس العدالة الاجتماعية وينظّم الحقوق والواجبات =

= بين الامة والحكم والحاكمين ويرسم الضوابط والحدود ويقرر المسؤوليات كما قررها الاسلام العظيم ، وكما أوضحها ابن الاسلام البار ولسانه الناطق بالحق الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ، خاصة فيما جاء بهذا العهد العلوي الشامل ، حيث يؤكد (ع) ان من أهم مهام الدولة والحاكم هي المهام الاربع :

١ ـ جباية الخراج والضرائب والحقوق المالية التي عيّنها الله للدولة .
٢ ـ جهاد الاعداء والعمل على حماية الامة وتأمين البلاد.
٣ ـ تربية الامة واصلاحها على مختلف الاصعدة .
٤ ـ تعمير البلاد وتنمية الثروات وتوفير العيش الكريم للناس .

أولاً : جباية الضرائب المناسبة مع مدخولات الشعب ، دون ارهاق او تفريط ، وهذه من المشاكل التي عانت منها الحكومات والامم أشد المعاناة وطالما تعرضت حكومات وكيانات الى هزات وحروب ومشاكل ادت في الكثير منها الى تديمر المجتمع وارهاقه بما لا طاقة له به من الضراب او الى افلاس الحكومة وتوقف مشاريعها وعجزها عن اداء التزاماتها تجاه الامة وبرامج الدولة وطموحاتها ، لان المنهاج الاقتصادي للدولة بنى على شفى جرف هار من صنع وفكر الانسان القاصر عن تحديد الاموروإستشراف المستقبل والنتائج ، أو بسبب اسراف الحكم والحاكمين بارهاق الامة ونهب ثرواتها وتبذير اموالها في اللذات والشهوات وفي برامج ومشاريع فاشلة .

فيما بنى النظام الاقتصادي الاسلامي وحددت نسب وسهام الدولة والحكومة من ثروات الامة وأموالها بنظام الهي رشيد صادر من لدن لطيف خبير عادل مؤطراً بالاطر الانسانية والعلمية .

ثانياً : جهاد عدوها : أي عدو البلاد والأمة ، والجهاد قاعدة من قواعد وأسس الاسلام ونظامه لان الجهاد كما هو باب من أبواب الجنة ، فهو مفتاح لسعادة الامة واستقرارها وتوفير الامن والحياة الكريمة المطمئنّة للمجتمع ، وذلك بحفظ الحدود ومطاردة العصاة والمفسدين في الارض ، وتوفير الجو الآمن =

= لنشر الدعوة الاسلامية ، وتعميم خيرها ونظامها للبشرية وتأمين البلاد والعباد بحماية أرواحهم وأموالهم ودفع الاعداء والمفسدين ، وبث الطمأنينة في نفوس المواطنين . . .

والجهاد هو من أهم الوسائل لنشر العدل واقامة حكم الله في الارض ودفع الظلمة والمفسدين وحماية البشرية من تعسفهم ، ولطالما أكد القرآن الكريم في مواطن عديدة على اهمية الجهاد ودوره في تخليص البشرية من ويلات الظلمة والمفسدين في الارض .

ثالثاً : (واستصلاح ارضها) وذلك بنشر الاحكام الاسلامية وتعالميها واخلاقها ، والاكثار من المدارس والمعاهد العلمية ، وتهيئة وسائل الوقاية العامة للشعب من الامراض والاوبئة الاخلاقية ، والصحية واشاعة الامر بالمعروف ، وتوطيد الامن والاستقرار ، وتأديب المتعدين لحدود الله والعابثين بالقيم والاخلاق والمفسدين في الارض وقطع دابر الفساد والتمرد على الاخلاق والقيم .

فإن من أولى مهام الحكام وولاة الامور تربية الامة تربية فاضلة ، وحماية الاخلاق العامة وبناء الانسان الرسالي الملتزم ، وتنظيم المجتمع وضبطه بالضوابط الدينية والاخلاقية والانسانية . هذا كله بالاضافة الى المعنى الاصلي للاستصلاح وهو عمارة الارض وحسن استثمارها بكل ما للكلمة من معنى ، فالارض مصدر الخيرات ومكمن البركات ، كما سيأتي في الفقرة الرابعة .

رابعاً : (وعمارة بلادها) وذلك بشق الانهار وتطهيرها وتنظيم روافد المياه وحصص المناطق والبلدان من تلك المياه بما لا يجحف بحقوق الاخرين في الزيادة او النقصان ، وكذلك بتعبيد الطرق وتأمينها ، ومد الجسور واصلاح الاراضي وحسن استغلالها والتشجيع على استثمار الثروات والمعادن وما أودع الله في الارض من خيرات وموارد باعتبارها من أهم مصادر الثروة الطبيعية وبتحسين حال الامة اقتصادياً وازدهار مواردها ونمو ثرواتها سيعود بالنفع العام على الحكم والحاكمين ويحببهم للامة ويشجع الامة على التعلق بالحكم =

الله ، وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه ، من فرائضه وسننه التي لا يسعد احد إلاّ باتباعها ، ولا يشقى إلاّ مع جحودها واضاعتها[٤]. . . . وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فإنه جل

= والحاكمين والطاعة لهم والدفاع عنهم.

ومن مجموع ما تقدم يحدد علي (ع) معالم العمل السياسي والاداري السليم للولاة والحكام والقادة ، مع ملاحظة الترتيب الناجح في العمل.

فمتى ما حصل الوالي على الاموال من جباية غلاّت الارض وبقية المصادر المالية في الاسلام تمكن الحاكم من جمع الجند وتهيئة العدة والعدد اللازم لنشر الدين والدعوة الى الله وحماية الامة وفرض الاستقرار ونشر الامن والعدل .

ومتى ما أمنت البلاد غائلة الاعداء والمفسدين في الارض بما يملك الحاكم من قوة وجند وعدّة استطاع حينها الحاكم الرسالي العادل أن يهذّب الامة ويربيّها التربية الاسلامية السليمة وبالتالي وسط مثل هذه الاجواء السليمة سيتعاون الجميع لنشر الرسالة وإقامة العدل وترسيخ المثل والاخلاق الاسلامية . .

وذلك مدعاة لعمارة البلاد واسعاد العباد، وان أي اختلال بهذه القواعد والاسس التي أشار اليها الامام علي (ع) بالفقرات الاربع سيربك المشروع الاسلامي ويعرقل مسيرة الحكم الالهي، وهو ما نراه ونحسه من محنة البشرية ومعاناتها رغم توفر كافة مقومات السعادة والاستقرار.

(٤) يمارس علي أمير المؤمنين (ع) عملية تربية القادة والولاة وترويضهم لتحمّل اعباء المسؤولية وكسر جماح نفوسهم التي هي مصدر بلاء البشرية ومكمن الخطر في القيادة بصدق ووعي وانسانية مشيراً (ع) الى اهم مخاطر الحكم والحكام وطرق علاجها ، ففيما يؤكد منهج الاسلام وطريقة القرآن في مخاطبة المؤمنين ودعوتهم الى مزيد من الوعي والتوقي من مرديات الهوى والانسياق وراء الشهوات المؤدية لتجاوز حدود الله أو تعطيل أحكامه. =

اسمه قد تكفّل بنصر من نصره ، واعزاز من اعزّه وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ، ويزعها عند الجمحات ، فإن النفس أمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي[٥]. .

= نراه (ع) يقرن ذلك بربط الناس جميعاً وولاة الامور بصورة أكد بالله سبحانه وايثار طاعته على طاعة غيره ، والاجتهاد بتنفيذ ما أمر به في كتابه من الفرائض والسنن ، معللاً ذلك كله ومبرزاً ضرورة التزام الولاة الكامل بالفرائض والسنن بأن سعادة الامة حاكماً ومحكوماً منوطة باتباعها ، وان الشقاء في الدنيا والآخرة ينتظر كل من يضيع أحكام الله أو ينكرها أو يتجاوزها أو يسيء استعمالها واستغلالها .

وقد تفرّد أمير المؤمنين في تأكيد منهج القرآن في الابتداء بوعظ الحكام وتحذيرهم وانذارهم مشيراً (ع) الى خطر المسؤولية وجسامة المهمة ومضار التهاون وعدم تقوى الحكام والمسؤولين وهذا ما نراه بالعيان حينما تخلف الناس عن العمل بكتاب الله والسير على هدي رسول الله وآله الهداة الميامين وتنكبوا طريق الاسلام المستقيم .

وشاعت في أوساط الحكام والقادة وولاة الامور قلّة التقوى ، والتكبّر عن سماع المواعظ ، وعدم محاسبة النفس والانسياق وراء الشهوات المدمرة ، وتصدّي غير الاكفاء الأتقياء للحكم والزعامة فكان عاقبة ذلك هو شقاء البشرية ودمارها وتعطيل احكام الله وغياب العدل والانصاف والانسانية وصدق الله العظيم حيث قال : « **إن الدين عند الله الاسلام ومن يبتغي غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** » أي من يطبق ويتديّن بغير الاسلام عقيدة وسلوكاً وعملاً ، فلن يقبل منه وسيعود عليه ذلك بالخسران في الدنيا والآخرة.

(٥) وفي رواية اخرى (إلا ما رحم الله). يزعها : أي يمنعها ويردعها عند جموحها وطموحها نحو الشهوات المحرمة واقدامها على الملذّات والمخالفات الشرعية.

وقد قسّم الفلاسفة الاسلاميون النفس بأن لها خمس مراتب باعتبار صفاتها المذكورة في الذكر الحكيم : =

١ ـ الامارة بالسوء : وهي التي تصر في متابعة شهواتها المتحللة من الضوابط والروابط « ان النفس لأمّارة بالسوء إلّا ما رحم ربي » أي الا النفوس المتقيدة بأحكام الله المنضبطة بزواجره واوامره.

٢ ـ النفس اللوّامة : وقد اشير اليها بقوله سبحانه : « ولا أقسم بالنفس اللوّامة. . . » وهي التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان ، وتلوم تقصيرها في التعدّي في الدنيا والاخرة .

٣ ـ المطمئّنة : وهي النفس الآمنة التي لا يستفزّها خوف ولا حزن ، والمطمئنة الى الحق فلا يخالجها شك .

٤ ـ الراضية : وهي التي رضيت بما أوتيت ، أو بما كتب الله وقسم.

٥ ـ المرضيّة : وهي التي رُضي عنها. .[1].

والحديث عن النفس وأقسامها ومراتبها وحقيقتها حديث واسع نختمه بحديث رواه كميل بن زياد رضوان الله عليه عن علي أمير المؤمنين (ع) يغور فيه الى فلسفة النفس ونوع العلائق القائمة بينها وبين البدن وأقسامها من حسّية ونباتية وحيوانية وما فيها من قوى قال كميل : سألت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام :

قلت : أريد أن تعرّفني نفسي ؟ .

قال : يا كميل أي نفس تريد ؟ .

قلت : يا مولاي هل هي إلّا نفس واحدة ؟ .

فقال : يا كميل ، انما هي أربع : النامية النباتية ، والحسية الحيوانية ، والناطقة القدسية ، والكلمة الالهية .

ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصتان ، فالنامية النباتية لها خمس قوى : ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية ، ولها خاصتان : الزيادة والنقصان . وانبعاثها من الكبد ، وهي اشبه الاشياء بنفس الحيوان .

(١) مجمع البحرين للطريحي ج٤ ص١١٤.

ثم اعلم يا مالك اني قد وجّهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك ، من عدل وجور ، وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم .(٦) .

= والحيوانية الحسية : ولها خمس قوى سمع وبصر وشم وذوق ولمس ، ولها خاصتان : الرضا والغضب . وانبعاثها من القلب ، وهي أشبه الاشياء بنفس السباع .

والناطقة القدسية : ولها خمس قوى ، فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة ، وليس لها انبعاث وهي أشبه الاشياء بنفس الملائكة ، ولها خاصتان : النزاهة والحكمة .

والكلمة الالهية : ولها خمس قوى : بقاء في فناء ، ونعيم في شقاء ، وعزّ في ذل ، وفقر في غنى ، وصبر في بلاء . ولها خاصتان : الحلم والكرم ، وهذه التي مبدأها من الله تعالى واليه تعود ، لقوله تعالى « ونفخنا فيه من روحنا » وأما عودها فلقوله تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية »[1].

وهذا الحديث ، رغم عدم الوثوق بسنده وتشكيك المحدثين في صحة نسبته الى عليّ (ع) إلاّ أنه يحوي من لطائف التقسيمات ونفائس المعلومات ما شجعنا على ايراده وختم هذا الفصل به .

وفي هذا الفصل من عهد أمير المؤمنين (ع) يؤكد ويشدد على المسلمين عامة ، وولاة الامور خاصة ، بأنهم في خطر من شهوات النفوس وجماحها ، وان من أسلس لنفسه القيادة ، سارت به في أوعر المسالك ، وأوردته المهالك .

(٦) ما أعمقه من تفكير يغور الى سبر الحقائق ، وتوضيح معالم الطريق السليم ، =

---

(١) سفينة البحار للمحدث الشيخ عباس القمي ج٢ ص٦٠٣ .

وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده ، فليكن احب الذخائر اليك[أ] العمل الصالح ، فأملك

= وان الانسان متى ما أيقن أنه مرصود الحركات من الله ومن الناس ، استشعر ثقل المسؤولية ، واجتهد لأداء الواجب وتحاشى الزلات والهفوات .

بالاضافة الى ما يشير اليه (ع) من أهمية تدارس سير الغابرين وأحوال السالفين الاولين ، وان ذلك يعطي من العظاة والعبر ما يمكن الانسان من أداء واجباته على اكمل الوجوه بعد تشخيصه الخطأ والصواب من خلال وعيه التاريخي لمفردات سلوك من سبقه من ولاة وامراء .

ثم ينبه علي (ع) الناس عامة ، وولاة الامور خاصة ، ان يدركوا خطر المسؤولية ، وضرورة تفهمهم لمشاكل الناس ، وكيف أن الامة ترى الحاكم والوالي والمتنفذ هو القادر على تحقيق حاجات الناس وأمانيها ، وان كل فرد من الامة يطمع في رعاية الوالي له وحل مشاكله وان الوالي مطالب بتفهم مشاكل الناس وآلامهم على ضوء تجاربه وأحاسيسه قبل أن يولَّ عليهم ، وكيف أنه بالامس كان يطمع بعدل الولاة ورعايتهم ولا يرى لهم عذراً في اهمال الصغير والكبير من شؤون البلاد والعباد .

نعم متى ما نظر الولاة والقادة وأصحاب المسؤوليات بمثل هذه العين والبصيرة ، وانتفعوا بمنهج الرسالة الاسلامية والعدالة الالهية المتمثلة بهدى القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة وأقوال المصلحين كامام العدالة وصوتها التاريخي المدوّي علي امير المؤمنين (ع) وتلامذته والسائرين على هدى الاسلام من المصلحين الرساليين ، فانهم سيحققون للبشرية أعظم أمانيها.

وبالعكس تماماً حين يتجاهل الحكام والولاة اوامر الله وهدي رسله وخلفائه ، ويصمّوا آذانهم عن سماع المواعظ ، ولا يعتبرون بسير الماضين ، ولا بصيحات المخلصين ، فانهم سيزدادون بعداً من الله ومن الناس وذلك مدعاة لسخط الله والناس ، وخسارة الدنيا والآخرة .

(أ) وفي رواية (ذخيرة).

هواك ، وشح بنفسك عمّا لا يحلّ لك فإن الشح بالنفس الانصاف منها ، فيما أحبت أو كرهت[٧]. وأشعر قلبك الرحمة للرعية ،

---

(٧) تأكيداً على حق الامة ودورها في بناء الكيان الصالح وضرورة الاصغاء لحكم الامة ورأيها واعتبار ذلك مقياساً لا يستهان به ، لانه يعبّر عن رعاية الله سبحانه ووسائل تسديده لعباده الصالحين وهو صريح بقوله (ع) : « **بما يجري الله لهم على ألسن عباده** » فهو أذن من الله تعالى يجريه على ألسن عباده .

ثم يرسم (ع) منهج النجاح وطريق السلامة بخطوات متناسقة « فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح » حتى لا تغيب الحقيقة في غمرة الاوهام وينشغل الانسان الرسالي عن الاكثار من الاعمال الصالحة وادخارها لوجه الله سبحانه ،ولا يمكن أن يوصف أي عمل بالصلاح ويرجى له النمو والبقاء إلاّ اذا كان محكوماً بالاوامر الالهية والمناهج الرسالية .

ووفق هذه المنهجية الحكيمة في تشخيص البداية الصحيحة فبعد الاكثار من صالح الاعمال تأتي أهمية حماية هذه الاعمال والمحافظة عليها في تسلسل تربوي رائع « فاملك هواك » فإن من أخطر المرديات الهوى والاسترسال في متابعة الشهوات والنزعات النفسية الشريرة ، وطالما حذرت الشريعة من مخاطر اتباع الهوى واعتبر القرآن الكريم ان من سمات التقوى والورع ، ومؤهلات السلامة والنجاة « ونهى النفس عن الهوى » كما جاء في الحديث المشهور ما معناه « واتباع الهوى وطول الامل ».

وخاصة في القادة والزعماء والمتنفذين حيث تكون لهم من الفرص والامكانيات ما يسهل معها تحقيق الاهواء النفسية والسير في خط شهواتها المردية في الرضا والغضب ، ثم يعقب (ع) بتفسير رائع في تحدديد مسار الاهواء ومنطلقات النفوس وضرورة الوقوف الحازم بوجه النفس عمّا لا يحل لها . وحتى لا يساء فهم هذه الضوابط وينقلب الى افراط وتفريط يقول (ع) : « فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احبت أو كرهت » يعني الاستقامة والتزام جانب الحق دون افراط او تفريط .

والمحبة لهم ، واللطف بهم[8]، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً ، تغتنم اكلهم ، فإنهم صنفان : أما أخ لك في الدين أو نظير لك في

---

(٨) ما أعظمك يا صاحب القلب الرحيم ، وانت تسلط الاضواء على قلوب الولاة ، وتدعوهم لاقتلاع جذور الشر والضغينة والحقد ومساوىء الاخلاق . وتحدد لهم المنهج السليم ، والطريق الناجح لامتلاك حب الامة وثقتها .

ومنها أن يشعر الوالي قلبه وجوارحه بوجوب الرحمة والمحبة واللطف بالرعية ليسود الوئام ويعم الاستقرار . والرحمة : من أعظم محاسن الصفات . وبها مدح الله رسوله الكريم والمؤمنين برسالته فقال : « **محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم** » وفي الحديث : « الرحماء يرحمهم الله » وفي حديث آخر : « ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ».

ومن أبرز صفات الله سبحانه وتعالى « الرحمن الرحيم »، والرحمة صفة تميّز الانسان عن الوحوش وتكرمه على أساسها.

وان الاسلام ذهب في تأكيده على الرحمة الى درجة انه حثّ والزم بالرفق والرحمة ليس بالمسلم فحسب ولا بعموم الانسان فقط ، بل ذهب الى آخر ما يتصور من مصاديق الرحمة حيث الزم بالرحمة والرفق واللين بالحيوانات .

وقد سجّل فقهاء الاسلام فصولاً موسعة في أبواب الفقه الاسلامي ، وتتزاحم حقوق الحيوان احياناً مع أقدس الفرائض ، كما اذا كان عند شخص ماء يحتاجه لغسله أو لوضوء صلاته وهناك حيوان تتوقف حياته على هذا الماء ، فان الاسلام الزم المكلف بالعدول الى التيمم وتوفير الماء لحفظ حياة الحيوان العاطش[1] وروي عن النبي (ص) قوله : « ان امرأة دخلت النار في هرّة ربطتها ولم تطعمها حتى ماتت ».

---

(١) يراجع لمزيد التفصيل بهذه المسائل :الكتب الفقهية التي توسعت في بحث الموضوعات كجواهر الكلام والحدائق الناظرة وشروح العروة الوثقى وغيرها. بالاضافة الى الرسائل العلمية . =

الخلق(٩)، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب

= كما حرم الاسلام على الانسان حبس الطير والحيوان الا اذا وفّر له طعامه وشرابه وكان لغرض معقول . هذا بعض رأي الاسلام وقليل من كثير فيما شرع واوصى في الرفق بمخلوقات الله من الحيوانات والبهائم ، فكيف بالرفق والرحمة بالانسان وهو أشرف مخلوقات الله واعزها عليه واكرمها عنده.

وقد سخر الله له كل مخلوقاته ، فيما اعتبرت بعض الاحاديث « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله انفعهم لعياله » وفي تعبير العيال ما يشعر بالتشديد على الرعاية والرحمة.

فكانت تعاليم الرسالة واخلاق الرسول وخلفائه الابرار وما افشوه من عدل وانصاف حافزاً لهم على الرجوع والدخول في الاسلام لما رأوه من العدل العملي فيهم، علماً ان ما جاء من احكام الاسلام لم يجد له الجو الكامل للتطبيق السليم ، خاصة وبعد ان اصبح الاسلام ملكاً عضوضاً خلال الحكمين الاموي والعباسي ومن تبعهم من حكومات الجور والضلال ممن لسنا بصدد بيان احوالهم وما الحقوه بالاسلام والمسلمين من اضرار ونكبات .

(٩) وهنا يتعرّض (ع) لذكر مساوىء صفات الولاة والحكام ، ومنها الجشع واغتنام اموال الناس بالباطل .سواء كان ذلك له شخصياً ، او للدولة والخزينة العامة فان ذلك مرفوض مهما تذرّع الولاة والحكام بحجج واعذار ، وبذلك يؤكد (ع) نهج الاسلام بضرورة مراعاة الوالي للرعية والعدل بهم في الحقوق والواجبات ولزوم ان يكون ميزان الحق ومقياس العدل هو الحاكم في كل الامور .

كما يحذّر (ع) من خطر تصرّف الوالي وفق ميوله وعواطفه فيظلم ويقسو على الناس لأنهم ليسوا من أهل دينه وملّته ، فإن الدين هو الذي يأمر بالعدل ولم يستثن احداً « **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيراً** » ويقول عز اسمه « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذا القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ». =

وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم ، ووالي الامر عليك فوقك ، والله فوق من ولّاك ، وقد استكفاك امرهم ، وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله ، فإنه لا يد لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته(١٠) . .

= وفي الآية الثانية نلمس أمر المولى ليس بالعدل فقط بل بما هو أوسع من العدل والاحسان : تغليب جانب الرحمة والعطف واستعمال اقصى ما يمكن من الاحسان وهذا ما تؤيده كثير من آيات الكتاب العزيز.

ويعلل امير المؤمنين (ع) دعوته الكريمة للعدل بكافة الرعية بالتعليل الانساني المنطقي المعقول فالناس أما أخ لك في الدين والعقيدة والموقف، أو شبيه لك في الخلق والانسانية التي لا يجوز لك ان تتناساها او تتجاوزها، ولكل منهما عليك حق ومسؤولية وقد جسّد الانبياء والرساليون هذا المنهج الالهي في سلوكهم العملي وتعاملهم مع اعدائهم وخصومهم وخاصة الشريعة الاسلامية وحملتها الكرام ، فكان غير المسلمين ينعم بخيرات هذه السيرة المباركة وكانت حافزاً للكثير من الكفار والملاحدة واصحاب الديانات الاخرى وحتى مع أولئك الاعداء الحاقدين المتجاوزين لكل النواميس والاخلاق. حافز الهم على الدخول في الاسلام.

(١٠) يحذر (ع) الناس عامة ، وولاة الامور من الحكام والقضاة خاصة بأن لا يسارعوا بالبطش وانزال العقوبات لأدنى شبهة فإن الناس (يفرط منهم الزلل) أي يسبق منهم الزلل والجهل ، وبذلك يكون الحاكم ملزماً بترجيح جانب العفو على جانب القصاص كلما وجد لذلك سبيلاً ، وفي النص الفقهي « تُدرأ الحدود بالشبهات » أي ترفع الحدود أو تؤجل ما دام هناك مجال أو شبهة تفسر لصالح الجاني ، وشبيه بهذا ما يردده بعضهم : « المتهم بريء حتى تثبت اذانته » « والشبهة تفسر لصالح المتهم » وكلها نصوص تؤكد ضرورة التريث وعدم التسرع بانزال العقوبات .

=

مساوىء صفات الولاة[1]

ولا تندمن على عفو ولا تبجّحن بعقوبة.
ولا تسرعن الى بادرة ، وجدت منها مندوحة ، ولا تقولن أني

= ثم يشير (ع) محذراً الولاة ومذكراً اياهم بانهم كما يطمعون في عفو من فوقهم والصفح عنهم فإن من تحت ايديهم من الرعية يطمعون في عفو الولاة وصفحهم وهذا ما تضمنه الحديث النبوي الشريف « حب لاخيك ما تحب لنفسك ».

ويذكر (ع) ضرورة الرقابة والمحاسبة بين رأس الدولة وبقية العمال والمسؤولين وأنها ضرورة لازمة وعلى فرض انك ايها الوالي تتحايل وتخفي جرائمك فتنجو من رقابة من فوقك باخفاء امرك عليه أو بتقصيره عن مراقبتك ومحاسبتك ، فلا تنس ان الله فوق الجميع ولا تخفى عليه خافية ، فهو سبحانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور. وان مسؤولية الولاة والحكام كبيرة وثقيلة بنيغي أن تكون ماثلة امامهم في كل قول او عمل ، كما يجب على ولاة الامور ان لا يغتروا بما عندهم من اموال واعوان وسعة سلطان فيحاربون الله بنشر منكر أو تعطيل حكم ، أو سعي في الارض بالفساد بقول أو فعل.

---

(١) هذا العنوان وكافة العناوين اللاحقة ليست من نص العهد وانما هي من اختيارنا.

مؤمر أمر فاطاع ، فإن ذلك إدغال في القلبْ ومنهكة للدين وتقربٌ من الغِير ، واذا احدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهة أو مخيلّة فانظر الى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك يطامن اليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ، ويفيء اليك بما عزب عنك من عقلك(١١).

---

(١١) التبجح : الفرح والمباهاة.

البادرة : ما تبدر من المرء من فعل حين الغضب.

إدغال في القلب : اي ادخال للفساد والحقد في القلوب وعدم صفائها.

الغير : التغير والتحول والزوال.

الابهة : العظمة والكبرياء .

المخيلة : العجب والخيلاء .

يطامن : يخفض .

الغرب : الحدّة ، يقال اقطع غرب لسانك اي حدّته .

يفيء : يعيد اليك ما بَعُدَ.

ما عزب : ما غاب عنك من عقلك حين حدّتك وغضبك .

يصف (ع) في هذه الفقرات من العهد بعض آفات الاخلاق ومساوءها ، وخاصة في ولاة الامور وذو الجاه والسلطان حيث يحذرهم (ع) من الوقوع تحت طائلة الغرور والابهة مشيراً لطريق الخلاص منها . وان الانسان اذا تطاولت نفسه ، وارتفع به الغرور بالجاه والمال والسلطان ، فلينظر الى عظمة الله تعالى وعظيم قدرته وسلطانه ، وقدرته على عباده وعجزهم عن دفع الاذى والموت عنهم وتفاهة الانسان وحقارته وضعفه.

فإن العقول السليمة متى ما تفكرت في الموت تطامنت وابتعدت عن الغرور بالمال والسلطان ، وقد ورد في الحديث الشريف : « اكثروا من ذكر الموت فإنه يميت الشهوات » وورد [illegible] (ع) « عجبت لمن يستكبر وأوله نطفة مذرة ، واخره جيفة قذرة » وء كفى [illegible] واعظاً لمن اتعظ ».. =

آفــة التكبّــر

إياك ومسامات الله في عظمته ، والتشبه به في جبروته ، فإن الله يذل كل جبار ، ويهين كل مختال(١٢) .

= أما عن أسباب ذكر امير المؤمنين(ع) كثيراً للموت في كتبه وخطبه فقد توسع العلماء والفلاسفة في بيان علة ذلك فحري بها الدراسة والمراجعة ومنها كتاب احياء الشريعة للشيخ الخالصي رضوان الله عليه وغيره من الكتب والكتّاب .

وروائع قول الشاعر :

يــا مــن بــدنيــاه اشــتــغــل ... قــد غــره طــول الامــل

الــمــوت يــأتــي بــغــتــة ... والــقــبــر صــنــدوق الــعــمــل

(١٢) المساماة : التعالي والتكبر والتشبه بالله تعالى ، وفيها يبين (ع) ان الحكام وولاة الامور أقرب لهذه الهلكة من غيرهم ، مستغلين ما تحت ايديهم من جاه ومال وسلطان ، ويؤكد (ع) على سوء عاقبة التكبر والمتكبرين ، فان الله يذل كل جبار ، ويهين كل مختال : « **ان الله لا يحب كل مختال فخور** » .

ويقول سبحانه في توبيخ المتكبرين وبيان فساد رأيهم وضعف قدرتهم .

﴿ ولا تمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ .

فيما مدح عباده الصالحين المتواضعين وكرّمهم واعلا درجتهم بما اتصفوا به من =

فضيلة الانصاف وحقيقته

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ، ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إلَّا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله ادحض حجته ، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب ، وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فإن الله سميع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد .(١٣).

= التواضع والحنكة وحسن السيرة :
﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ الفرقان : ٦٤.

(١٣) الانصاف : انصف الرجل انصافاً عامله بالعدل والقسط ، والاسم النَصَفَ والنصفة محركتين لانك اعطيته من الحق كما تستحقه لنفسك ، ومنه الحديث الشريف : « خافوا الله حتى تعطوا من أنفسكم النصف » أي الانصاف ، فالانصاف من مصاديق العدل وآثاره ، وفي هذا الفصل يدعو (ع) الى الابتعاد عن ظلم الرعية وعدم انصافهم ، ثم يعدد (ع) أنواع الانصاف ومصاديقه : منها « انصف الله » وذلك بالاعتراف لله بالربوبية والوحدانية ، وبوجوب الالتزام بطاعته واحكامه وبشكر نعمه وآلائه « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (النحل : ١٨) ويريد منا المولى سبحانه شكراً حقيقياً عملياً ، حيث يقول =

= جلّت نعمه : « اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور » (سبأ : ١٣) فإذا نحن مطالبون بالشكر العملي ، لا الشكر اللفظي الفارغ الذي لا ينطلق من إيمان بالواجب.

والشكر العملي واداء حق المولى سبحانه علينا يكون بالالتزام الكامل باوامر الله ونواهيه والسعي في الارض بالصلاح والاصلاح ، والعمل على اقامة حكم الله ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نعم بالشكر العملي لله تعالى تدوم النعم ، وتبرأ الذمم ، وتدفع النقم ، ومن أجلى موارد الظلم عدم انصاف الناس من نفسك بالاعتداء على حقوقهم المادية او المعنوية ومؤاخذتهم ومطالبتهم بأكثر مما عليهم .

والانصاف من النفس : يعني محاسبتها وردعها عن التعدي لحدود الله ، والانتصاف منها لله وللناس فيما احبت أو كرهت.

ومن مصاديق الظلم الفاحش المدمر هو : عدم انصاف الرعية بتمكين الوالي والحاكم اهله وذويه واعوانه وخاصته من التسلط على الناس بالباطل ، واطلاق ايديهم في امتهان الامة واذلالها ونهب خيراتها والتجاوز على حقوقها ، والاستبداد والاستئثار بحقوق الامة وخيراتها.

وهذا من أخطر المشاكل عبر مسيرة البشرية ، ويشكل حجر الزاوية في مشاكل الحكم والادارة والولاية ، وعاملاً من عوامل نشر السخط والبلبلة بين الامة والحكام في كل زمان ومكان وفرصة للاعداء يستغلها اعداء الحكم والحاكمين تؤدي في الكثير من الحالات للعداء بين الامة وولاة امورها ، وفي التاريخ البشري والاسلامي صور وآلام لممارسات من هذا النوع من الظلم وما جرى على البشرية من ربلات ومآسي ومن حروب وفتن وسفك دماء للحكام والمحكومين ، وتتلخص هذه المشكلة بحالتين هامتين :

اولهما : تقديم الحكام لارحامهم واصدقائهم واعوانهم وتمكينهم من مهام الدولة ومناصب الحكم دون مراعاة لكفاءاتهم ومؤهلاتهم ومدى قدراتهم =

. . . .

= واستحقاقهم للنهوض بهذه المسؤوليات والمهام وذلك يضر بالبلاد والعباد من ناحيتين :

١ ـ التجاوز على الاكفاء المؤهلين لاداء هذه المهام واغتصاب حقوقهم ، وهو ظلم مضر بالهيئة العامة وبمصالح البلاد والعباد . وناشر للسخط والتذمر وعدم الاستقرار وهو من اجلى مظاهر الفساد في الارض .

٢ ـ أن تولّي غير الاكفاء سيفسد البلاد ويخربها ، وان الادارة غير الكفوءة ستؤدي بالمجتمع الى الانحراف عن الاستقامة ، وتعطيل احكام الله ، وكلها وسائل تخريب وضعف للامة والمجتمع .

ثانياً : من مخاطر هذا الانحراف هو عدم جريان قوانين العدل الالهي على الارحام والاصدقاء والاعوان بمثل ما يجري على سائر الامة من المحاسبة والمعاقبة . لهذا نجد امير المؤمنين (ع) يؤكد على هذه الناحية ، ويشير لخطرها على الحكم والحاكمين « فإنك إلّا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه . . . » حيث تكفل الله بنصر المظلومين والاقتصاص لهم من ظالميهم « ومن خاصمه الله ادحض حجته » اي ردها وافشلها . وفي هذا المعنى ورد عن أهل البيت (ع) : « إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله » .
كما يشير (ع) الى ان الظالم مهدد بتغيير النعمة وتعجيل النقمة ، « وليس ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم ، فإن الله سميع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد . وجميل قول الشاعر :

تنـام عينـك والمـظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقول الاخر :

اذا كنت في نعمـة فـارعهـا فـان المعـاصي تـزيـل النعم

وفوق كل هذا وذاك فإن الله للظالمين بالمرصاد ، في الدار الآخرة . بما أعدة لهم من أليم العذاب وشدته ، وطول البلاء ومدته .

الوسطية في الامور

وليكن احب الامور اليك أوسطها في الحق ، وأعمها في العدل ، واجمعها لرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة ، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة في الرخاء ، وأقل معونة له في البلاء ، واكره للانصاف واسأل بالالحاف ، وأقل شكراً عند العطاء ، وابطأ عذراً عند المنع ، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة .

وانما عماد الدين ، وجماع المسلمين ، والعدة للاعداء ، العامة من الامة ، فليكن صغوك لهم ، وميلك اليهم[١٤].

---

(١٤)هذه الوسطية المباركة هي من سمات الاسلام العظيم وتشخيصاته الصائبة لمناهج الحياة ، أسس العدالة والعيش السعيد للبشرية ، وقد صرح بها الكتاب العزيز في اكثر من موطن : « **كنتم أمة وسطاً** »، « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط** »...

وحتى لا يساء فهم هذه الوسطية ، فترى وكأنها مذهب مستقل يأخذ جانب الحياد في الصراعات المادية والفكرية ، فيتجاوز الخندقين لاحداث خندق=

= ثالث ، دون النظر الى الحق والباطل منهما وهذا ما يتوهمه بعضهم قديماً وحديثاً ، حين انتهج بعضهم العزلة والابتعاد عن معترك الصراعات الفكرية والعسكرية ، وهذا خطأً فاحش ، وهروب من المسؤولية ، وخذلان للحق واعانة على الباطل وترجيح لكفته.

وانما الوسطية التي اشار لها الكتاب العزيز ، والسنّة النبوية المطهرة ، وأوردها علي (ع) في عهده هنا هي الوسطية في الحق بعد الفراغ من تشخيصه وتسميته ، فيأتي دور الوسطية بين الافراط والتفريط .

وفي هذه الفقرات من عهده (ع) يحدد معالم السيرة الناجحة لولاة الامور ، ويعتمد أفضل الصيغ لحماية العدل ، وجلب رضى الامة ، مشيراً (ع) الى وجود اولويات يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار ، وتراعى عند الحكم والتطبيق .

ومن هذه الاولويات الاعتناء برأي عامة الامة ومتابعة أفضل السبل واكثرها دقة لمعرفة ما يدور في ذهن الامة وآمالها وآلامها، والاجتهاد لتقديم رضا عامة الامة على رضا الخاصة من الاهل والاعوان اذا تعارضا ولم يمكن الجمع بينهما .

ثم يبين (ع) أسباب ومبررات هذا التقديم لمصلحة العامة على مصلحة الخاصة ،ولماذا أن « سخط الخاصة يغتفر مع " العامة » فإن هذه القضية لا بد أن تعلل لان تنفيذها ليس بالامر الهين ، وله مضاره ومشاكله ، فيقول (ع): « لأن عماد الدين ، وجماع المسلمين والعدة للاعداء ، العامة من الامة ».

وبذلك يضع (ع) الحاكم والرئيس التقي العاقل أمام خيار صعب لا يستطيع معه تجاوز هذا التقييم الدقيق او تجاهله وبذلك يشير (ع) إلى أخطر أمراض القادة والحكام ، وهو إيثار الخاصة والتوجه لهم وتحقيق رغباتهم التي هي غالباً ما تكون على حساب الأمة ومصالح العدل والانصاف وان رضا الخاصة لا يجلب رضا العامة ، بل قد يكون في الاغلب مدعاة لسخط العامة ، لانه كثيراً ما يكون على حساب مصالح العامة ، وان الخاصة لا خير في كثير منهم ، الا =

= لأنفسهم وبذلك لا يجلبون للوالي الا المذمة والهلكة ، وفي تفصيل وتعليل رائع لكل هذه السلبيات والمشاكل يقف (ع) بحزم وصرامة بجانب الامة ويدافع عن مصالحها مبيناً أن الخاصة لا يقنعون بالقليل من المغانم والحقوق ويكرهون العدل والانصاف الذي يحد من شهواتهم وملذاتهم ، وعندما يسألون ، يسألون بنهم وبالحاف .

بينما ترى عامة الامة يقنعون بالانصاف ويسألون بأدب وتودد ويقبلون القليل ، ويطرون ويشكرون الكثير ، فيما تكون الخواص من الابناء والأعوان والحواشي رغم ما لهم من الامتيازات من المال والجاه والسلطان ، فهم أقل شكراً ، واكثر نهماً ومطالبة ، بالاضافة الى أنهم أقل معونة للحكم والحاكمين عند البلاء وأضعف صبراً عند ملمات الدهر .

وليس ببعيد عنا تصرف أسر وأعوان الحكام والملوك وفيها حشد من الشواهد على ما قاله أمير المؤمنين (ع) خاصة عند المحن وتسارعهم للهرب والنجاة ، كما فعل أعوان الشاه المقبور وحاشيته ، وحواشي وأعوان كثير من الملوك والرؤساء والذين نسمع عن مشاكلهم ومحنهم ومساوىء حواشيهم وأعوانهم في التاريخ القديم والمعاصر .

كما تأكد أن كثيراً من هذه الحواشي والاعوان حينما تشتد المحن وتتكاثر الاعداء ، يكونون عوناً لاعدائهم على اوليائهم ، حفظاً لأرواحهم ومصالحهم . لهذا قال (ع): « وانما عماد الدين ، وجماع المسلمين ، والعدة للاعداء ، العامة من الامة . . » فهم - أي عامة الامة قليلوا المؤنة كثيروا المعونة ، فلا ينبغي لعاقل أن يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير » .

ونؤكد ما سبق ان ذكرناه ، أنه لا يمنع ذوي التقوى والحكمة ان يجمعوا بين الحقين ، ويؤدوا حق الفئتين ، وان كان ذلك عسير شاق ، إلاّ أنه على حملة الرسالة وتلامذة الهدي الالهي ليس بمستحيل . كما رأينا اصحاب علي (ع) وخواصه وأهل بيته ، رغم خشونة علي (ع) في الله والتزامه الكامل بأحكام الله وعدالته ،فانهم كانوا أسعد الناس به ، واكثرهم حباً له ، وتفانياً من أجله وصدق الله العظيم حيث يقول : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » .

النميمـــة والتجســـس

وليكن أبعد رعيتك منك ، واشنأهم عندك ، اطلبهم لمعايب الناس ، فإنَّ في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها ، فلا تكشف عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك ، والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت ، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك[١٥] .

---

(١٥) تصوير رائع لخطر الوشاة والواشين والنمامين ، وقباحة عملهم ، حيث يأمر علي (ع) المسلمين عامة ، وولاة الامور خاصة بطردهم وذمهم بأبلغ عبارة وأشد تنكيل بعد أن تعجز عن ردعهم بالحكمة والموعظة الحسنة : « وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك اطلبهم لمعايب الناس » فإن اولئك الصنف من اراذل البشر الذين يتملقون للحكام بالنيل من الاخرين ، ويحملون الحكام والقادة على الوقيعة والقطيعة ، اولئك حقاً اخلاء السوء ورفاق الباطل لان « النمام ، ان نم.لك نم عليك » وكفاهم ذماً ومهانة ان ينطبق عليهم قول الله سبحانه : « **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » وهو حكم صريح عليهم بالفسق وسقوط الاعتبار ، مضافاً الى أن الوالي اذا تتبع عيوب الرعية ، لا يصفو له عيش أبداً . صحيح ان من الذنوب ما لا يمكن أن يعفى صاحبها من العقوبة ، ولكن كثيراً من ذنوب الرعية ، الوالي احق واولى بسترها . . . =

.. ..

= وبسترها قد يحمل الجاني على الكف عنها ، وبذلك يتم اصلاحه دون عناء . والتجسس محرم في الاسلام ، بالاضافة الى انه من الصفات المذمومة ، وصاحبها محتقر منبوذ ويؤكد (ع) ان التجسس ليس من مهام الوالي والحاكم بل مسؤوليته كما يقول (ع): « فانما عليك تطهير ما ظهر ، والله يحكم على ما غاب عنك » وهذا التحذير والردع يتجه للمسلمين عامة وللحكام والقضاة والاجهزة الادارية بصورة خاصة في النهي عن التجسس ومتابعة عورات الناس المخفية والتي لا تضر بالهيئة العامة وبحقوق الاخرين .

كما يدعو (ع) الى ضرورة الحزم قبال هذه العاهات والوقوف عند الحدود والصلاحيات المحددة لذلك . والتجسس كما هو معلوم محرم في الشريعة الاسلامية وقد ندد به الكتاب العزيز صريحاً في قوله تعالى : « ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، ايحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » (الحجرات : ١٢) ويقول عز اسمه : « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم » (النور : ١٩) ويروى عن ابي جعفر (ع) قال ، قال رسول الله (ص): « يا معشر من اسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه ، لا تتبعوا عثرات المسلمين ، فان من يتتبع عثرات المسلمين يتتبع الله عثراته . ومن تتبع الله عثراته فضحه » وقال الامام الباقر (ع) قال رسول الله (ص): ان اسرع الخير ثواباً البر ، واسرع الشر عقوبة البغي ، وكفى بالمرء عيباً ان يبصر من الناس ما يعمي عنه ، وان يعيّر الناس بما لا يستطيع تركه ، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه » وفي هذا المعنى وردت ابيات لطيفة :

لسانك لا تذكر به عورة امرىء ... فكلك عورات وللناس السن
وعينك أن أبدت اليك معائباً ... فصنها وقل يا عين للناس أعين

كما ورد في الحث على ستر عورات الناس ما لا يمكن استيعابه في هذا المختصر ، منها ما روي عن رسول الله (ص): « من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة ».

وقال (ص): « لا يرى امرىء من أخيه عورة فيسترها عليه إلاّ دخل الجنة ». =

= وقال (ص): « ان من الخيانة ان تحدّث بسر أخيك ».

كما ذم الله سبحانه ، النمام أشد مذّمة ، واعتبر الله سبحانه النميمة من أولى صفات الذم الموجهة للكفار والمنافقين : « **همّاز مشّاء بنميم ، منّاع للخير معتد اثيم . .** » وقال (ص): « ألا انبؤكم بشراركم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : المشّاؤ ن بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، والباغون للبراء المعايب ».

وروي عن علي (ع) قصة في غاية الروعة وسمو الذات ، وهي أن رجلا اتاه يسعى برجل فردّه (ع) بما خلاصته : يا هذا نحن نسأل عمن قلت ، فان كنت صادقاً مقتناك ، وان كنت كاذباً عاقبناك ، وان شئت أن نقيلك اقلناك قال : أقلني يا أمير المؤمنين .

ومن خلال هذه القصة الرائعة ، او الدرس التربوي الضخم نبصر كيف أن علياً (ع) لم يكتف بمقت النمام وازدراء فعلته ، بل وضعه تحت طائلة المسؤولية والعقاب ، حتى لا يسارع ضعاف النفوس الى النميمة والوشاية دون ان يحسبوا لما يترتب على ذلك من حساب الدقة والضبط والمحاسبة ، بالاضافة الى انها شهادة تطوّعية لا يؤجر عليها صاحبها ، وفي احسن حالات النمام ان ينجو من المسؤولية وفي ذلك تقليص لهذه الصفة الذميمة وحماية للناس من الاغتيال ، وتأديب للحكام والولاة بالورع والدقة وعدم المسارعة بترتيب آثار النميمة ،وكفى ذماً لقبول النميمة وترتيب الآثار عليها أن يتذكر الانسان قوله سبحانه « **فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** »، والولاة والحكام وذوي السلطة مأمورون بان يرجّحوا جانب العفو على غيره ، ما لم يؤدي ذلك الى تعطيل الحدود ، أو تضييع الحقوق ، او يكون مؤشراً على الغفلة والفساد الاداري وغياب الرقابة والمحاسبة ، وخاصة في مصالح الدولة والامة .

وعليه فلا ينبغي أن تتخذ هذه النصوص والوصايا ذريعة لشل فاعلية اجهزة الدولة الامنية المنضبطة بضوابط الشريعة واحكامها ، في جهاز وعيون تقية كفؤة واعية تتسم بالحذر واليقظة من مكائد الكفار والمفسدين في الارض ، ولا بد من التمييز بين الحالتين .

الحقد والبغضاء

أطلق عن الناس عقدة كل حقد ، واقطع عنك سبب كل وتر ، وتغاب عن كل ما لا يصح لك ، ولا تعجلن الى تصديق ساع ، فإن الساعي غاش ، وان تشبه بالناصحين(١٦).

---

(١٦) الحقد : الانطواء على العداوة والبغضاء ، والجمع احقاد ، والحقد من الصفات الذميمة ، وخاصة من الحكام وولاة الامور فانهم مدعوون للابتعاد عن الحقد على الامة .

ويقابله : الحب والعطف واللطف بالرعية ، والعفو عن مسيئهم ، خاصة اذا كان ذلك في سبيل الله ، ورجاء اصلاح الامة وجمع كلمتها .

« واقطع عنك سبب كل وتر » الوِتر : بالكسر الفرد في مقابل الزوج، والوِتر الثأر وقيل في نطقه مفتوحاً او مكسوراً غير ذلك عند أهل اللغة ، ولكن هذا هو المشهور.

ويشير (ع) الى ان هناك افعالاً لا يستطيع الحاكم وولي الامر ان يتخلص من تبعاتها إلا بما يقدمه من الاحسان والعفو واصطناع الجميل عند المحسن والمسيء « والمعروف اينما وضع غلب » كما في الحديث الشريف .

وتعبير « التغابي » غاية في الروعة وضبط النفس والتسامي عن الصغائر وتغابى : اي تغافل أو تشبّه بالغبي الذي هو قليل الفطنة ! وقليل المعرفة وكلها معان =

أهم صفات المستشار

ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً ، يعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الامور . ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور . فإن البخل ، والجبن والحرص ، غرائز شتى ، يجمعها سوء الظن بالله[17] .

= تلتقي وفيها يوصي (ع) بالتغابي عما لا يصح لك اي بالاعراض وعدم الاشتغال ، وان كان بالظهور بمظهر الغباء ، وعدم الفطنة ، ويحتاج ذلك الى ضبط النفس ولجمها ، لما في ذلك من مساويء وآفات تجاوز بعض الامور ، وقد اعتبر علماء الاخلاق ، ان من سعة عقل المرء ومرؤته وتقواه اعراضه عما لا يعنيه او لا يناسبه ، واشتغاله بما يعنيه وما هو مسؤول عنه في الدنيا والاخرة.

ثم يؤكد (ع) ما سبق وأن أشار له في الفصل السابق من ضرورة الورع ، وعدم التعجيل بتصديق النمام ، وما أبلغها وأدقها من كلمة في ذم النميمة والنمام قوله (ع): « فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين ».

(١٧) البخل : الشح في الشيء ، والبخيل خلاف الجواد .

والحرص : شدة الارادة ، والشره الى المطلوب ، وأحسن تعريف هو الجشع .

وفي هذا المقطع من عهده (ع) ينصح الامة كافة والحكام وولاة الامور=

= خاصة ، أنهم اذا احتاجوا الى أهل مشورة وأعوان ، ولا بد لهم من ذلك ، فعليهم ان يختاروا أفاضل الرجال ، وان لا يستعينوا بالاراذل وذوي الصفات المذمومة ، كالبخيل ، فإنه يصرفك عن الفضل ، ويحبب لك البخل ، ويخوّفك عاقبة الكرم والاحسان .

وهذا الذم للبخيل والبخلاء هو امتداد لنهج القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة كقوله سبحانه : « **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ويكتمون ما أتاهم الله من فضله . .** » وقوله تعالى : « **ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله** .(النساء :٣٧) » وقوله تعالى « ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (آل عمران : ١٨٠) وعنه (ص): « **اياكم والشح فإنه اهلك من كان قبلكم ، حملهم على ان سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم** ».

وفي الحديث يشخص (ص) مضار الشح ومفاسده ، وأنه من أسباب دمار الهيئة الاجتماعية وشيوع الانحرافات التي تؤدي الى سفك الدماء ، واستحلال المحرمات كلها بدواعي الشح المقيت . ولمزيد من التنديد بالبخل والبخلاء نسمعه (ص) حيث يصف البخيل بالبعيد عن الله وعن الجنة : « **البخيل بعيد عن الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة قريب من النار ، وجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل** » وفي حديث آخر يطمّن (ص) المنفقين في سبيل الله بالقبول والعوض فقد روي : أنه ما من صباح إلاّ وقد وكل الله تعالى ملكين يناديان : اللهم اجعل لكل ممسك تلفاً ، ولكل منفق خلفاً).

ولعلي (ع) وصف رائع لصفة البخل وخسار البخلاء : « **عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ، ويترك الغنى الذي اياه طلب ، يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء. . .** ».

ويقابل خصلة البخل المذمومة وما ورد فيها من الكتاب والسنّة ، صفة أخرى من صفات الانسان وهي من محاسن الصفات « صفة السخاء والكرم » وكم ورد فيها من التكريم والاطراء في الكتاب والسنّة ، يقول سبحانه : « **مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة** =

= مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله سميع عليم » (البقرة : الآية٢٦١) ويقول سبحانه :« ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » (الحشر : ٩) ويقول (ص): « ان موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام ». ويقول (ص): « ان السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار ».

وفي جو هذه التعاليم والوصايا الكريمة يؤكد الاسلام على حقيقة هامة وهي الاستقامة وحسن التصرف ، والابتعاد عن الافراط والتفريط : « فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم. . .»(الشورى : ١٥) .

ويستمر علي (ع) في رفد مسيرة الامة بوصاياه الحكيمة حيث يؤكد في النهي عن مصاحبة الجبان واستشارته ، لان الجبان يزيد الامور تعقيداً بمقياسه ، ويهوّل الحقير من الامور ويثبط العزائم ، ويميت الهمم ، ويفوت الفرص للنصر واحقاق الحق .

قال (ص): « لا ينبغي لمسلم ان يكون بخيلاً ، ولا جباناً » وهذا في ولاة الامور من احط الصفات واخطر العاهات . كما يوصي علي (ع) بالبعد عن مصاحبة الحريص واستشارته حيث ان الحريص لا يتذوق من الحياة غير الشره والجشع وبذلك يزين للولاة والحكام الجشع ونهب اموال الناس بالجور وجمعه من غير حله ، وامساكه عن اهله ومحله ، وما اعظمها كلمة يختم بها امير المؤمنين هذا الفصل من عهده حيث يقول : « فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى ، يجمعها سوء الظن بالله ».

لان اللجوء الى هذه الوسائل الخسيسة يكشف عن عدم ايمان الانسان ايماناً حقيقياً بالله سبحانه ، وانه « هو الرزاق ذو القوة المتين » وان الرزق لا يجلبه حرص الحريص ولا يدفعه او يفنيه كرم الكريم . وكذلك الجبن فإن الموت والحياة بيد الله سبحانه وحده ، وكم من جبان مات حتف انفه ، وصريع جبنه وخوفه ، فيما عاش الابطال الشجعان الذين خاضوا غمرات الحروب واستبسلوا في اخطر اللحظات والمواقف.

اختيار الوزراء والاعوان

أن شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيراً ، ومن شركهم في الأثام ، فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الأثمة ، واخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه اصارهم واوزارهم وآثامهم ، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على اثمه ، اولئك أخف عليك مؤونة واحسن لك معونة ، واحنى عليك عطفاً ، واقل لغيرك إلفاً فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك، وحفلاتك(١٨).

---

(١٨) الجهاز الوظيفي مرفق هام ، ودعامة ضرورية من دعائم الدولة لا يمكن الاستغناء عنها وقد شكل بناء هذا الجهاز الاداري معضلة ومشكلة على مر التاريخ مما سبب ان يقف عنده العلماء والباحثون والفلاسفة وقفة طويلة استبطنت كثيراً من القلق واطالة التفكير ، وأتعبوا انفسهم في معالجة سلبيات هذا الجهاز ومخاطره على الحكم والحاكمين والامة ، من خلال ما يتأتى عن ضعفه وسوء اختيار افراده وفسادهم وخاصة قمة الجهاز ورؤسه المؤثرة كالوزراء والمستشارين فإنهم وجه الدولة وهويتها ، فلا بد من حسن انتقائهم واختيارهم من الاكفاء الصالحين ، ممن لم يلوّثوا بمعاونة الظلمة .

لهذا ينهى علي (ع) عن استيزار من كان للاشرار وزيراً ، وخاصة منهم من شارك في أثم أو أعان في ظلم ، فإياك واتخاذهم بطانة ، فإنهم قلما =

ثم ليكن أثرهم عندك أقو لهم بمر الحق لك ، واقلهم مساعدة فيما يكون منك ، مما كره الله لأوليائه ، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع ، والصق بأهل الورع والصدق ، ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدنى من الغرور[أ](١٩).

= يخلصوا ، وهذا ما اثبتته الايام عبر التاريخ ، وكان ذلك عاملاً من عوامل الانحراف عن العدل وتكريس وحماية الظلم والفساد وبالتالي شيوع التذمر بين أوساط الامة من الدولة واجهزتها ، ولا شك ان ذلك التذمر والكراهية سيؤدي لزعزعة الدولة وسقوطها وزوالها .

وعلى فرض صلاح هؤلاء الوزراء والاعوان من بقايا الحكومات السابقة ، فإن الناس لا يركنون اليهم ، ويرون فيهم مثل الانتهازي المتلون ، وذلك يجر الطعن على الدولة والحاكم ، ويشجع الخصوم على التشهير بالدولة .

ثم يوصي الحاكم والوالي بأن يطلب ويختار وزراءاً وأعواناً « ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على اثمه »، وله من محاسن الصفات وسلامة الماضي ونقائه .

(١٩) يؤكد علي (ع) على الوالي والامة بالتزام قول الحق ، والابتعاد عن النفاق والدجل والمحاباة . وهي آفات الندماء والوزراء ، فينبغي على الحاكم والرئيس ان يجتهد في اختيار ندمائه ووزرائه واعوانه ، ممن عرفوا بالورع عن محارم الله وصدق اللهجة. . .

وعلى الوالي ان يشعر اعوانه ومستشاريه وندماءه ويبلغهم صريحاً بانه لا يرضى منهم غير الحق . =

(أ) وفي نسخة (من العزة).

العدل وتكريم المحسن

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك تزهيداً لاهل الإحسان في الاحسان ، وتدريباً لاهل الاساءة على الاساءة . والزم كلاً منهم ما ألزم نفسه واعلم انه ليس من شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم ، وتخفيفه

= « ثم رضهم » أي روّضهم ودربهم وعودهم بأن لا يثنوا عليك عند قيامك بعمل مخالف للحق والعدل ، وان لا يمدحوك بما لم تفعل ، او ينسبوا حسنات غيرك اليك وهذا ما نالت منه البشرية أعظم الغصص والكوارث فينبغي للوزراء والاعوان والمستشارين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ان لا يبطؤوا عن قول الحق ، ولا يسكتوا على باطل ، كما هو شأن اخلاء السوء وندماء الظلمة ، فإن كثرة الاطراء والمدح تحدث الزهو عند الحاكم ، وتدني من العزة الآثمة الباطلة ، وتخفي الحقيقة وتساعد على انتشار الظلم والجور والفساد في الارض ، وتعطّل اقامة حكم الله وتنفيذ شرائعه .

وهذا مما سبب هلكة كثير من الحكام وولاة الامور ، فانهم يأنسون بكثرة مديح خاصتهم وندمائهم ، ويهملون امر الامة ، بل ويساعد وجود بطانة السوء على خفاء الحقائق وخفوت صوت الحق والعدل والنصيحة وصدق الله العظيم حيث قال : **« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً »** (سورة آل عمران ـ الآية : ١١٨).

المؤونات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم ، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً ، وأن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده ، وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده[٢٠] .

---

(٢٠) الانصاف معلم من معالم العدل ، وهو فضيلة اسلامية وانسانية ، تسهم في نشر العدل في المجتمع ، وشيوع الثقة والحب بين الامة وولاة امورها .

لهذا ندرك سر اهتمام الاسلام وحملته بالدعوة للانصاف ، وان لا يعامل المحسن كالمسيء لما في ذلك من تزهيد أهل الاحسان بالاحسان ، وعدم تشجيع غيرهم على الاحسان ، كما ان تلك الحالة تساهم في عدم نفور المسلمين من اساءته ولا تشجع على الاقلاع عن المنكرات .

بالاضافة الى أنه ليس من العدل ولا من الانصاف عد المسيء كالمحسن ولا الجبان كالشجاع ولا الكسول كالمجد ، ولا الجاهل كالعالم . . وذلك مضر بالدين والامة والبلاد ، وان ذلك من مصائب الدهر على كل كريم ، وهو من قواصم الظهر على الحكام وولاة الامور وحسبنا قول الله سبحانه : **« قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور »** (سورة الرعد ـ الآية (١٦) وقوله تعالى : **« أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون »** (سورة الجاثية : آية٢١ .) .

وما هذه الفوضى الضاربة اطنابها في مختلف جوانب الحياة في العالم وتصدّر الاذناب واللئام والفسقة إلّا لوناً من ضياع المقاييس التي تنمو في غياب الحكم الالهي والعدل الالهي من الارض وشيوع حكم الطاغوت ، لذا نجد حرص الامام علي (ع) شديداً ومتلاحقاً في التحذير من مغبة عدم الانصاف وما يجره على البلاد والعباد ، ثم يرسم (ع) أدق المقاييس التي يستطيع الحاكم وولي =

وجوب المحافظة على السنن الصالحة مهما كان مصدرها

ولا تنقضن سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة ، واجتمعت بها الإلفة ، وصلحت عليها الرعية ، ولا تحدثن سنّة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها ، والوزر عليك بما نقضته منها(٢١).

= الامر ان يمتحن بها اصحابه ووزراءه ، ويكشف بها مدى تقبلهم للانصاف والعدالة ومع كل هذا التحذير فإنه (ع) يوصي بعد تطبيق العدل واشاعة الانصاف ، وحماية حقوق الاخرين ، فلا بأس من مزيد الفضل والاحسان ، والتخفيف على الاقربين من اهل واعوان بما لا يخل بموازين العدل والاحكام الشرعية .

كما يوصي (ع) بمزيد من حسن الظن والعفو والصفح ، بما لا يعين على اشاعة البدع والضلالات والانحرافات وطالما يكرر (ع) ويؤكد على الحكام وولاة الامر بضرورة التخفيف عن الامة وان لا يرهقوا الناس بما لا طاقة لهم به ، مما يحملهم على التمرد والمخالفة ، بل لا بد من مراعاة طاقات الامة وامكاناتها في المهام والواجبات ضمن سعة الشريعة وسماحتها ، فان ذلك ادعى للطاعة واشاعة السلام والوئام ، وهو عامل مهم من عوامل اخلاص الامة لولاة امورها والتفافها حول الحكم والحاكمين.

(٢١) نلمس حرص أمير المؤمنين (ع) على المصحلة العامة واهتمامه بمعالجة =

= بعض الظواهر المألوفة في أوساط بعض الحكام والولاة كنزعة الاحداث والابداع ، وطمس معالم السابقين من الحكومات والحاكمين ، وان ذلك من أمراض الولاة والحكام عبر مسيرة البشرية ويتكرر على مسارحها في كل زمان ومكان ، وانهم كلما استجد حكم أو حاكم سعى لطمس معالم من سبقه وازالة اثاره وانتقاصها ، بغض النظر عن صلاحها وفسادها ، وكل عيبها انها سنّة من سبقه ، وانها من أثار العهد المباد. . .

مع ان من الامور والسنن ما فيه صلاح الامة وإلفتها ، ثم يجتهد الولاة والحكام في استحداث امور ومشاريع وسنن ، قد تكون عديمة الفائدة ، أو مضرة بالامة والبلاد ، تحقيقاً للنزعة الذاتية ، وحب الخلود والتباهي وتسمية المشاريع والمؤسسات باسماء الحكام والقادة الجدد وهذا كله من ضعف الوازع الديني ، ومن شيوع المفاهيم الجاهلية ، التي نهى عنها الاسلام وحاربها حملة الشريعة الابرار عبر التاريخ .

والحق ان يكون نظر الحاكم والحاكمين لمن كان قبلهم من حكام وسنن وعادات ومؤسسات بمقياس العدل والانصاف وتأكيد السنن الصالحة ، وصدق الله العظيم حيث يقول « **ولا يجرمنكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى** » وعلى الحكم والحاكمين الجدد ان يتصرفوا بوحي من أدب الله وان يعملوا بداعي مصحلة البلاد والعباد فلا ينقضوا شيئاً ، ولا يقيموا غيره ، الا اذا كان فيه لله رضىً وللناس صلاح .

والتغيير الذي استهدفته الرسالات والرسل انما استهدفت ازالة معالم الكفر والضلال وسنن الجور والفساد والاخلاق والعادات الرديئة ، على ان يشخص ذلك بمنظور اسلامي عادل ، كما نلمس من سيرة الرسول الاعظم محمد (ص) فيما نقضه من العادات والسنن التي وجدها في المجتمع ، وفيما اقر واستحسن منها ، او تركها في جو الاباحة العامة .

وهذا الحج واركانه وكثير من معالمه ومناسكه ومواقيته ، لم يحدثنا التاريخ بأن رسول الله (ص) فكر او تحدث بتغييرها ، بل حدثنا التاريخ ان رسول =

صحبة العلماء

واكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك[٢٢].

= الله (ص) حينما شرّف المدينة واقام دولته الكبرى ، وبرزت الحاجة في المجتمع الى وجود قوة او عمل جماعي للسهر على أمن البلاد وتأمين الاستقرار في المجتمع ، والمسلمون بعد في بدايات كيانهم الاداري ، وظهرت بعض التجاوزات والاخلال بالامن من اليهود والمنافقين ، قال رسول الله (ص) قولته المشهورة : « ليت لي حلفاً كحلف الفضول » مشيراً الى تجمع انساني تآلف في مكة لردع المنكرات والتجاوزات ولنصرة المستضعفين والفقراء من تجاوزات الطواغيت والمفسدين ونهبهم لأموال الناس أو تجاوزهم على الحريات والدماء.

وما أحسن الحكام والولاة الذين يجدون امامهم اعمالاً ان يقيسوها بهذا المقياس ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، فإن ذلك ادعى لدوام سلطانهم ، ودحر اعدائهم والانتفاع من حسنات وجهود الماضين ، مع العلم ان اعتداءهم على آثار وسنن من سبقهم سيفتح باب التجاوز واعتداء غيرهم عليهم من بعدهم ، وطمس معالمهم ، وتشويه منجزاتهم وهو باب لا تحمد عقباه ، وضرر بالغ بالبشرية ، وهدر كبير للاوقات والاموال ، بالاضافة الى حساب الله وعقاب اجارنا الله واياكم من عدم الانصاف .

(٢٢) مدارسة العلماء : من الدرس او التدريس او التدارس ، وهو التقابل والمناقشة للوصول الى اعماق الحقائق واستخلاص اصلح النتائج . =

= والمناقشة هي الاستقصاء في الامر والحساب ، يقال ناقشه مناقشة اذا استقصى في حسابه ، والعلماء هم مفاتيح كنوز العلم والمعرفة ، وطريق العلم اسلم الطرق وأوصلها للحق والخير.

وقد ورد عن اهل البيت (ع): « **جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك** »، وقيمة العلم والعلماء في الاسلام قمة في القيم والمرجحات وذلك واضح من خلال كثير من آيات الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، يقول سبحان : « **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب** » (الزمر : ٩) ويقول عز اسمه : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات** »(المجادلة : ١١) وفي الحديث : « **عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين عابد** » أي أفضل من العابد الجاهل.

والعلماء المعنيون بهذا التكريم من الله ورسوله ، هم اولئك الذين جسدوا العلم الى عمل ، وكرسوا حياتهم للعلوم النافعة للبشرية ، الموصلة لرضى الله سبحانه ، وصلاح البلاد والعباد ، الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويجاهرون بالحق ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، لان ذلك ديناً في أعناقهم لله والبشرية ، وامانة من الله سبحانه عندهم يجب الوفاء به ، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (ع) في موضع آخر من خطبه : « **وما أخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم** » ومن خلال فقرات العهد يؤكد علي (ع) الى ان الحكام وولاة الامور مهما بلغ بهم النضج والمعرفة وسعة الاطلاع ، فهم بحاجة الى مستشارين وخبراء يرجع اليهم في تداول امور البلاد والعباد ولا خير في المستشارين للحكام ولا للمحكومين الا اذا كان المستشارون أهل علم وتقوى وسداد رأي ، فالعلم بلا تقوى ضرره اكبر من نفعه ، يسير مع الشهوات ، فيحسن القبيح ، ويحلل الحرام ، ويغري بالجهل والظلم والفساد ، كما ان التقوى بلا علم لا يجلب الخير ، ولا يحقق الغرض السامي من المشورة لان أهم اهداف الاستشارة هي الانتفاع بالعلم والخبرة والتجربة ، والتقي الجاهل لا يؤمن العثرة ويقول ما ليس له به علم ، =

العلائق بين طبقات المجتمع

واعلم ان الرعية طبقات لا يصح بعضها الا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ، فمنها جنود الله ، ومنها كتّاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الانصاف والرفق(٢٣).

= ومعلوم مدى ضرر وفساد هذه العثرات ، فلا بد اذن للحكام والولاة من اللصوق والارتباط بعلماء حكماء اتقياء يرجعون الى مشورتهم في الامور.

وتبرز وتتجلى عبقرية أمير المؤمنين (ع) واخلاصه للبشرية حين يعمد لوضع منهاج تربوي اخلاقي لمهام المستشارين وواجباتهم الاساسية من ضرورة العمل على ما يصلح امر البلاد والعباد ، ويرسم الطريق لبناء واعداد المستشارين باعتبارهم جزءً هاماً من كيان الدولة السياسي والاداري ، فيفترض فيهم التسلح بقراءة تاريخ الامم والشعوب واستقصاء اخبارها واثارها ، واحوال الحكام والقادة ، برهم وفاجرهم ، وما آلت اليه امورهم واستخلاص العبر والدروس من حياتهم ، والانتفاع بالسنن الصالحة ، والسير الناجحة ، وتأشير نقاط الضعف والقوة ، والتحرك لتطبيق الصالح من تلك السير ولهذا يقول (ع): « واقامة ما استقام به الناس قبلك » وكأنه (ع) بتشخيصه الواعي ، ومتابعته الجادة يضع منهاج معهد رسالي عال لاعداد وتخريج المستشارين الاكفاء الصالحين.

(٢٣) لعل هذا النص المبارك في تقسيم طبقات المجتمع وتحديد معالم هذه الطبقات وصفاتها ومهامها ونوع العلاقة فيما بينها ، هو اول بحث اسلامي يقف =

= عليه القاريء عند قراءته للنصوص الاسلامية ، يتوسع فيه البحث الى هذا التفصيل الرائع الذي يكشف عن مخزون من العلم والمعرفة وسعة الافق ، كما انه وبحق اول بحث يتناول علم الاجتماع بمعناه الحديث ويتبسط فيه بالحديث فيما ورثته البشرية من تراث علمي في المجتمع البشري .

ويؤسفنا ان يمتد ويتطاول جهل الامة ولجاجة بعض كتابها فلا تسجل هذا السبق لعلي (ع) الذي هو في الواقع سبق للاسلام فيعتبر كثير من الكتاب والباحثين ان أقدم من ألّف بهذا العلم ـ أي علم الاجتماع وطبقات المجتمع ـ اول من ألّف فيه باللغة العربية هو ابن خلدون في مقدمته ، وقد اعتبره بعضهم اول استاذ كتب وبحث في موضوعاته في الشرق ، كما ان الفيلسوف الفرنسي « كونت » اول من صاغ عنوان علم الاجتماع في الغرب عام ١٨٣٩م وحدد موضوعه بدراسة الفرد من حيث تركيبه الفسيولوجي والعضوي وانفعالاته النفسية وملكاته الذهنية باعتبار انه الوحدة التي يتألف منها المجتمع[١].

فيما تؤكد الحقائق ويرد في مقدمتها هذا النص العلوي الكريم ، ونسمع فيه هذا التقسيم الرائع ، حيث لم تصل البشرية لحد اليوم ولن تصل لدراسة علم المجتمع بمثل ما وصل اليه علي امير المؤمنيني(ع)، واذا كان لكاتب اسلامي او غيره من المواضيع والتقسيمات والدراسات الاجتماعية ، فإنما هم عيال وتلامذة لعبقرية امير المؤمنين (ع) ومنه انتهلوا .

وهذه الدراسة دليل على تحليق امير المؤمنين (ع) في كافة الفنون والعلوم ، واحاطته بما لم يحط به غيره بعد رسول الله (ص)، وكيف أن نظام البشرية قائم على تعاون فئاتها ولا يصلح بعضها إلا بصلاح الجميع .

كما أن فساد بعضها يعرقل صلاح الجميع ، ويكدر صفوها ولا طاقة لفئة من فئات البشر وطبقة من طبقاته الهامة التي أشار لها أمير المؤمنين(ع) بالاستغناء عن بقية الفئات ، ولاهمية هذا الموضوع نراه(ع) قد توسع في الكلام حوله وافرد لكل قسم وطبقة من طبقات المجتمع فصلاً حدد فيه ما له وما عليه . مشيراً

(١) المقدمة في الاجتماع لعبد الفتاح ابراهيم.

....

= الى اب هذا التقسيم لطبقات المجتمع وتشخيص مسار البشرية على ضوئه ، مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله وانه عهد وامانة في اعناق ولاة الامور ، واجب عليهم حفظه ومراعاته والعمل بموجبه .

واعتبر (ع) هذا الفصل من العهد بمثابة الفهرس لبحوث قادمة ، سجل فيها علي (ع) أروع البحوث في السياسة والاقتصاد ، جسد فيها رأي الاسلام في أهم المشاكل التي تعاني منها البشرية ووضع لها صلوات الله وسلامه عليه انجح الحلول لو أتبعها الناس لعاشوا في سعادة ورخاء موصولاً بالسعادة الاخروية .

وهو تأكيد وتجسيد حقيقي لمعنى : « ان الانسان مدني بالطبع »، فمعنى مدنيته هو الترابط والتعاون بين طبقات المجتمع البشري .

ويمكن اعتبار أهم الشرائح الاجتماعية هي التي أشار اليها (ع):

١ ـ (فمنها جنود الله): الجيش والقوات المسلحة وواضح نسبتها الى الله ، فهم جند الله المنفذون لاوامر الله ونواهيه ، وليسوا جند السلطان وقوة الظالم ، وليس لهم ان يعتبروا انفسهم جند السلطان وسوطه يتحركون كما يريد ، بل كما يريد الله « ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ».

٢ ـ (ومنها كتّاب العامة والخاصة): وهم الوزراء والمدراء العامون والمسؤولون ورؤساء الوحدات الادارية وغيرها .

٣ ـ (ومنها قضاة العدل) : وهم الحكام والقضاة وكافة تشكيلاتهم الادارية والتنفيذية وواضح معنى وصفهم بقضاة العدل لبيان ان لا بقاء للقضاء والقضاة الا باتصافهم بالعدل قولاً وعملاً ، فاذا غاب العدل ، فانما هم جلاوزة الظلم والفساد ، وسوط الظالم واعوانه وضررهم حينها اكبر من نفعهم .

٤ ـ (ومنها عمال الانصاف والرفق) : وفي ذلك بيان للمهمة الاولى والرئيسية لهذا الجهاز الوظيفي الواسع المترامي الاطراف ، وما وصفه بالانصاف والرفق الا دليلاً على اهمية هذا الجهاز وخطره ، وما يرد في حقه من احتمالات سوء الادارة وهضم الحق وتجاوز الانصاف =

ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكل قد سمّى الله له سهمه ، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنّة نبيه(ص) عهداً منه عندنا محفوظاً [٢٤].

= فيما يقرر علي (ع) أنهم انما جيء بهم وشخصت مهمتهم لغرض تحقيق الانصاف والرفق بالامة .

٥ - (ومنها اهل الجزية والخراج من أهل الذمة): وبذلك يكون الاسلام قد وفّر الحماية الكاملة لكل من دخل في ذمة الاسلام ، واعتبروا شريحة اجتماعية يجب الاهتمام بهم وتوفير كافة حقوقهم ، وان لهم في عنق ولي الامر من الحقوق والواجبات مثل الذي عليهم.

٦ - (ومنها التجار واهل الصناعات): بمختلف فئاتهم وطبقاتهم وانواع عملهم وصناعاتهم ، وذلك يشعر بضرورة الاهتمام بتنمية ثروات الامة ورعاية العاملين في الحقل التجاري والصناعي ، وما يستتبع ذلك من تنظيم وحماية ورعاية ومتابعة .

٧ - (ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة): وهم عامة الناس ممن لم يدخلوا تحت قسم من الاقسام السابقة .

وسيأتي تفصيل كافة هذه الاقسام وبيان احوالها وواجباتها ومهامها في بناء كيان المجتمع البشري في الفصول اللاحقة من العهد العلوي الشريف.

(٢٤) الجزية : ما يؤخذ من اهل الذمة من بقايا الديانات الالهية السابقة ، وهو تنظيم مالي في أموال من طلبوا ذمة الاسلام ليتاح لهم التعرف على الاسلام والاطلاع على احكامه ودخول الدين طواعية إن ارادوا ، وهي نسبة مالية يشخصها الرسول (ص) او الامام اذا رأوا أن لا ضرر على الاسلام والمسلمين من بقاء هؤلاء النفر من اهل الكتاب على دينهم لاعطائهم الفرصة =

= لفهم الرسالة الاسلامية ، واستيعاب احكامها ، والدخول في الدين عن فهم وتقبل حقيقي ، وبذلك تنتهي شبه واباطيل يروّجها اعداء الاسلام بدعوى ان الاسلام يفرض بالقوة والسيف.

والجزية نسبة مالية يدفعها الكتابيون للدولة الاسلامية ، وهي تعبير عن الاعتراف بسلطان الدولة الاسلامية والمشاركة في ميزانية الدولة التي يعيشون في ظلها . وهذا التعامل الكريم من الاسلام وحملته دليل عظمة الاسلام وسمو تعاليمه ، وفي التاريخ الاسلامي شواهد على سلامة هذا التشريع الاسلامي ونجاحه في استقطاب كثير من الكتابيين ودخولهم بالتالي للاسلام في جو من الحرية والوعي ، ووصولهم لفهم الرسالة الاسلامية والدخول في دين الله افواجاً .

وللجزية احكام وقوانين توسعت كتب الفقه في ذكرها ويمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

أولاً : الجزية مقدار من المال تفرضه الدولة الاسلامية على غير المسلمين. من أهل الكتاب خاصة، مقابل بقائهم على دينهم، بناء على طلبهم بإن هم اقروا شروط الذمة، وعاهدوا المسلمين على إقرارها.

ثانياً : يعفى من الجزية : المرأة ، والصبي، والمجنون، والمعتوه والمقعد، والشيخ الكبير، والاعمى. وتجب على غيرهم من الرجال فقط .

ثالثاً : ليس للجزية مقدار محدد، انما الدولة الاسلامية هي التي تحدده على أساس الاستطاعة او القدرة المالية للشخص المكلف بدفع الجزية ، مراعية بذلك قواعد العدل ، وتحقيق الغرض من تشريع الجزية وهو التمهيد للدخول في الاسلام ، وإقرار هيمنة الدولة.

كما يوضح ذلك قول الامام جعفر الصادق (ع) الذي رواه زرارة احد اوثق واشهر اصحاب الامام :

قال: « قلت لابي عبد الله ـ يعني جعفر الصادق (ع) ـ ما حد الجزية على =

= اهل الكتاب ؟ وهل عليهم في ذلك شيء موظف لا ينبغي أن يجوز الى غيره؟.

فقال : ذلك الى الامام يأخذ من كل انسان منهم ما شاء على قدر ماله وما يطيق ، أما هم قوم فدوا انفسهم من أن يستعبدوا ، او يقتلوا ، فالجزية تؤخذ منهم على قدر ما يطيقون له أن يأخذهم به . . »[1].

رابعاً : تتحمل الدولة الاسلامية نفقة أهل الذمة حين العجز والشيخوخة فتنفق عليهم من خزينة الدولة ومن بيت مالها . . كما مر في حديث علي امير المؤمنين (ع) مع الشيخ النصراني العاجز.

كما ان للذمة احكام تنظم العلاقة بين الذمي والحكومة الاسلامية اهمها :

١ ـ يشترط في قبول الذمام أن يطلب الدخول من اراد الدخول في الذمام قبل الوقوع في الاسر ، فعندئذ يقبل منه طلبه حتى مع اشراف الجيش الاسلامي على الانتصار ، أما بعد الوقوع في الاسر ، فلا يقبل منه طلبه ، وتطبق عليه قوانين الاسر ، ويعامل كأسير حرب.

٢ ـ أن يقبل من أراد الدخول في ذمة المسلمين دفع الجزية .

٣ ـ أن لا يقوم بأي عمل حربي او تخريبي يعبث بأمن الامة الاسلامية وسلامتها ، كالتهيؤ للقتال والقيام بأعمال التجسس، او بث الاشاعات والاراجيف بين المسلمين لاضعافهم وضرب قواهم المعنوية . . او نشر وترويج المباديء والافكار المعادية للاسلام ، او الاعتداء على اموال المسملين او اعراضهم وارواحهم . .

٤ ـ أن لا يتظاهر بمخالفة القوانين والانظمة الاسلامية . . كشرب الخمر والزنا والخلاعة والمجون ، فيسببوا الفساد للمجتمع الاسلامي ، وهدم قيمه واخلاقه . . =

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج٦ ص١١٣ .

....

= ٥ ـ إذا كانت المخالفة التي يفعلها اهل الذمة مخالفة فردية لا تحمل معنى الحرب والمخالفة لقانون الذمام ، فعندئذ تطبق على المخالف احكام القضاء والجنايات الاسلامية ولا يفسخ عقد الذمام مع اهل الذمة.

٦ ـ أن لا يؤسسوا كنيسة ولا يضربوا ناقوساً .

٧ ـ أن يرضوا بسيادة الدولة الاسلامية بتطبيق القوانين والانظمة الاسلامية عليهم. . كتطبيق قانون العقوبات المثبت بحقهم في نصوص القانون الاسلامي وكدفع الزكاة. . الى آخره.[1].

كما انه ليس في أخذ الجزية من الكتابيين اي ظلم لهم لان الاسلام في قبال ما يأخذ منهم من الجزية يؤدي لهم حق الحماية والرعاية الاجتماعية والادارية ، ويمتعهم بمنافع الدولة ومؤسساتها شأنهم شأن المسلمين حتى في الضمانات العامة والتأمينات المعاشية والصحية والعلمية والامنية وغيرها.

فقد روي عن علي امير المؤمنين (ع) انه مر بشيخ مكفوف كبير يسأل الناس ، فسأل امير المؤمنين عنه ما هذا ؟ .

قالوا يا أمير المؤمنين نصراني. فقال امير المؤمنين (ع) استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه، انفقوا عليه من بيت المال »[1].

ولو دققنا فيما يؤخذ من الجزية من اهل الكتاب الذميين لوجدناه لا يتعدى ما يؤخذ من الزكوات والحقوق المالية الاخرى ، ان لم يكن اقل مما يؤخذ من المسلمين أحياناً.

ولكن ينبغي أن لا ننسى مساويء الحكم الاموي وولاته في اساءة استغلال موضوع الجزية والتعسف الذي صبوه على الشعوب والامم التي دخلها حكام وولاة بني امية وإرهاقهم لشعوب كثيرة بأخذ الجزية بلا حق شرعي مما قلص =

---

(١) كتاب الجهاد في الاسلام لمؤسسة البلاغ رقم (٣٥).

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج٦ ص٤٩.

. . . .

= دخول الناس في الدين ودفع بعضهم للارتداد عن الاسلام لسوء سيرة الولاة والحكام بما بقي وصمة عار على الامويين والحكم الاموي ودفع الى مزيد من الثورات والانتفاضات في مختلف ارجاء الدولة الاسلامية طيلة ايام الحكم الاموي وتبعهم العباسيون بما لا يقل جاهلية ووحشية في معاملة الشعوب التي فتحها المسلمون وللتوسع في هذا الموضوع يراجع الطبري في تاريخه وكثير من كتب التاريخ الاخرى.

أما الخراج : بفتح الخاء، وهو ما يؤخذ من غلة الارض من ارباح الزراعة ، فهو اذاً وارد الدولة وحصتها من استثمار الارض العامة ، التي يستثمرها المسلمون وغيرهم ، وفق نظام المزارعة الشرعي ويقال للارض التي تحت يد الدولة خراجية ، حيث تدفع للفلاحين من مسلمين وغيرهم في عقود للاستثمار تؤدي للدولة نسبة من المال او عين المزروعات باعتبار اجارة الارض ، والمال الخراجي هو اجرة الارض الزراعية ، ونظام تأجير الارض من المشاريع الزراعية الاسلامية التي اثبتت نجاحها.

ثم يعدد علي (ع) استمراراً لما اثبته من تسمية طبقات المجتمع ، من المزارعين والتجار والصناعيين ، وينتهي بالاشارة الى المحتاجين والمساكين ممن قعد بهم الفقر والمرض او العجز عن اللحوق بأحد الطبقات السابقة ، وهو استيعاب وشمول لكافة طبقات المجتمع بحيث مهما تطورت الحياة والمجتمع وتعددت فصائله وشرائحه ، فانها مشمولة بما عدده امير المؤمنين (ع).

ثم يقول في آخر هذه الفقرة « وكلًا قد سمى الله له سهمه » اي أن الله في الشريعة الاسلامية وتطبيقاً للعدالة الالهية قد شخص هذه الشرائح الاجتماعية ، وعين ما لها من الحقوق وما عليها من الواجبات والمساهمة في بناء كيان الدولة ودعم ميزانيتها حسبما جاء بكتاب الله وسنّة رسوله الكريم .

ثم يختم هذا الفصل مشيراً الى أمر هام جداً حيث يشعر (ع) بضخامة مسؤولية الحكام وولاة الامور ، وان حماية حقوق الامة ومصالحها ، والسهر=

الجيش بالمفهوم الرسالي

فالجند بإذن الله حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم[٢٥].

= على سلامة التطبيق كل تلك الواجبات عهد ودين للامة في عنق ولي الامر لا بد من ادائها والسير على تطبيقها.

وهي دعوة كريمة في التأكيد على حقوق الامة التي اوجبها الله سبحانه يجب على الائمة وولاة الامور اطالة التفكير بها ، وعدم التبرم من ثقلها ، والاجتهاد في ادائها غير منقوصة كما تؤدى الامانات .

(٢٥) لعل اشمل تعريف وتحديد لمهام الجيوش وعموم القوات المسلحة هو ما سجله امير المؤمنين (ع) في هذا الفصل من عهده فهو اولاً : يؤكد المقولة الاسلامية بأن القوة والنصر من عند الله وهم جند الله ويتقيدون باذن الله وامره ، ولتطبيق عدله واحكامه ، في بلاده وعباده ، ومهما تحقق على ايديهم من النصر والغلبة فهو من الله والى الله ، وليس بكثرة الجند والعدة والعدد وان كان كل ذلك مطلوب ومحبوب لله سبحانه ، فليس من قوتهم ، ولا من محض شجاعتهم وبراعتهم ومهارتهم كما يتوهم الكثير من الناس حتى بعض المسلمين في الصدر الاول حين استسلم بعضهم لهاجس الغرور والاعتداد بالقوة : « **ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** » (التوبة : ٢٥) وبذلك يحكم الله صريحاً بأن النصر منه سبحانه ، وان الكثرة يجب ان تبعث على الشكر لله =

= سبحانه لا على الغرور والزهو ونسيان الله سبحانه وتعالى لهذا لا بد من الاعتقاد الجازم بتوحد الله وتفرده بالنصر ، وانما أُمرنا أن نهيء المقدمات ونعد العدة ، وننتظر النصر منه سبحانه.

ثم يبين (ع) اهمية الجند وأثرهم في هيبة الامة وردع اعدائها ، فبعد الفراغ من تشخيصهم بأنهم جند الله ، فهم « حصون الرعية » حيث لا بد للامة من حصن ودرع يحتمون به من اعدائهم ، ومعلوم اهمية الجيش في فرض هيبة الامة وردع اعدائها ، وبذلك هيبة للدين والنظام ، وبمقدار ما يأتي هذا التشخيص الواعي لتكريم الجيش وبيان اهم اعماله ومسؤولياته وهي أربعة :

١ ـ حصون الرعية.
٢ ـ زين الولاة .
٣ ـ عز الدين.
٤ ـ سبل الامن.

ندرك مقدار الهدف السامي لامير المؤمنين (ع) في حث الولاة والحكام على الاهتمام بالجيش وتعبئة الامة نحو الجهاد وحمل السلاح لما للاهداف الاربعة من اهمية سياسية واجتماعية وبذلك يكون الجندي والمجاهد عز الدين والسبيل لتحقيق امن البلاد والعباد ، وتنفيذ العدالة الالهية ، حيث ان الدين والشريعة والنظام هو مجموعة احكام وقوانين وتعاليم لا تؤدي دورها الا بالتنفيذ ، وذلك موكول الى حماة البلاد والعباد الذين ينفذون ما امر الله به ، من حماية الحدود، وردع المفسدين والمجرمين وكل الفئات التي تشكل مصدر قلق وخطر على امن الامة والبلاد ، ولتأكيد أهمية الجيش والقوات المسلحة يختم علي (ع) هذا الفصل من كلامه ببيان علاقة الجند بالامة ، وان الامة لا يقوم كيانها ولا يستقر حالها إلاّ بالجند « وليس تقوم الرعية إلاّ بهم ». الى هنا والحديث عن اهمية الجند وقيمتهم السياسية والادارية والامنية والاجتماعية ، وما تحمل كل تلك الفقرات من تكريم للجند ، ودعوة للامة للاهتمام بالجندية والتوجه اليها . =

ثم لا قوام للجنود إلاّ بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون وراء حاجتهم(٢٦).

= اما عن اهمية الامة والنظام بالنسبة للجند ، وبميزانية الجند ، ومن اين تتوفر ، فهذا ما تعرض له (ع) في الفصل اللاحق من عهده صلوات الله وسلامه عليه.

(٢٦) هذا التخطيط العملي الحكيم يعكس نظرته واهتمامه بتوفير المستلزمات الضرورية لبناء الهيكل العام للامة ، وتوزيع الادوار والمهام والمسؤوليات ، وانه لا قوام ولا بقاء للجيش إلاّ بما يخصص لهم في ميزانية الدولة ومن اهم مواردها ، وهو الخراج وما يأتي من ارباح الزراعة وممتلكات الدولة ، باعتبار ان أهم موارد الدولة انذاك هو القطاع الزراعي.

اما اليوم فلا بد من توفير ميزانية الجيش من اهم موارد الدولة من الزراعة والصناعة والمعادن واي مهم مستجد من الموارد الثابتة للدولة واعطائها الاولوية، ونحس هذه الاولوية من الاشارة لميزانية الدولة للجيش في صدر كافة الفصول والميزانيات المالية الاخرى.

وتستند هذه الاولوية الى حق شرعي فرضه الله تعالى في ميزانية الدولة حيث يقول الامام (ع) « يخرجه الله لهم من الخراج » اي ليس فصلاً طارئاً أو تفضلاً من الوالي والحاكم او الامة حتى لا يهان الجند بتصور أنهم عبىء على الامة وانهم يعيشون على اتعاب غيرهم ، بل هو فرض واجب فرضه الله لهم قبال ما يؤدونه للامة من واجبات . ثم يشير (ع) إلى أهم فصول نفقات الجيش بنقاط ثلاث:

١ ـ نفقات العدة الحربية من آلات ومؤسسات وكل ما يتعلق بذلك والذي عبر عنه (ع) بقوله « **الذي يقوون به على جهاد عدوهم** ».

٢ ـ نفقاتهم الخاصة من لباس ومأكل وعلاج وكل ما يتعلق بشؤونهم الشخصية ويبني اجسامهم وينمي روحهم الجهادية ويحفظ كراماتهم من الجوع والعري والفقر والتسكع أو اللجوء الى النهب والسلب والرشوة وعبر عنه (ع): « ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ». =

. . .   .

= ٣ ـ تغطية نفقات عوائلهم واسرهم وحمايتهم من الحاجة والفاقة المذلة لهم ولأسرهم ، فتوفير المال الكافي لأسرهم تعويضاً للاسرة عن وجود معيلها الذي كان يكدح فيوفر لهم ما يسعدون به . وقد عبر عنه (ع): « ويكون من وراء حاجاتهم ».

وهذا ما اثبتت التجارب جدارته وأهميته لبناء جيش مؤمن وجندي مخلص مستقر البال لا هم له الا تحقيق اهداف الامة والعقيدة من خلال ايمانه واخلاصه ، ونرى كيف أن الامم التي اهتمت بقواتها المسلحة واولتها العناية والرعاية ووفرت لها العدة والعدد والمرتبات والكرامة ، فحمتها من التسكع والاذلال وشجعت كافة القادرين على الانخراط في الجندية فأقاموا الجيوش العملاقة وبنوا الصناعات العسكرية ، ووطدوا اركان الامن ، ووسعوا سلطان الدولة. فيما نرى الحكومات والامم التي أهملت جيوشها ، واجحفت بحق جندها ، كان نصيبها الضعف والهزيمة والخسران وقد غلبها من هو دونها في العدة والعدد.

وليس ببعيد عنا ما حل بالبلاد الاسلامية من انهيار دولتهم الكبرى ، الدولة العثمانية المترامية الاطراف ، والتي امتدت أذرعها نحو الشرق والغرب ودخلت اجزاء واسعة من أوربة الشرقية والغربية والدول الاسكندنافية وعبرت المحيطات في جنوب افريقيا وشمالها وارتبطت بها اجزاء واسعة من الهند والصين وغيرها. . فان جهل الحكام ، وسوء ادارتهم وبُعدهم عن الفكر الاسلامي والقواعد والاسس الاسلامية . وانصرافهم بجشع ونهم الى الاثراء وجمع الاموال كل تلك الاسباب وغيرها أدت الى اهمال شأن الجيش وعدم الاعتناء بقوانين الجند والجندية شكلاً ومضموناً ، فشاع فيه الجوع والفقر والظلم والمهانة ، نتيجة قلة المرتبات وكثرة الواجبات مما سبب فتور عزائم الجند ، وقلة اندفاعهم ، وميلهم للهرب ، حتى عادت الجندية تساوي الموت ، مما سهل الرشوة والاتاوات للتخلص من تبعة الجندية الكريهة لان الجيش والجند فقد الايمان والثقة والمبرر وصار يشعر انه يقاتل لحماية دولة وحكام يستأثرون وينعمون =

الجهاز القضائي والاداري

ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة ،

= بخيرات البلاد على حسابهم ويستذلون الامة بواسطة الجيش لمطامعهم ونزواتهم ، وكيف يتنعم القادة والرؤ ساء باسراف ونهم لا حد له ، بينما يتحمل الجندي النصب والقتل وفراق الاحبة ، وكلها آلام ومشاكل تراكمت وتواصلت فأدت لأوخم العواقب ، فكانت الهزائم المتلاحقة ، وانكسار هيبة الامة وكرامتها ، وتناحر الجند فيما بينهم ، ووقوع الفتن والانقسامات وإقدام الجندي المعذب الجائع على كثير من الاعمال الاجرامية ، وكلها نتائج حتمية مهدت للاستكبار العالمي والقوى الصليبية والصهيونية والماسونية في الانقضاض على الدولة العثمانية ، وتمزيق اوصالها في اخريات ايامها بما حمّل الامة الاسلامية اعباء وكوارث لا زالت تئن منها حتى اليوم في شتى بقاع الوطن الاسلامي بل كان الحكم العثماني ، بجهله وعجرفته ، وبعده عن روح الاسلام ، عاملاً من عوامل تجرؤ اعداء الاسلام على الطعن والتشهير بالاسلام والمسلمين ، وتوجيه التهم ، واتخاذ الذرائع للهيمنة والاستيلاء على البلاد والعباد تحت ستار العلم والحضارة والمدنية .

وحتى اوهم المستعمرون كثيراً من شباب الامة الاسلامية واستدرجوهم للايمان بمثل الغرب وحضارته الزائفة ، وسمموا أفكار الاجيال وصرفوها عن دينها ومثلها واخلاقها مما كلف العلماء والمصلحين المسلمين اثماناً باهظة لاعادة الامة الاسلامية الى ثقتها بدينها وتمسكها بمثلها وحملها لرسالتها من جديد .

والعمال ، والكتاب ، لما يحكمون من المعاقد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها[٢٧].

=

(٢٧) يؤكد (ع) على حقيقة هامة لسلامة الامة والدولة وضمان نجاحها، وهي ان الجيش والقوة ليست كل شيء ، بل لا بد من مراعاة الترابط بين اجهزة الدولة ومؤسساتها وانه لا قوام للجند والمزارعين الا بالجهاز القضائي والاداري ، والذي يتكون من ثلاث فصائل:

القضاة : وهم مجموع العاملين في القضاء والفتيا وتنفيذ الأحكام واقامة الحدود.

العمال : وهم الولاة والمحافظون وما يتصل بمهامهم واجهزتهم الادارية والتنفيذية.

الكتّاب: وهم الوزراء والمستشارون الاداريون ومحرروا العقود والرسائل والمعاهدات. . .

حيث ان الجيش لا يمكن أن يؤدي مهامه على الوجه الاكمل ، ولا يخدم الامة الخدمة المطلوبة الا اذا كان مرتبطاً بجهاز قضائي واداري عادل وسليم ، وبأيدي قادة وحكام اكفاء مخلصون يتصرفون بالجيش وبباقي قوى ومؤسسات الدولة بوحي من دينهم واخلاصهم وكفاءاتهم.

ويمكن ان يراد بالعمال هم من ذكرنا من رؤساء الوحدات الادارية ومن يتعلق بهم من الموظفين والاداريين ، أو يراد بهم السعاة والجباة ، الذين يعملون على تحصيل الاموال العامة وجمعها ، وضبطها وحمايتها ، تحصيلاً وادخاراً وتوزيعاً.

فان الامة احوج ما تكون في تنظيم اقتصادها وحفظ ثرواتها الى جباة ومحصلين مخلصين اكفاء يضمنون جمع وتوفير الاموال اللازمة لادارة البلاد ، دون ان =

أهمية التجارة والصناعة في الاسلام

ولا قوام لهم جميعاً ألا بالتجار ، وذوي الصناعات ، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من

= يضروا بالامة فيرهقونها بالضرائب الشاقة وبما لا طاقة لها به ، او يفرطوا بحقوقها او حقوق الدولة ، او يتسامحوا في تطبيق احكام الله سبحانه.

كما يؤكد (ع) حاجة الدولة الى جهاز اداري كفوء نزيه يصون كرامة الامة والدولة ويحمي حقوقها ، فالموظفون امناء الامة في تنظيم شؤونها وتيسير امورها كما انهم ممثلوها في معاهداتها وعقودها واحلافها ، وهي مهام جسام تستدعي اخذ اعلى مراتب الحيطة والحذر من ولاة الامور عند اختيارهم للقضاة والعمال والموظفين ، ومواصلة مراقبتهم ومتابعة اخبارهم واعمالهم وشدة المحاسبة والتأكيد على القضاة والعمال والموظفين بأن أي تهاون منهم بموازين العدل والانصاف سيكلف الامة والبلاد اغلى الاثمان وافدح الاضرار ، وكل ذلك يحسب على الدولة والجهاز ورؤسها ، وان لا عذر لهم عند الله ولا عند الناس في اي تهاون او تجاوز ، ونلمس هذا النهج الرسالي المتمثل في الحيطة والتثبت ابتداءاً ، ثم المتابعة والمحاسبة والتوعد بأشد العقوبات استدامة ، نلمسه مجسداً في سيرة الرسول الاعظم (ص) وسيرة الائمة الابرار والتابعين لهم باحسان ، وما تركته تلك السير الصالحة ، والمناهج المستقيمة من أثار خالدة يعبر عنها حب الامة لامامها وحكومتها ، وتفانيها لحماية الدولة والحكام. =

الترفق بأيديهم ، ما لا يبلغه رفق غيرهم(٢٨).

= كما نلمس حرصه (ع) على بيان مدى الترابط بين طبقات المجتمع حكاماً ومحكومين ، وكذلك بين فصائل المسؤولين من ولاة وقضاة وعمال وجند وسائر حملة المسؤوليات التشريعية والتنفيذية وذلك واضح من تكرار اشارته (ع) لذلك بقوله : **« ثم لا قوام للجنود الا . . ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث . . »**.

(٢٨) بالتأكيد أن هذا اول مشروع تفصيلي يضع تصوراً متكاملاً لبناء الهيكل الاجتماعي في الدولة الاسلامية ويشخص الاولويات لترتيب طبقات المجتمع بعضها مع بعض في جو من الحكمة والعدل الالهي ، الملائمة للفطرة البشرية ، وتجنيب البشرية التعسف والاضطهاد.

كما ان هذ االتخطيط الواعي الرسالي لم يأت الى اليوم ما يضيف له شيئاً جوهرياً ، لم يتعرض له امير المؤمنين (ع) رغم مرور اربعة عشر قرناً وسيبقى كذلك الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، شأنه شأن كافة المثل والقواعد والمنطلقات الاسلامية الاصيلة ، حيث أكد (ع) في هذا الفصل الرائع من درر وغرر أقواله على لزوم رعاية الدولة للجانب الاقتصادي وتنظيمه بموازين العدل والحكمة بما يؤمن للدولة ميزانيتها للانفاق على الجيش والقضاء والادارة وسائر مرافق الدولة الاخرى مؤكداً (ع) ان الاسلام ينظر للتجارة والتجار الملتزمين بالنظام والانصاف ، بأنهم عامل ازدهار للبلاد والامة ، ويعفى الجند والموظفين من مباشرة الترفق بأيديهم ، اي مباشرة التكسب والعمل ، وبذلك يتيح للجند وسائر المسؤولين فرصة التفرغ للقيام بمهامهم ، والنهوض بأعباء المسؤوليات الكبيرة التي تنتظرهم ، في الامة والبلاد ، والتوجه لتوسيع رقعة الدولة الاسلامية ونشر الفكر والعقيدة الاسلامية وتوطيد العدل.

ولا يخفى قيمة قرن الصناعة بالتجارة وعطفها عليها ، لما في ذلك من التأكيد على هذين الحقلين الهامين في حياة الامة واستقرارها واستقلالها وكرامتها ولا نجد عند غير علي (ع) هذا الاهتمام الكبير بالتجار والصناعيين والتأكيد على اجهزة =

= الدولة وعموم المسؤولين بالعناية بهما وتنميتهما وحمايتهما وتنظيم شؤونهما بما يضمن حسن الانتفاع بالتجارة والصناعة ، كما سيتضح ذلك من خلال الفصول اللاحقة.

وقد أكدت تجارب البشرية ومعاناتها وآلامها ، اهمية هذين القطاعين، التجارة والصناعة وانهما جزءان هامان في تكامل الامة واستقرارها وسعادة البشرية جمعاء ، وان الامة الواعية هي التي تُحكم امر تجارتها وصناعتها لتستغني عن استجداء الاموال أو الخبرات والصناعات الاجنبية مما شكل ويشكل هدراً كبيراً يستنزف ثروات البلاد ، ويتيح الفرصة للمستغلين في الارض لاذلال الشعوب ونهب خيراتها ، بل لا يعدو الحقيقة من يقول : ان الاخلال بتنظيم الجانب الاقتصادي من تجارة وصناعة وما يتعلق بهما ، يشكل القسط الاكبر من اسباب تعطيل وتعثر مسيرة العدل الالهي في الارض . وان اي خلل ، او سوء تطبيق لاحكام الله في تنظيم التجارة والصناعة ، سيهيء الفرص للجشعين ومصاصي دماء الشعوب من نهب خيرات الامم وتركها تابعاً ذليلاً لاسياد لا هم لهم إلا النهب والتجويع والافقار والاذلال للبشرية، وكلها عوامل هامة في هدم السعادة البشرية، وتدمير كيانها الاجتماعي، وهي وسائل ومبررات لانتشار كافة الكوارث والمحن السياسية والاجتماعية والاخلاقية، فلابد اذن من ايجاد نظام اقتصادي متكامل يحقق العدل والازدهار والاستقرار.

ولن تجده البشرية في غير الاسلام دين الله الخالد ومنهجه القويم وقد اثبتت التجارب المتعاقبة منذ تاريخ البشرية الى اليوم فشل كل الاطروحات والمناهج الاقتصادية والتي اعتمدت في الغالب على المذهبين البشريين المتطرفين اللمادية والاشتراكية ، وكلها باتت واضحة الفشل بل زادت من ويلات الشعوب وتدهورها وتمكين المستكبرين من المستضعفين ، رغم توفر كافة الفرص والامكانات الفكرية والاجتماعية والعسكرية. . وتكررها لفترات طويلة وخسارة البشرية وهدرها لطاقات وامكانات هائلة مادية ومعنوية على مذبح هذه التجارب الفاشلة ولهذا فهناك اليوم اجماع بين عقلاء البشر ومنصفيه من مسلمين وغيرهم على ضرورة الرجوع في حل هذه =

الضمان الاجتماعي للطبقات المحرومة

ا

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق

= الاشكالات والمعاناة البشرية المروعة لخالق البشرية والعالم بما يصلحها من الاحكام والنظم، وهو ما تكفلته الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع واقام الدليل عليه كتاب الله وهدي رسوله وآله الهداة الميامين، وهو ما اكدته هذه الفصول الرائعة من كلام امير المؤمنين(ع) حيث اكد في اكثر من موطن على ضرورة تنمية التجارة والصناعة وتطويرهما ، وايجاد الضمانات والخطط الكفيلة بتقدمهما وازدهارهما، وخلق الاجواء المشجعة للتجار والصناع لتوسيع نشاطاتهما ، بما يؤدي لنمو وازدهار التجارة والصناعة، وان ذلك عامل من عوامل العدل وترسيخ الاستقرار في الدولة والامة، وهي مبادرات تؤكد سبق الاسلام وحملته لمعالجة اعقد المشاكل واكثرها عمقاً وتشعباً ، وفي غمرة كل هذا الاهتمام والتشجيع على التجارة والصناعة ودعوة الحكومات لرعايتهما وتنميتهما ، لا ينسى امير المؤمنين (ع) ان يؤكد على الجوانب السلبية من مخاطر التجارة والصناعة وسوء استغلالهما ، فقد نبه امير المؤمنين (ع) في مواضع عديدة من عهده وخطبه وكتب الاعتمادات التي كان يضعها كمناهج عمل لولاته على البلاد والعباد، بضرورة تنبه الولاة الى امراض الجشع والاحتكار المتوقع من التجار والصناع ، ولزوم حماية الامة بما لا يجحف بأحد وضرورة أخذ أقصى مراتب الحزم والشدة تجاه المتلاعبين المثرين على حساب تجويع البشرية واذلالها.

رفدهم ومعونتهم ، وفي الله لكل سعة ،ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه ، وليس يخرج الولي من حقيقة ما الزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه ، فيما خف عليه أو ثقل[٢٩].

---

(٢٩) في هذا الفصل من كلامه (ع) يشير للضمان الاجتماعي الذي فرضه الاسلام وحث عليه النبي (ص) وآله الكرام لمن لا يجدون حيلة للعيش ، او لا يقوون على ممارسة المكاسب والاعمال وكان الاسلام سباقاً لتسجيل هذه المكرمة في تأسيس الكفالة الاجتماعية وتوفير العيش الكريم للانسان واعتبار ذلك حقاً واجباً في عنق الحكم والحاكمين يجب تنفيذه بدقة وامانة ، حيث كفل الاسلام للمعوزين من اهل الحاجة ممن لا يتوفر لهم العمل المناسب لتوفير كافة ضروريات العيش والمسكن بما يناسب اعتباراتهم ومكانتهم الاجتماعية وعدم الجائهم الى التسول والتسكع والامتهان الذي هو في الحقيقة امتهان لكل البشر ، وهو محرم شرعاً حيث كرم الله الانسان واوجب حرمته.

وهذا لا يعني ان الاسلام يشجع على البطالة ، بما يوفره للعاطلين، بل الاسلام عدو للبطالة مبغض لها ، وقد حرم التسول دون حاجة ، فان الأسلام يعتبر الفقر والتسول والبطالة ظواهر مرضية ناشئة عن خلل في النظام الاقتصادي العام في التشريع او في التطبيق يكشف عن اعتداء بعض شرائح المجتمع على بعض ، كما قال علي (ع): « ما جاع فقير الا بما متع به غني » وهو صريح بقوله (ع): « وفي الله لكل سعة » ، وقد عالج الاسلام الفقر والعوز والبطالة بكل حزم وصرامة وتخطيط ايجابياً وسلبياً . فالاسلام حين نهى عبر الآيات والاحاديث عن الكسل والبطالة ، وحرم التسول دون حاجة ، وأدان ورفض الرهبانية والتفرغ للعبادة ، والقاء المرء نفسه كلاً على الناس ، ولمزيد التنفير يمثل القرآن الكريم بذم من يلقي نفسه كلاً على الآخرين فيقول عز اسمه : **« . . وضرب الله مثلاً رجلين احدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌ على مولاه. . . » (النحل ـ آية : ٥٧) وحين يسمع رسول الله (ص) ان =**

= احد اصحابه قد ترك العمل وانصرف الى العبادة ، فيسأل عنه وعمن يعيله ، فيقال له يا رسول الله يعيله اخوه ، حيث يكتسب ويرسل له برزقه يقول (ص) كلمته المشهورة: « أخوه خير منه »، وحين تلامس يد رسول الله (ص) يداً خشناء مشققة من أثار العمل والاعمار عند مصافحته لاحد المسلمين ، فيقول : « انها يد يحبها الله ».

وفيما رواه الفضل بن أبي قرة عن ابي عبد الله (ع) قال : كان امير المؤمنين (ع) يضرب بالمر ويستخرج الارضين ، وكان رسول الله (ص) يمص النوى بفيه ، ويغرسه فيطلع من ساعته ، وان امير المؤمنيني (ع) اعتق الف مملوك من ماله وكد يده[1].

وفيما رواه علي بن ابي حمزة ، قال : رأيت أبا الحسن (ع) يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه في العرق ، فقلت ، جعلت فداك ، أين الرجال ؟ فقال : يا علي قد عمل باليد من هو خير مني ومن أبى في أرضه ، فقلت ومن هو؟ فقال : رسول الله (ص) وأمير المؤمنيني (ع) وابائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين[2].

الى ما هناك العديد من آيات الكتاب العزيز ومئات الاحاديث الداعية للعمل ، ووجوبه أحياناً وان كسب العيش والعمل الشريف جهاد في سبيل الله ، وعبادة يثاب المرء عليها.

يؤكد ذلك أن جميع الرسل والانبياء والائمة والصلحاء قد مارسوا العمل والصناعة والزراعة والتجارة ولم تكن ممارساتهم للعمل والتجارة والصناعة لمحض كسب العيش وتحصيل الرزق الحلال بل ليؤكدوا المنهج الرسالي الواعي والهدف السامي من الكسب والعمل ، وهو عمارة الارض واشاعة الخير والمساهمة في بناء السعادة البشرية ، وهذا المعنى صريح ، فيما رواه ابو بصير ، قال سمعت ابا عبد الله (ع) يقول : أني لاعمل في بعض ضياعي حتى أعرق ، وان لي من يكفيني ليعلم الله عز وجل أني أطلب الرزق الحلال[3]. =

(١، ٢، ٣) وسائل الشيعة ج١٢ ص٢٢ و٢٣.

أهم صفات القيادة العسكرية

فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك ،

= وفيما رواه هارون الواسطي ، قال : سألت جعفر بن محمد (ع) عن الفلاحين ، قال : هم الزارعون كنوز الله في أرضه ، وما في الاعمال شيء أحب إلى الله من الزراعة وما بعث الله نبياً إلا زارعاً الا ادريس فإنه كان خياطاً [1].

ومن هذا المنظور نفهم العمل في التجارة والزراعة والصناعة بأنه وظيفة اجتماعية ،وحق للأمة في عنق كل القادرين عليه ، وان التقصير فيه مخالفة شرعية ، تصل أحياناً الى حد سقوط العدالة ويوصف التارك للعمل بالمحروم من استجابة الدعاء ، كما في صريح كثير من الاحاديث . بالإضافة الى انه إضرار باقتصاد البلاد ، واشاعة لعاهة الفقر والبطالة الممقوتين .

ثم يؤكد (ع) على الحكام والولاة بضرورة الحزم والمتابعة في اداء حقوق هذه الشرائح والفئات وتوفير العيش الكريم ، وان مسؤولية الوالي في هذا المجال عظيمة وخطيرة ولا بد من وضع الله واحكامه وحسابه نصب العين ، والاستعانة به سبحانه وتوطين النفس على لزوم الحق والصبر عليه ، فقد وعد الله عباده المخلصين بالعون والتوفيق. . . « وليس يخرج الوالي من حقيقة ما الزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه او ثقل ». وصدق الله العظيم حيث يقول : «فأما من أعطى واتقى وصدقّ بالحسنى فسنيسره لليسرى » (سورة الليل : ٦).

---

(١) وسائل الشيعة ج١٢ ص٢٢.

وانقاهم جيباً ، وافضلهم حلماً ممن يبطيّء عن الغضب ، ويستريح الى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الاقوياء ، وممن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف(٣٠).

---

(٣٠) هذا الاطار الاسلامي الحكيم يرسم لولاة الامور وأئمة الحق ، أنصع الصور وانجحها في اختيار القيادة والقادة العسكريين ويحدد معالم الشخصية الاسلامية الصالحة للعمل في قيادة الجيوش ورؤوس الوحدات العسكرية .

ويحذر (ع) من استعمال الظلمة واعوانهم تأكيداً للتحذير الالهي الذي ينهى عن اتخاذ بطانة واعوان سوء خاصة في مراكز القيادة والوظائف الهامة ، كقيادة الوحدات العسكرية والتي تمثل وجه الدولة والشريعة وطليعتها التي تقابل الشعوب والامم والقبائل ، فلا بد اذن من الاستعانة بالصالحين ممن يوثق بهم ، ويطمئن الى اخلاصهم لله والأمة ، وكفاءاتهم في اداء المهام الموكولة لهم . ومن اهم هذه الصفات الماضي الحسن ، والعقل الراجح والتقوى الشديدة ، ليكون مأمون الجانب مضمون النصيحة لربه ولامامه ولامته ، وهذا ما عناه امير المؤمنين (ع) بقوله : « أنصحهم في نفسك . . » ، كما لا بد أن تراعى في القائد صفة الحلم ، فلا يستخفه عصيان العصاة ، ولا بد في القائد والحاكم ان لا يأخذ الامة بالغضب والحدة فيلزم ان يكون حلمه أوسع من غضبه ، اول من يحلم وآخر من يغضب ، كلما كان هناك متسع في الشريعة للحكم وكظم الغيظ ، ويسرتيح الى العذر ، اي يقبل العذر من المعتذر ، وتغليب جانب العفو على جانب الانتقام مبدأ اسلامي يهيء الفرصة للتوبة والرجوع الى الله سبحانه . وحين يدعو علي (ع) لاختيار القائد الذي يتصف بهذه الصفات ويتباطأ عن الغضب وتنفيذ العقوبات فإنما يؤكد مبدأ اخلاقياً سامياً ليفسح المجال للعقل واحكام الشريعة ان تتحكم في الموقف وتضع الحلول المناسبة له ، وصدق الله العظيم حيث يقول : « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** » (آل عمران : ١٣٤) ولا ينبغي ان يساء فهم هذا العفو واللين ، ويتصور ان فيه مداهنة للباطل واهله ، وانعداماً للموقف الرسالي المبدئي ، فهذا أبعد ما يكون عن نهج الاسلام =

صحبة الابرار

ثم الصق بذوي المروءات والاحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء ، والسماحة ، فإنهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف[٣١].

= وسيرة حملته الابرار.

كيف وفي صريح الكتاب يمتدح المولى عز اسمه عباده الذين يجاهرون في الحق ويسارعون لاعلانه وترتيب اثاره ولا يخافون في الله لومة لائم ، ولكن تلك التحذيرات والوصايا الداعية لتغليب الحكمة والتروي في انزال العقوبات ، انما هي من منطلق التثبت وعدم التسرع في الاحكام ، والابتعاد عن الجبروتية والغلظة ، ولبيان مخاطر العنف والتسرع بترتيب اثار الغضب التي تؤزم الامور وتعقد المشاكل وتقطع السبل بين العصاة والمشتبهين وبين رجوعهم للحق والطاعة .

وانه لا خير في الحاكم والقائد اذا كان عنفه وغضبه يثيره فيخرج منه ما يخرجه عن حدود العقل والحق والاتزان ، كما لا خير في الضعيف الذي يقعد به ضعفه عن اقامة العدل وتوطيد الامن وردع الكفر والانحراف ، وخير الامور اوسطها في الحق كما يقول علي (ع) .

(٣١) حاجة المصاحبة طبيعية في كل انسان ، بل وحتى في الحيوانات ، لما فيه من التعاون والاستيناس الفطري ، ولما يحققه من المصالح المشتركة . وهذه الفطرة في البشر أشد واكبر لتأكيد العقل البشري عليها ، وفي ولاة الامور =

.. ..

= والقادة والزعماء اكثر تأكيداً لتوسع علائقهم ومهامهم وتعاملهم مع كافة فئات البشر ، وقد ورد ما يؤكد هذه الفطرة والحاجة كثير من ايات الكتاب العزيز في الدعوة الى التعاون والتشاور والائتلاف، ومدح الاصحاب والاخلاء والمعاونين وعدم الاستغناء عنهم ، وذلك مشروط ومقيد بصحبة الابرار الاتقياء كصحبة الإنبياء والصلحاء ، كما اشار الكتاب العزيز الى مضار ومفاسد صحبة الاشرار المفسدين المبنية على أسس غير انسانية دينية.

ونظّر الكتاب العزيز بأفضل أنواع الصداقات والاصدقاء اولئك الذين تنفع صحبتهم في الدنيا والآخرة : **« الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين »** (الزخرف : ٦٧) وهذا صريح في اهمية صداقة المتقين ولزومها وان فوائدها في الدنيا هي مقدمة لفوائدها في لآخرة فقطعاً تكون صحبتهم لازمة ومفيدة في الدنيا ، كما تضمنت كثير من الاحاديث تشخيصاً لأهم صفات الاصحاب الابرار وأثراها : **« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يغتابه »** كما تضمنت سورة الحجرات جملة آيات في آداب واخلاق الصحبة والاصحاب بما فيها الشعور بالمسؤولية ، والاعتراف بتساوي الخلق ، الا من رفعه الايمان والتقوى ، ومشخصات تلك الصفات ، كقوله سبحانه : **« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم. . » » يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن. . » « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى. . »** (الحجرات ١١ - ١٢ - ١٣) بالاضافة الى اوائل ايات هذه السورة المباركة والتي اعتنت برسم افضل صيغ الصحبة المطلوبة في اصحاب الانبياء والقادة . كقوله سبحانه : **« يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله. . »** (الحجرات : ١) **« « يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي »** (الحجرات :٢)، **« يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا. . »** (الحجرات : ٦) **« إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم. . »** (الحجرات : ١٠) .

وهذه الآيات الشريفة من سورة الحجرات وان كانت بظاهرها معنية بتنظيم العلاقة بين المؤمنين وبين رسول الله (ص) وأداب صحبتهم معه (ص) إلا =

= أن منهج القرآن الكريم وشمول احكامه ومفاهيمه يعطينا اكثر س دليل على الانطلاق في تنظيم الصحبة وأسس اختيار الاصحاب على ضوء المنهج الرسالي باستثناء بعض الخصوصيات التي قامت الادلة على اقتصارها على رسول الله (ص) لهذا نجد امير المؤمنين (ع) ينطلق في انارة الطريق للمسلمين عامة ولولاة الامور خاصة باهمية الصحبة، وضرورة بنائها على أسس سليمة ابتداء من أهم صفات الاصحاب وأثارها: «ثم الصق بذوي المروءات والاحساب و..» وفي هذه الفقرات ينصح امير المؤمنين (ع) بضرورة الصحبة والاتصال والاحتكاك بقسم من البشر ممن اتصفوا بهذه الصفات الكريمة التي تؤهلهم للاقوال والاعمال الكريمة النافعة للحاكم والامة، حيث يعبر هذا النص الرائع من كلامه (ع) عن عظيم فكر الامام وتشخيصه الصائب في تسليط الاضواء على هذه الجوانب التي قد لا يهتم بها الكثير او يتسامح في مقدماتها، وكيف أن تلك الصفات ضرورية التوفر بحواشي الحكام والزعماء، فمصاحبة ذوي السوابق الحسنة، والماضي المجيد والتربية الفاضلة، يحمل على الاستقامة وعلو الهمة وسلامة التفكير ونبل الاعمال، فمثل هؤلاء الاصحاب والمستشارين ملف حافل بجلائل الاعمال ونتائج التجارب والسير، يمكن الاستفادة من اخلاقهم وخبراتهم، وبموارد النجاح من تجاربهم. وصحبتهم تعود على الحاكم والامة بالخير والنجاح، كما ان مصاحبة الشجاع والسخي وذي السماحة تحمل على الشجاعة والسخاء، وتستدرج الاصحاب نحو تلك الصفات والفضائل، ولعلي (ع) وصايا كثيرة في هذه الميادين، منها قوله (ع): «لا تصحب الاحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ولا تصحب البخيل..» وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «اذا دعتك لصحبة الرجال حاجة، فاصحب من اذا صحبته زانك»، وقوله (ع): «الصاحب كالرقعة في الثوب، فاتخذه مشاكلاً» وجميل قول الشاعر:

صاحب اخا ثقة تحظى بصحبته ... فالطبع مكتسب من كل مصحوب
كالريح اخذة مما تمر به ... نتناً من النتن او طيباً من الطيب

حقوق الخواص والمستشارين

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتم به وإن قل ، فإنه داعية لهم الى بذل النصحية لك ، وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف أمورهم ، إتكالاً على جسيمها ، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه[٣٢] .

---

(٣٢) في هذه الفقرات يسجل أمير المؤمنين (ع) النظرة الاسلامية الحكيمة للدور الخطير الذي يتحمله الولاة ومستشاروهم واعوانهم ، وأهمية ذلك الرعيل الكبير من جهاز الدولة واثره الخطير في حياة الامة ، وأن أغلب مساويء الحكم والحاكمين في التاريخ القديم والحديث وتفاقم الفتن ، وعدم الاستقرار ناتج عن التسيب والفساد في هذا المرفق الهام ، وغياب المراقبة والضبط لشؤون الاعوان والحواشي والاقربين ، ونلمس المنهج الرسالي الحكيم بالمتابعة والبناء الصحيح لهذا الجهاز ، ووضع الاسس والضوابط ابتداء من بيان أهمية الجهاز وحاجة الحكم والحاكمين له ، ثم لمرحلة تشخيص أهم الصفات ، وطرق اختيار الاعوان والمستشارين ومؤهلاتهم وانتهاءً بحقوق وواجبات هذه الحواشي والاعوان ، وان من صلاح الامة والحكم والحاكمين هو استمرار الحاكم بتفقد شؤون الحواشي والمعاونين ، ومتابعة سلوكهم واعمالهم ، وتوفير حاجاتهم وطموحاتهم المشروعة ، فإن ذلك يصدهم عن تعدي حدود الله والاقدام على الاستغلال والرشوة والاعتداء على الناس . =

. ...

= ويكمن خطر هذا الجهاز واهمية هذه الفئة ، لأنهم اكثر الناس قدرة على تحقيق ما يشتهون بحكم مراكزهم ووجاهتهم ، وانهم في العادة ، أول من يستطيع تحقيق المنافع ، واستغلال النفوذ ، والحواشي والاعوان هم اخر من ترصدهم رقابة الدولة وتطالهم يد العدالة ، وبذلك يعود الويل والدمار على الدولة والحاكم والامة.

وعلي (ع) حين يوصي بشدة مراقبة الخاصة والاعوان فهو لا يستهين بقيمة هذه الشريحة السياسية والادارية ولا يغمطهم حقوقهم ، ولا ينسى جهودهم وتضحياتهم بل يؤكد على كل ذلك من خلال الحث على معاملتهم معاملة تتناسب وقيمتهم الادارية والسياسية والاجتماعية ، وضرورة الاعتراف والاعتناء بقيمة عملهم ومعاناتهم عناية خاصة : « ثم تفقد من امورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما. . ».

ومعلوم كما اسلفنا ، في مفهوم التربية الاسلامية واخلاقية الاسلام في بناء الاسرة ، وماذا تعني مهمة الوالدين في تفقد ولدهما من العطف والحب والتوعية والتأديب والردع ، حتى تصل المرتبة لوجوب الحزم والدقة ، وعدم الاهمال ، ولا بد في ذلك من ادراك قيمة التربية الاسلامية التي تبيح للامام علي (ع) ان يمثل بها في اخطر قضية وأعقدها ، وضرورة انتهاج الاسس التربوية الاسلامية وزرع المفاهيم الاخلاقية ، والابتعاد عن الافراط والتفريط .

من هنا ندرك قيمة النصيحة العلوية بأن يفرد الحاكم والزعيم للخاصة والاعوان نوعاً متميزاً من الرعاية والمراقبة يتناسب مع ادوارهم الواسعة في الحكم والمجتمع ليحملهم بتلك التربية والرعاية والمتابعة على مزيد من النصيحة والاخلاص ، ومزيد من التضحية والاقدام على تنفيذ المهام ، وان الحواشي والاعوان اكثر الامة تحملاً للمتاعب واقربهم للهلكة . شريطة ان تتم تلك الرعاية في اطار العدل والانصاف مع وضعهم من كافة الجهات لهم وعليهم . ووضعهم تحت المراقبة المشددة الدائمة وإشعارهم بذلك =

أولويات القادة والرؤساء

وليكن أثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم من جدته ، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم ، حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو ، فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك[٣٣].

= واستخلاص الحقوق منهم بما يبعث الثقة في نفوس الامة والرهبة في نفوس الخاصة وهو ما تفتقده البشرية في ظل الاوضاع اللااسلامية ، وان خير ما تهديه الصحوة الاسلامية اليوم هو اعادة النظر بكثير من شرائح المجتمع وفئات الامة وتقييمها على أساس من احكام الله وهدي اوليائه .

(٣٣) وصايا عملية تصلح لكل زمان ومكان ، فالجيش سياج الامة ودرعها الحصين ـ كما اسلفنا ـ يقيمون بجماجمهم صرح العدل ومجد الامة ، ويوفروا للبلاد والعباد الامن والاستقرار ، فلا بد من السهر على إعدادهم ورعايتهم وضمان حسن ادارتهم وقيادتهم .

وهنا يضع (ع) أفضل الاطر والمقاييس لصلاح القائد وأهليته للقيادة ، ويمكن اكتشاف مدى صلاح القائد وأهليته بمدى انسجامه مع جنده ، ومواساته لهم ، وتفقده لشؤونهم ، ومقدار سهره لراحة جنده وسلامة قواته ، فلا بد للقائد الكفوء لتحقيق اهداف قيادته وضمان اخلاص جنده وسلامة قواته ، فلا بد للقائد الكفوء لتحقيق اهداف قيادته وضمان اخلاص جنده للتضحية في سبيل =

....

= تلك الاهداف من تحمل القائد وتحسسه لمشاعر الجند والامهم وامالهم ، لذا نجده (ع) يتحرك من خلال هذه الفقرات لمعالجة عدة نقاط هامة ، مهما تغيرت شؤون الجيوش والجند فانها لا تتغير ، منها :

تفكير القادة برعاية عوائل الجند : « ويسـع من ورائهم من خلوف اهليهم » فلا بد من رعاية القيادة والدولة لعوائل الجند ، فمتى ما كان الجندي مثقلاً بهموم اهله وعياله ، حيث تركهم يعانون الفراق والفاقة ، والجندي وسط هذا الجو الذهني والقلق المحمل بالهموم والالام ، لا يمكن له أن يندفع في المعركة ويضحي من أجل الحكم والامة ، ويحقق لها الانتصارات ويـدفع عنهـا الكوارث ، وماذا ينتظر من جندي سيق قسراً ، كما يساق المحكوم بالاعدام للصعود الى المشنقة ، وقـد خلف وراءه صبية جـائعين ، وعيالاً مملقين مستوحشين لا معيل لهم ولا راع ، بينما ينعم الحكام والقادة بالدفء والدعة والسلامة بين الاهل والاحبة ، ولعل هذا العامل من اهم عوامل اخفاق كثير من الجيوش وانهزامها ، رغم تفوقها في العدة والعدد ، ولكنها كانت تحارب بآلة لا إيمان معها بالعمل ، وبجوارح لا قلب معها في المعركة ، بل قد تكون هذه الظواهر حافزاً لكثير من الجند والجيوش للانقضاض على قادتها وحكامها ، كما ان هذه الحالة فرصة سانحة يستغلها أعداء الحكم والحاكمين لاذكاء العداء والنقمة والتحرك ضد الحكم والاطاحة به .

« خلوف اهليهم » اي من خلفوه وراءهم من الاهل والعيال ، ومتى ما اطمئن الجندي على مصير أهله وعياله ، وان يد الوالي والقائد الحنونة تـرعاهم وتحميهم ، توجه حينها الجندي بكل طاقته للحرب وكسب المعركة وحماية الامة وتطبيق الاوامر . وحينها سيكون النصر بعون الله للامة وجندها ، وان المواساة التي يدعو أمير المؤمنين (ع) القادة والزعماء بوجوب مراعاتها هي عدم جرح الامة بالاستعلاء عليها في المأكل والملبس والمسكن لما في ذلك من اضرار ومفاسد .

لهذا نجد سيرة الرسول (ص) واهل بيته البررة تجسد هذا المنهج الرسالي ، =

علاقة الامة بالقائد

وان أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد : وظهور مودة الرعية ، وأنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة الامور وقلة استثقال دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم[٣٤].

= وتنقله من الشعار الى عالم الواقع والممارسة الملموسة فقد روي عن حماد بن عثمان ، قال :

« أصاب أهل المدينة غلاء وقحط ، حتى أقبل الموسر يخلط الحنطة بالشعير ويأكله ، ويشتري ببعض الطعام ، وكان عند ابي عبد الله الصادق (ع) طعام جيد قد اشتراه اول السنة ، فقال لبعض مواليه : اشتر لنا شعيراً فاخلطه بهذا الطعام او بعه ، فأنا نكره ان نأكل جيداً ويأكل الناس رديئاً »[١] وهذا كما قال امير المؤمنين (ع): « يعطف قلوبهم عليك ».

(٣٤) العدل أساس الملك ، وقد قيل : « الكفر يدوم والظلم لا يدوم » والعدل انشودة الانسانية المعذبة وحلمها الذي يراود خيالها ، وهدفها الذي ضحت من اجله بأعز الاضاحي وقد اعتبر العدل في الشريعة الاسلامية اصلاً من أصول الاسلام بني عليه كثير من الاحكام والتشريعات ، ونلمس اهتمام الاسلام =

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي.

= الكبير بالعدل والعدالة في كثير من آيات القرآن الكريم « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي » (النحل : ٩٠)، « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل . . » (سورة النساء : ٥٨) وفي الحديث الشريف: « من المنجيات كلمة العدل في الرضا والسخط » وقوله (ص): « من أذى ظلماً ، يهودياً أو نصرانياً ، كنت خصمه يوم القيامة ، قد يدوم الملك على الكفر ولكنه لا يدوم على الظلم ». والعدالة في الاسلام ليست شعاراً يطرح ، بل هي مجسدة في تعاليم الاسلام الحكيمة التي تضمن لكل ذي حق حقه وهذه واضحة في كثير من النصوص الاسلامية في الكتاب والسنة ، كما هي واضحة في سلوك واقوال وافعال الرسول الاعظم (ص) والكرام البررة من أئمة المسلمين ومن تبعهم وآمن بنهجهم.

ومن ذلك ما نراه من اهتمام امير المؤمنين (ع) في كثير من خطبه ووصاياه وعهوده بالعدالة مبيناً (ع) ان العدل عامل مهم في نشر الشريعة ، واستقرار أمن البلاد والعباد وهذا عهده المبارك وقد تحدث فيه عن العدل في اكثر من موطن وطرحه في اكثر من زاوية . وها هو هنا يشوق الولاة والحكام بمسألة العدل وما يترتب عليه من مودة الرعية وحبها للحاكم وهو اعلى ما يطمح له الحكام والولاة.

ثم يشير (ع) الى ظاهرة ممقوتة في هذا المجال وهو ان بعض الحكام وولاة الامور قد ينتزعون مظاهر التأييد من الامة بالاكراه والعنف ، أو التدليس والخداع ؛ ليحملوا الامة على التظاهر بحب الولاة واطرائهم ، ولكنها وسيلة فاشلة تؤدي الى نتائج مأساوية على المدى القريب والبعيد لأن الاكراه والقوة مهما استطاعا ان ينتزعا من الناس اطراءهم الخارجي فان دواخل النفوس تبقى بعيدة وغاضبة ، وهو أمر يستبطن الحقد ونتائجه ، والتسلط على دواخل النفوس ، وانتزاع التأييد منها ، وحملها على التأييد والطاعة الحقيقية لا تتم إلاّ بالعدل الحقيقي كما صرح بقوله (ع): « وانه لا تظهر مودتهم إلاّ بسلامه =

فافسح في امالهم ، وواصل في حسن الثناء عليهم ، وتعديد ما أَبلى ذوو البلاء منهم ، فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم ، تهزّ الشجاع ، وتحرض الناكل ان شاء الله . ثم اعرف لكل امرىء منهم ما أَبلى ، ولا تضمّنَّ بلاء امريءٍ إلى غيره ، ولا تقصرنّ به دون غاية بلائه ، ولا يدعونك شرف امريء إلى أن تعظِّم من بلائه ما كان صغيراً ، ولا ضعة امـريء إلى أن تستصغر من بـلائه مـا كان عظيماً(٣٥) .

وأردد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ، ويشتبه عليك من الامور ، فقد قال الله تعالى لقوم أحب ارشادهم :

= صدورهم وارتياح نفـوسهم »، ثم يصف (ع) الحلول العملية لاستقـطاب الامة ، بترتيب أثار العدل والتصرف الحكيم كما سنقرأه في الفصل القادم إن شاء الله .

(٣٥) للتأكيد على محاسن الصفات وحصافة الرأي وحسن الادارة ، وأثار ذلك في الامة حيث يؤكد (ع) في حثّه الولاة على إعطاء كل ذي حق حقه ، ومعاملة النـاس ، وخاصـةَ الجند والمـوظفين على أساس من خـدماتهم وبـلائهم واخلاصهم ، لا بالاحساب والانساب مجردة عن الاعمال الصالحة كما يفعل الجاهليون . وصدق الله العظيم حيث يقول : « **فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة** شراً يره » (الزلزلة : ٨) والاسلام حارب فكرة التمييز والتفضيل على اساس من العرق واللون دون رعاية للصلاح والتقوى والعمل الصالح .

كما بين امير المؤمنين (ع) في هذا الفصل من عهده ، ان من عوامل اخلاص الامة وخاصة القادة والرؤساء وذوي المهام ، ومن أسباب تطامنهم وبذل أقصى جهودهم هو الاكثار من مدحهم بحسن أفعالهم ، وجميل بلائهم فإن ذلك يهز =

﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾.

فالرد الى الله : الأخذ بمحكم كتابه ، والرد الى الرسول : الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة(٣٦).

= الشجاع ويدفعه للمثابرة ، ويثير الجبان والكسول الخامل ويحمله على اللحوق بالمجدين المثابرين لما يرى من تكريم واطراء لهم ، وهو ايضاً شعبة من شعب العدل والانصاف ، كما يوصي (ع) الولاة والحكام بالحذر والابتعاد عن التأثر بالعواطف حتى في الحب والبغض عند تقييم العاملين ، وان لا يتخذ من الشرف والضعة مقياساً للمدح والذم ، بل لا بد من إعطاء كل ذي حق حقه ، شريفاً كان ام وضيعاً ، قريباً كان ام بعيداً وهذا ما جسده الاسلام بتعاليمه واحكامه وسلوك قادته الميامين ، منذ اللحظة الاولى لبزوغ نور الاسلام حين كانت البشرية في اقصى درجات امراضها الطبقية والعرقية وهي تتلوى تحت أبشع أنواع الظلم وانتهاك حرمات البشر وتصنيفهم على أسس جاهلية جائرة حتى في المجالس ، والملابس والمواسم والعبادات ، فجاء الاسلام ليسحق هذه المفاهيم والممارسات الجاهلية ، فيصرخ في عمق البيئة الجاهلية : « **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » (الحجرات : ١٣) ثم نقل الشعار الى هدف وممارسة حين شهدت البشرية أول تكريم لها في مجلس ومسيرة تضم محمداً (ص) القرشي ، وبلالاً الحبشي ، وصهيب الرومي وسلمان الفارسي على مائدة واحدة ، وفي صف واحد ، يجسد الاخوة والتكريم في اكثر من موقف .

(٣٦) ما يضلعك من الامور : الضلع الاعوجاج ، اي يثقلك حتى يميل بك عن الاستقامة والاستواء ، وهو هنا بمعنى ان هناك اموراً ثقيلة ستعرض لك ، بحيث ان ثقلها سيجهدك ويخشى منه ان يميل بك عن الحق والهدى ، وهو تحذير منه (ع) للمسلمين كافة ، ولولاة الامور وذوي المهام الخطيرة خاصة ، بان يجعلوا حكم الله هو المخرج من كل معضلة ، والحل لكل مشكلة ، =

... ...

= ورضاه سبحانه مهوناً لكل مصيبة ، وان طاعة الله والرد اليه معناها : الرجوع الى احكامه واوامره في تسلسل حكيم :

أولاً : بالرجوع الى النصوص الصريحة المحكمة الواضحة من كتاب الله سبحانه فهي المصدر الاول للتشريع وأخذ الاحكام ، وفيه يقول سبحانه : « **منه آيات محكمات هن ام الكتاب..** » (آل عمران : ٧) والمحكم في اللغة : المضبوط المتقن ، او هو ما ظهر معناه لكل عارف باللغة . وفي اصطلاح العلماء : ما لا يحتمل من التأويل إلاّ وجهاً واحداً ، او ما كان محفوظاً من النسخ والتخصيص ، ويقابله في كل هذه المعاني ، المتشابه الذي يحتمل التأويل ، ولعلماء اللغة والتفسير تفصيل رائع في هذا المجال.

ثانياً : « الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة » وواضح تفسير السنة بالرجوع الى القسم المسلم المتفق على صدوره عن رسول الله (ص) ونبذ ما سوى ذلك ولا يتم الاطمئنان بما في السنة إلا بالرجوع الى أوثق المصادر وأدق الرواة وهم أهل البيت (ع) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، يؤكد هذا ما صح عنه(ص)بمختلف المصادر والرواة الثقاة قوله (ص): « إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً »[1].

وكل هذا صريح بوجوب الرجوع الى احكام الله واوامره التي تكفل الكتاب والسنة ببيانها ، وان الرد الى الله هو تحكيم حلاله وحرامه والوقوف عند

---

(١) رواه الكثيرون واكد صاحب وسائل الشيعة انه متواتر عند العامة والخاصة ج١٨ ص١٩ . كما توسع الشيخ الاميني في موسوعته بسند هذا الحديث ، في ايراد واضح الاسناد لهذا الحديث من الصحاح المعتبرة عند كافة المذاهب الاسلامية وكذلك السيد الفيروزأبادي في كتابه فضائل الخمسة في الصحاح الستة. =

أهم صفـات القاضي

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق بهم الامور، ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ، ولا

= حدوده ، وان ذلك هو جوهر الايمان وحقيقته ، كما هو صريح في كثير من ايات الكتاب العزيز كقوله سبحانه : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » (النساء : ٦٥) كما جاء مفصلاً في عدد من ايات كتاب الله العزيز في سورة المائدة ، حيث أشير في هذه الآيات لهذا الارشاد المولوي في الرجوع اليه سبحانه والى أحكامه ولم يكن ارشاداً للمسلمين فحسب ، بل هو حكم وارشاد لعموم الديانين من اهل الكتاب والمسلمين : « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » (المائدة : ٤٤)، وفي آية اخرى يندد سبحانه بمن يطلبون الهدى من غير احكام الله وكتابه ويرجعون في مشاكلهم الى غير الله : « أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون » (المائدة : ٥٠) وفي الآية الاخيرة يأتي الحكم من الله سبحانه صريحاً بأن الأمر لا يخرج عن حكمين ، اما حكم الله العادل ، او حكم الجاهلية ، ولا وسطية بين الحكمين ، ولا تلفيق ، ولا مساومة ، ولا اجتهاد في قبال صريح احكام الله ومحكم آياته.

يحصر من الفيء الى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون اقصاه ، واوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه اطراء ، ولا يستميله اغراء، واولئك قليل(٣٧).

---

(٣٧) ما أعظم دستور ابن ابي طالب (ع) الذي اهداه للبشرية في اعقد قضية عرفتها ، في جهاز حكوماتها واداراتها ، ذلك موضوع القضاء القضاة ، وما اوتيت البشرية من جهاز كما اوتيت من القضاء والقضاة الفاسدين لتسلط القضاة على دماء الناس واعراضهم واموالهم ، ومع كل هذه الخطورة والاهمية ، فمن حق الحاكم العادل والاداري الواعي ان يشترط في القضاء والقضاة كل هذه الشروط والتي يعجز الذهن البشري مهما سمت به الثقافات ، وتقدمت به خطى العلم والمعرفة ان يأتي بما يساويه او يفوقه ، كيف وقد جاد به عقل امير المؤمنين (ع) وقلمه قبل أربعة عشر قرناً ، بكل ابعاد هذه المدة الزمنية ، حيث وضع أمير المؤمنين (ع) القضاء والقضاة في الاطار المناسب من الرفعة والنضج والتقوى ويكفي ان يكون على حد تعبيره (ع) « أفضل رعيتك في نفسك » وهذه مرتبة عليا في وسط الامة لا يداني القاضي فيها احد من جهاز الدولة ، على ان تكون هذه الافضلية قائمة على أسس رصينة واضحة ،متسلحاً بكل ما يعزز الافضلية وينميها في القاضي لخطورة مركزه.

كما تضمنت هذه الفقرات الكريمة تشخيص أهم عاهات الرجال وصفاتهم المذمومة ، والتي هي السبب المباشر في كثير من الانحرافات والمآسي ، حيث انتهكت الحرمات بسفك الدماء البريئة ، وهتكت الاعراض ، ونهبت الاموال ، فاستبيحت على يد حكام لا يملكون من مؤهلات القضاء شيئاً غير انهم اعوان الحكام والولاة ومن مؤيدي الدولة .

وليس ببعيد عنا نماذج الانحراف والظلم والفساد على يد حكام الجور من قضاة الدولة الاموية والعباسية ومن تبعهم في نهجهم حتى اليوم ، وكذلك في ادعياء=

= العدالة والحضارة والتمدن فباسم العدل كان ينتهك العدل وتراق الدماء ظلماً ، ويضطهد الفكر والعلم ، وتداس كرامات الامم والشعوب والافراد تحت نظر المؤسسات والمحافل الدولية التي تتغنى بالانسانية والعدالة الاجتماعية .

من هنا كان اهتمام العلماء والمفكرين بنص العهد العلوي الذي يعرض القضية بأبعادها الاسلامية والانسانية معبراً عن اهتمام الشريعة الاسلامية عبر كتاب الله العظيم واحاديث ووصايا الرسول الاعظم محمد (ص) واوصيائه البررة من إهل البيت (ع) ومن تخرّج على مدرستهم المعطاءة .

ويبرز في مقدمة هذه النصوص الكريمة هذا التشخيص الدقيق الواعي من علي (ع) مثارا اكبار واستحسان واقرار منصفي العالم من علماء وادباء ومفكرين ممن اطلعوا على نص هذا العهد الشريف وسمو مباحثه وابوابه مما يلوي اليه اعناق دعاة العدل والاصلاح . مؤكدين ان علياً (ع) توصل في هذه الفقرات لتشخصيص اهم الصفات التي يجب ان تتوفر في القاضي والحاكم ، والتي يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١ ـ ان يكون من افاضل الامة ، بكل ما لهذه الافضلية من معنى علمي وديني واخلاقي وتربوي وان تكون تلك الصفات معلومة عند ولي الامر وامام الامة بالطرق المعتد بها ، اما بالمعرفة الشخصية والصحبة القوية او بالبينات والشهود العدول الذين يحصل بتعريفهم الاطمئنان التام ولا ينبغي التعويل في توثيق القضاة وترشيحهم للعمل بحسن الظاهر او بالامارات العادية .

٢ ـ ان يكون واسع الافق والمعرفة متسلحاً بالعلم والخبرة ، وعبر عنه (ع) بقوله : « ممن لا تضيق به الامور » فان القاضي يجب ان يضيف الى علمه ومعرفته فطنة وسعة اطلاع بمسيرة القضاء والقضاة ويستطيع بعلمه وسعة صدره وصبره ان يسبر اغوار المتخاصمين لاستجلاء الحقائق ، ومتى ما ضاق القاضي بالامور وبرم منها فلا يخلو تصرفه حينذاك ، اما ان يعطل الاحكام او يحسمها بشكل لا =

.. ..

= يؤمن معه وضع الحق في نصابه.

٣ ـ « ولا تمحكه الخصوم » المحك من الحصوم الغضب منهم ، يقال : امحك الخصوم فلاناً ، اي اغضبوه واخروجوه عن اعتداله ، وهنا تبرز اهمية قوة الشخصية في الحاكم والقاضي وشجاعته وتحكمه في المواقف ، فمتى ما كان القاضي عاطفياً سريع الغضب والرضى ، فلا تؤمن احكامه ، وعليه فلا بد من استقامة مزاج القاضي واعتدال طبعه ، وتحكمه في عواطفه في لحظات الغضب والاثارة التي يتعرض لها ، والتي قد تصل الى أبعد الحدود كاتهام القاضي او شتمه ، او محاولة التعدي عليه او تهديده ، وقد تكون بالعكس كالاطراء والمدح اوالتلويح بالرشوة المادية او المعنوية من الجاه والسلطان والمناصب وكلا الحالتين موارد امتحان عسيرة للقاضي ، والسعيد التقي المنضبط من ينجو من هذه المواقف ويتحكم بأعصابه بوحي من الحق والعدل.

٤ ـ « ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه » التمادي هو الاصرار والاستمرار على الزلة ، ومن مظاهر عدالة القاضي وتقواه عدم الاصرار على الخطأ ، وعدم التمادي والتعصب للرأي فالحق أحق أن يتبع . « ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه » اي لا يمتنع ولا يتضايق من الرجوع الى الحق اذا اتضح له . وهذه من الصفات الكريمة الكاشفة عن تقوى القلب وتحكم الانسان بعواطفه وعدم اصراره على الخطأ والجهل.

٥ ـ « ولا تشرف نفسه على طمع » اي لا تميل ولا تقدم على طمع فمتى ما ضعفت نفس الحاكم والقاضي وانساقت وراء المطامع فلا يؤمن على الامة من شهواته ، وانه يقع فريسة الاغراء والرشوة ، فيحكم بغير ما انزل الله ويحيل الحق باطلاً ، وتضيع حقوق الناس ودماؤهم ضحية شهوات الحكام وجشعهم وهذا ما عانت منه الشعوب ، وهدرت بسببه الكرامات ، وضاعت الحقوق ، وحينها تسقط هيبة =

= العدالة وتشيع ظاهرة عدم الثقة بالحكام والقضاة ، ولهذا تجد ان الاسلام أولى هذه الامور اهمية كبرى واوصى بسد حاجات القضاة والحكام بما لا يبقى لهم عذراً في الوقوع فريسة الاغراء او الرشوة الا لمرضى النفوس وذوي العاهـات . والحل مع ذوي العاهات معروف بضرورة استبعادهم عن مثل هذه المراكز الحساسة وفرض العقوبات الصارمة بحقهم .

٦ ـ « ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه » وهذا يجسد نهج الاسلام الذي يدعو القضاة والحكام لضرورة التعمق بالامور وبذل كافة المحاولات لاستقصاء الحقائق والسير وراء الادلة والبـراهين واستعمال اقصى درجات الفهم والتحقق واستعمال كافة الممارسات المشروعة لانتزاع الادلة والبراهين والوصول الى عمق القضايا ، وهذا لا يعني بشكل من الاشكال جواز تعدي احكام الشريعة باستعمال وسائل القهـر والظلم والتعسف لانتزاع الاقوال والشهادات فإنه « لا يعصى الله من حيث يطاع » كما ان النص الشائع « ان الغاية لا تبرر الوسيلة »، أي ان الغاية الشرعية والهدف السامي لا يبرر ان للانسان سلوك الوسائل غير الشرعية . بخلاف الجاهلية والجاهليين من المدارس الوضعية اللادينية فإن الغاية عندهم تبرر الوسائل ، وسلوك الظلم والقبائح والمنكرات ، مقبول عندهم اذا كان يحقق لهم الاغراض والاهداف التي استهدفوها .

٧ ـ « واوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج » وهي صفات تكشف وتبرز شدة تقوى الحاكم وورعه عما اشتبه عليه امره ، فقد ورد في الحديث « في حلالها حساب وفي حرامها عقاب ، وفي الشبهات عتاب »، وفي وصية لابنه الامام الحسن يقول أمير المؤمنين عليهما السلام : « يا بني دع القول فيما لا تعرف ، والخطاب فيما لا تكلف ، وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته ، فإن الكف عند حيرة الضلال خير من =

= ركوب الاهوال »، ويقول (ع): « لا ورع كالوقوف عند الشبهة » وقال (ع): « وانما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق ، فأما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ، ودليلهم سمت الهدى ،واما اعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ، ودليلهم العمى »[1].

فلا بد من تمحيص الشبهة ، وتتبع آثارها فما دامت الشبهة تعني التشابه بين الحق والباطل واحتمال وقوع الانسان من خلالهــا في الباطل ، فالشرع والعقل يحكمان بالتأني والتوقف واطالة البحث والتمحيص للخلاص من الوقوع في ورديات الشبهة.

واما قوله (ع): « وآخذهم بالحجج » اي اذا بانت الحجة للقاضي واتضح له الحق ، فلا بد من تنفيذه بحزم واصرار ، وآخذهم : اي اكثرهم اخذاً بالحق وتمسكاً به ، وعملاً على تحقيقه لا تأخذه في الله لومة لائم . وهذا ما ابرزه علي امير المؤمنين بأجلى صوره في احكامه وقضائه مما كلفه اغلى الاثمان ، وحمله افدح المصائب ، حتى قال (ع): « ما ترك لي الحق من صديق » واوصى ولاتـه والسائرين على نهجه ومن بلغهم الى يوم الدين : « ولا يوحشنكم من طريق الحق قلة سالكيه » تنفيذاً لأمـر الله سبحانه « فالحق احق ان يتبع ».

٨ ـ « واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم » فلا بد للحاكم ان يسع الناس بأخلاقه ويوسع لهم في مجلسه ولا يتضايق من كثرة مراجعاتهم له ، ويهيء لهم من سعة صدره ، وحسن خلقـه وفتح بابه ، جواً يأمن فيه المتخاصمون على دمائهم وكراماتهم فيقولون ويدافعون عن حقوقهم بحرية تامة .

٩ ـ « وأصبرهم على تكشف الامور ، واصرمهم عند اتضاح الحق » تأكيداً =

(١) وسائل الشيعة ج١٨ ص١١٧.

منه (ع) لأهمية تقوى النفس في سلامة القضاء ، وضمان تأديته على الوجه الشرعي ، ومن أهم هذه الصفات النفسية المطلوبة في القاضي صبر القاضي على قول الحق ، سواء فيما يتعلّق باتضاح خطئه او اشتباهه ووجوب الرجوع عنه ، او ما يتعلق بصبره عند تنفيذه الاحكام وحزمه وشدته في الله ، خاصة اذا كانت احكامه عكس رغبات الحكام وذوي المراكز والنفوذ الكبيرة من الاسر الحاكمة والوجهاء والرؤساء ، ولهذا يلزم في القاضي قوة الشخصية وعدم اللين في تنفيذ الحق ، ووجوب الجهر به والصبر على ما يصيبه في سبيله ووجوب العمل على نصرة المظلوم ، واستخلاص حقه .

١٠ - « ممن لا يزدهيه اطراء ، ولا يستميله اغراء ، واولئك قليل » تأكيداً منه (ع) على ضرورة استبعاد العناصر الضعيفة عن الحكم فانهم لا يؤمنون من السقوط فريسة الاغراء ، فيميل لمن يطريه ويجنح لمن يغريه ، ويحكم لمن يرشيه.

ومن مجموع هذه الصفات التي اشترطها في القاضي يستخلص علي (ع) اروع صورة اسلامية للحكام والقضاة الذين يسلطون على كافة جوانب الحياة .

ثم يؤكد (ع) دعوته لمزيد الحذر ، وندرة توفر هذه الشروط بقوله : « وأولئك قليل » وفعلا من يتصف بكل هذه الصفات هم قلة ، ولهذا تجد ان فقهاء الاسلام توسعوا في صفات القضاة ، وهم مجمعون على عظم مسؤولية القاضي ، وان القاضي على شفا حفرة من الهلكة : على حد بعض الاحاديث وفي بعض الاحاديث فيما روي عن ابي عبد الله (ع): قال : القضاة اربعة ، ثلاثة في النار وواحد في الجنة ، رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة[1].

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٨ ص١١ .

التفتيش القضائي

ثم اكثر تعاقد قضائه ، وافسح له في البذل ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته الى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك ، فانظر في ذلك نظراً بليغاً ، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار ، يعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا(٣٨) .

= وخلاصة الامر تؤكد خطورة منصب القضاء والقضاة وضرورة التثبت فيه ، ويتحمل الامام والقائد مسؤولية كبرى في تعيين القضاة ، وصدق الله العظيم حيث يقول : « **وقليل ما هم ، وقليل من عبادي الشكور** » (سبأ : ١٣) .

(٣٨) « **تعاهد قضائه** » اي مراجعة وتدقيق محاكماته وأحكامه وفيها يأمر امير المؤمنين (ع) بلزوم استمرار التدقيق والمتابعة ، فإن القاضي قد يكون مستقيماً وملتزماً في أول أمره لعدة مبررات منها عدم ابتلائه ، ومنها علمه بالمراقبة والتفتيش ، ولكنه ينحرف ويتهاون اذا استمر واستتب له الامر وأمن المراقبة والمحاسبة . وكثرت عليه عوامل الانحراف . وبذلك يؤكد امير المؤمنين (ع) حقيقة هامة جداً وهي إن توفر الشروط اللازمة في القاضي والتثبت عند تعيينه وان كانت واجبة ومهمة جداً ، لكنها لا تضمن استمرار استقامة القاضي والموظف ، وبقاء تلك الصفات والملكات ، بل لا بد من استمرار المراقبة والمحاسبة لضمان استمرار استقامته . ولا ينسى أمير =

. . . .

= المؤمنين (ع) الاشارة الى معالجة امراض القضاة والحكام معالجة ايجابية بناءة وذلك كما يقول (ع): « وافسح له في البذل ما يزيل علته. . » بان يجزل للقضاة في العطاء والمرتبات ، حتى يستغنوا عما بأيدي الناس فمتى ما كان المال موفوراً له من الطرق المشروعة ، بلا وجل ولا منّة ، لا تبقى لديه حاجة للمال تحمله على طلبه من الطرق غير المشروعة . كالرشوة واستغلال النفوذ وغيرها ، وباستغنائه مادياً ، تقل حاجته الى الناس فلا يحابيهم فيميل عند الحكم والقضاء .

كما يوصي (ع) بايجاد الحماية الكافية للقضاة والحكام ورفع درجتهم : « وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك » وبذلك يلزم توفير الاحترام الشخصي للقضاة والحكام اكثر من غيرهم ، واعطائهم المنزلة والدرجة الرفيعة في تسلسل مراكز الدولة وان يكون للقضاة المكانة العليا بعد رئيس الدولة ، فإن ذلك مدعاة لحواشي الحكام وخواصهم بعدم التدخل في شؤون القضاء او التأثير على القضاة وايجاد الجو الرسمي والاجتماعي بعدم قبول الوشاية بهم ، لان القاضي متى ما أَمن الغائلة ، سار على الحق ، والتزم به مهما كان المحكوم عليه وجيهاً أو قريباً من الوالي وينقطع بذلك دابر شفاعة الحواشي والاسر الحاكمة واعوان السلطان ، الذين هم دائماً مصدر تأثير وارباك للقضاء والقضاة . كما أن تلك الاحتياطات المشدَّدة لا تبقي لذوي النفوس الضعيفة من القضاة أي مبررٍ للانحراف وتعطيل الحقوق .

ويختم علي (ع) هذا الفصل بالدعوة لقراءة سير الماضين ، مشيراً الى أمثلة في الانحراف بهذا السبيل وكم عانت البشرية من ويلات قضاة السوء وحكام الجور والفساد ، وليس ببعيد عنا سجل التاريخ الحافل بالمآسي والآلام ، والذي ساهم في عرقلة مسيرة الاسلام ، وشوه وجهه الكريم ، حين استلم الحكم والقضاء من ليس له اهلية ذلك ، فعاث الامويون والعباسيون في البلاد والعباد اي فساد واستلم غير الاكفاء من الاسر الحاكمة واعوانهم الحكم والقضاء ، ووزعت المناصب على صبيان الاسر وخدمهم ، فأشاعوا الظلم =

أسس تعيين الولاة وحكام المناطق

ثم انظر في أمور عمالك ، فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباة واثرة ، فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء ، من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم في الاسلام المتقدمة فإنهم أكرم اخلاقاً ، وأصح أعراضاً ، وأقل في

= والفساد ، وعطلوا الحدود ، وحكموا بغير ما أنزل الله ، فكان عاقبة امرهم خسراً ، وشكلت تلك الانحرافات وسوء التصرف ثغرة نفذ من خلالها اعداء الاسلام ، للتشهير بالشريعة الاسلامية مستشهدين بسير واعمال ادعياء الاسلام ، وهي سير عفنّة مليئة بالجور والتعسف والاستبداد . ولا يحتاج الباحث عن سوئها وانحرافها الى كبير عناء . ولا زالت بعض فصول هذه الصور الشوهاء ، التي تنتمي للاسلام افكاً وزوراً ، من حكومات الجور والفساد المتحكمة في اجزاء عديدة من الوطن الاسلامي زرعها ونمّاها ودافع عنها الاستكبار العالمي ولا زالت تعطي الدليل تلو الدليل على طعن الاسلام ، وتجر على المسلمين الويلات والدمار ، وتركز حرف وابعاد المسلمين عن روح الاسلام العظيم ونظامه العتيد وتعطي الدليل لاعداء الاسلام باتهامه بأبشع التهم وتنفير الناس منه . لهذا فلا بد من وقفة صارمة للثوار الاسلاميين في عصر الصحوة الاسلامية لمعالجة هذه النقاط وعدم فسح المجال لتكررها في اجوائنا الاسلامية ، وان توضع هذه النصوص العلوية المباركة موضع التقنين والعمل ، لأن القضاء من مواضع زلل الاقدام ،ونادراً ما ينجو القضاة من الافات.

المطامع اشراقاً ، وأبلغ في عواقب الامور نظراً ، ثم اسبغ عليهم الارزاق ، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمركـ ، أو ثلموا أمانتك(٣٩) .

---

(٣٩) « فاستعملهم اختباراً » اي اختبرهم وامتحنهم قبل التعيين ، ولا يصح التعيين واعطاء المناصب والحكم والادارة إلّا بعد الاختبار والامتحان ومعرفة ملكاتهم وامكاناتهم وضوابطهم الدينية والتربوية .

والمحاباة : اعطاء الشيء بلا استحقاق ولا عوض ، وهي تشكل في مجال الوظائف والمناصب ظاهرة تجاوز على حقوق الآخرين ،خاصة في المراكز والمناصب الهامة في حياة الامة ، ومرضاً خطيراً من أمراض اجهزة الدولة .

والأَثَرَة : أيضاً عطاء فيه تجاوز وعدم استحقاق ، وأصل الأَثَرَة : اختيار الشيء وتقديمه على غيره والمرفوض منه حين يكون هذا التقدم على حساب الغير الذي نحيّ أو أخّر ، ولعل الغير هو المؤهل والمستحق ، ومعلوم مدى ما تلحقه حالة المحاباة والأثرة في توزيع مناصب ومهام الدولة ، ومدى ذلك من الإضرار بالبلاد والعباد.

ويورد أمير المؤمنين (ع) عدة نقاط هامة ضمن شروط وتعاليم يجب مراعاتها عند تعيين الحكام والمسؤولين ، حيث يؤكد (ع) ما سبق أن أشار له موضحاً أن مقياس تعيين العمّال والاداريين يجب ان يكون هو الامتحان والاختبار لمعرفة الكفاءات والملكات في المتصدين لتلك المناصب ، وعدم التعويل على الشفاعة والتزكية في تولية المناصب ، ومخاطر تلك الاساليب ، فلا بد من توخي واختيار الصالحين من اهل التجارب والحنكة ، واخضاعهم للامتحان والاختبار الدقيق ، ويفضل فيهم من نمته البيوتات الكريمة الصالحة ، فان للتربية الاسلامية الكريمة أثرها الفعال في اخلاق الرجال ومسالكهم على أن يكون مشفوعاً بكل ما تقدم من الصفات والملكات ، ثم يؤكد (ع) ما أشار له =

ضوابط جهاز العيون والمراقبة

ثم تفقد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية[٤٠].

= سابقاً ،بأن من دواعي ترشيح أهل الملكات الصالحة والاخلاق الكريمة ، هو اسباغ النعمة عليهم ، والتوسيع في ارزاقهم وطموحاتهم المشروعة ، لان الحاجة والفاقة مفسدة لا تضاهيها مفسدة ، وفرصة من فرص الشيطان للاغراء بالخيانة وتجاوز حدود الله ، وفي الفقر والحاجة سبل مشجّعة على الخيانة والانحراف ، كما يشير (ع) الى نقطة هامة في الموضوع ، بان توفير المال للحكام والموظفين وإغنائهم عمّا بأيـد الناس سيقطع حجة المنحرفين الخائنين ، ويعطي الدليل على عدم كفاءة الموظف الخائن وقدرته على الاستقامة والامانة ، كما يعطي الحق لولي الامر بانزال أشد العقوبات على الخائن والمقصر .

(٤٠) يضع أمير المؤمنين (ع) اطروحة الرقابة والتفتيش الايجابي من منظور اسلامي هادف ، ولعله أول نص اسلامي يأخذ طابع التقنين والتدوين حيث يوصي (ع) باعتماد الرقباء والعيون الصالحين من أهل الصدق والاخلاص والصلاح ، لان الفاسد لا يصلح لهذه المهمة ، والقرآن صريح بوجوب التثبت من المخبرين : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (الحجرات : ٦) وكم هي هزيلة=

= ومأساوية الاطروحات الجاهلية التي اعتمدتها الانظمة غير الاسلامية في هذا المجال منذ القدم وحتى اليوم :

١ - في مجال الاجهزة الامنية التي ادعي انها لحماية الامة ومصالحها فتحولت بسوء ادارتها الى اجهزة قمع وارهاب ، لا هم لها الا ارهاب الامة واخافة الآمنين ، وزعزعة اركان العدل، ومسرباً وبؤراً للتآمر وتدمير الوجودات والافراد تحت حجج الامن ، وان العالم اليوم يتلقى باستمرار الضربات والآلام من هذه الاجهزة التي لم تبن على التقوى والصلاح . وتتوالى فضائح هذه الاجهزة من تسرّب الفساد اليها وخيانات كثير من كوادرها ، وسرقة اسرار الامة والدولة ، كما تحولت بشكل كامل لحماية مصالح الحكام والحكومات دون النظر لمصالح الامة بل على حساب مصالح الامة وامنها وحقوقها السياسية والادارية والاجتماعية ، من هنا كانت الحاجة ماسة لبناء جهاز امني كفوء وصالح يعتمد الاحكام الاسلامية شكلاً ومضموناً ، بعيداً عن مساويء هذه الاجهزة وعيوبها ومخاطرها ، حيث يضع أمير المؤمنين (ع) لبنات بناء هذا الجهاز ومقوماته ابتداء من تسميته بجهاز العيون مضيفاً له اهم صفات افراد هذا الجهاز « وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء » فمع عدم الصدق تحل الكوارث بظلم الناس والافتراء عليهم كما هو معروف من قصة الآية الشريفة التي اسلفنا ذكرها ، ومع عدم الوفاء للمسؤولية وعدم شعور العين بقيمة مهمته تحل الفوضى والاهمال وما يعقبهما من كوارث وخسائر على الحكم والامة.

٢ - في مجال الرقابة والتفتيش الاداري التي يشير لها أمير المؤمنين (ع) ويحث على اعتمادها باعتبارها وسائل تضمن استمرار صلاح الموظفين وحسن سيرتهم بالامة ومدى التزامهم بالعدل والنظام « فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية » وواضح مدى الاهتمام بالغاية والوسيلة معاً ، فمن اعتماد =

= العين الصادق الوفي ، الى مواصلة المراقبة المؤدية حتماً بالموظفين لاداء مهامهم على أحسن وجه ورعاية الامة والرفق بها ، وما احوجنا اليوم الى هدي الاسلام ، ولمسات الحاكم العادل والقائد المحنك الذي يمثل الحزم والدقة وحسن الادارة بما يضمن للامة حقوقها وكراماتها دون عنف او ارهاب.

وهناك مشاريع تطلع بها علينا الانظمة الوضعية ، ولكنها لم تعتمد العدل والحق ، أملتها الحاجة التي تتفاقم من جراء سوء ادارة الموظفين أو فسادهم أو عجزهم ولكنها واضحة الفشل ، وليس ببعيد عنا لجان المراقبة والتطهير - سيئة الصيت - والتي يهرج منشؤوها عند اعلانها بأنها المخرج والعلاج لامراض اجهزة الدولة وموظفيها ولكن الشعوب باتت تسخر عند سماع اعلان لجنة من هذه اللجان لفشلها المتتالي عن معالجة جراحات البشرية في هذا المضمار ، وكيف ان تلك اللجان تتكشف بعد حين بهزالها وفسادها ، وتعود هي بحاجة الى تطهير ومحاسبة ، كل ذلك لانها بنيت على أسس غير سليمة واعتمدت وسائل غير صالحة ، واستعانت بعناصر غير كفوءة وأمينة ، بينما نجد الاطروحة الاسلامية للتفتيش والمراقبة التي شرعها الله سبحانه والتي يسجل مضمونها امير المؤمنين (ع) في هذا الفصل من عهده المبارك ، حيث يضع (ع) أسس هذا الجهاز واهدافه ومجالات عمله ، وتكمن قيمة هذه الاطروحة وضخامة مؤداها انها لا تهدف لتأديب ومعاقبة المخالف فقط ، بل تذهب لما هو أهم بكثير منه ، وهو محاولة اقتلاع جذور الانحراف وتهيئة الاجواء التي تضمن استمرار استقامة الموظفين وسلامة اعمالهم حيث يقول (ع): « فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية » ومن هنا يتضح رأي الاسلام بالجهاز الامني وأنه لخدمة الامة وقضاء حوائجها وحسن رعايتها وتوفير امنها واستقرارها ، وليس للتجسّس على الناس وسلب راحتهم وامنهم لصالح الحكام ، ومما لا شك فيه ان الوقاية خير من العلاج ، وان الامة تنتفع بالجانب الايجابي من هذه الرقابة المتمثل في ردع الولاة والموظفين وصرفهم عن المخالفات وتجاوز الحق والعدل ، اكثر من =

وجوب الحزم

وتحفظ من الاعوان ، فإن أحد منهم بسط يده الى خيانة ، اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بـذلك شـاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدنة وأخذته بما أَصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التُّهمَة[٤١].

= انتفاعها بمعاقبة المخالفين وابعادهم .

وان الاسلام يهدف اولاً لاقامة موازين العدل والاستقامة ولا يلجأ للعقوبات الا في حالة عدم امكان الاصلاح والتقويم ولا يعاقب إلاَّ في حالة استنفاذه لكافة الوسائل الوقائية والاصلاحية ، ومن اهم هذه الوسائل فرص الوقوع في المخالفة بوضع الضوابط والتحذيرات والمراقبة والتفتيش الدائم وهذا من أنبل الاسباب والمبررات لتأسيس الاجهزة الامنية وهيئات التفتيش والمراقبة . ولا بد ان تعي الامة بكافة فصائلها مهمة العيون والرقباء من هذا المنظور الانساني النبيل .

(٤١) نكتشف خطر فساد الحواشي والاعوان ، من اهتمام الاسلام فيما جاء في الكتاب العزيز :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيّنا لكم الايات ان كنتم تعقلون ﴾ (آل عمران : ١١٨).

= أما امير المؤمنين (ع) فله جولات ومواقف تاريخية حاسمة تجاه الحواشي وبطانات السوء ومخاطرهما على الاسلام والمسلمين وعلى الكيان البشري وسعادته . ففي معرض تشخيص اهم صفات البطانة يقول (ع): « ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلةَ انصاف في معاملةَ فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال. . » وقد جمع أمير المؤمنين (ع) في هذه الفقرة وصف اهم عيوب البطانة مقرونا بالامر الصارم بقطع فرص الافساد والتسلُّط والنهب على البطانة والاعوان بكل ما يمكن قطع دابر تلك الامور ، وبذلك يلزم الولاة والرؤساء بشدة الحذر والتنبه لمشكلة فساد الاعوان والحواشي واستغلالهم للسلطة ، وتهاون الكثير منهم بفرائض وحقوق المجتمع ، واقدامهم بجرأة على المخالفات والتجاوزات اعتماداً منهم على مكانتهم عند ولي الامر ، وعدم قدرة احد على محاسبتهم ومعاقبتهم « ومن أمن العقوبة أساء الادب » وكم من حاكم ورئيس قد جرَّت عليه حاشيته واعوانه الدمار والخراب . وكمثل واحد على ذلك مدة خلافة عثمان بن عفان وما جرَّته من ويلات واثار مدمِّرة على الاسلام والمسلمين ونلمس ذلك من شدة وجد امير المؤمنين (ع) وتألمه البالغ من تلك الظواهر المَرَضية التي أنشبت أظفارها في المجتمع الاسلامي . وفتحت علينا ابواب الشر والفساد الى ما شاء الله من الازمان ، فنرى علياً (ع) يشير لذلك في خطبته الشقشقية المشهورة « . .وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع ، الى ان انتكث عليه فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته. . » وبذلك يشخص امير المؤمنين (ع) ان من اسباب سقوط عثمان قتيلاً وتنامي الفتنة هذه الظاهرة اللااسلامية وعدم معالجتها بحزم وحنكة وعلي (ع) لا يكتفي بتشخيص هذا الداء والتحذير من خطره فحسب ، كما هو شأن الكثيرين من لاعني الظلام المتظاهرين بحب العدل وادانة الانحراف ، وانما يصف (ع) العلاج ، ويأمر بتطبيقه ، ويتحمل قسطه في حل المشكلة ، ويحمل ولاته وعماله المسؤولية والمحاسبة ، وهذا هو الاصلاح الحقيقي ومنهج مصلحي البشرية ، وقد قيل في المثل : « أنر شمعة في الظلام خير من أن تبقى تلعن الظلام الليل كله »=

. . . .

= وفي حياة علي (ع) ومنهج عمله خاصة ايام تسلمه السلطة من الشواهد ما لا يحصى على حرصه لسد منافذ الفساد في بطانته وقطع دابر حواشي السوء ، وتربيه‌حاشيته واسرته على افضل الاعمال واكمل السير والاخلاق والممارسات حيث ربى ادارة رسالية بقيت خالدة بخلوده ، شامخة كشموخه ، كمالك الاشتر ، وقيس وابن ابي بكر وغيرهم من افذاذ الرجال . فعلي (ع) بنى في نفوس أسرته وحاشيته عامل التقوى الحقيقي ، والهيمنة على النفس ، ومرّن اصحابه ومن حوله على لزوم التقوى ، والابتعاد عن حالة التملّق والرياء وكثرة الاطراء ، وسجل ذلك ضمن دروسه اليومية التي يمليها على من حوله وتركها عبراً للاجيال ، حيث يقول (ع) في بعضها « فلا تكلموني بما تكلم بـه الجبابرة ، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند اهل البادرة ، ولا تخالطوني بالمصانعة ، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي ، ولا التماسٍ اعظام لنفسي ، فإنه من استثقل الحق أن يقال له ، او العدل ان يعرض عليه ، كان العمل بهما اثقل عليه ، فلا تكفوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل . . » وهنا يقف الانسان المنصف امام هذا المصلح العظيم والرسالي المخلص الفريد موقف الدهشة والاكبار لاخلاصه (ع) للعقيدة ونهج الهدى والرشاد وتوجهه بجد ومثابرة لبناء الجهاز الاسلامي الصالح بما لم تشهد له البشرية نظيراً وستبقى مدينة لفكر علي (ع) ودروسه وممارساته . ويستنتج من كثير من فقرات العهد الشريف رأي الاسلام في مشروعية جهاز العيون والمراقبة بل ولزومه لكل حكم وحاكم واعتبار هذا الجهاز جزءاً مهماً ولازماً لحماية العدل والامة ، وتطبيق شريعة الله سبحانه ضمن ضوابط التعيين السابقة والدقة في اختيار عناصر هذا الجهاز والتحفظ من انزلاقه لتجاوز الحق نقرأ ذلك صريحاً في قوله (ع): « اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك » اي بالادلة المعتمدة على اقوال جهاز العيون بأمر ورعاية ولي الامر ، وبذلك يغلق الباب أمام الوشايات الكاذبة ومساعي الساعين بالنميمة وهو ما لا تخلو منه ساحة ، ولا يسلم منها انسان ذو جاه او منصب او نعمة . وحين تجتمع الادلة وتقوم البينة بموازين العدل على فساد او انحراف او تعطيل او تجاوز للحق والعدل يقترفه =

= موظف أو مسؤول ، فلا بد من فرض العقوبة اللازمة على المجرم ، مهما كان مركزه ، ووجاهته وقربه ، ويوصي (ع) بالحذر من التواني او تعطيل الحدود والعقوبات بأن لا يحول حبك لذلك القريب والبطانة ، وكبير خدمته لك ، واخلاصه في الوقوف معك في محنك ، ان تعطل عنه حدود الله في القصاص والجلد ، وغير ذلك من احكام الله وزواجره ، لتجعله عبرة لكل من تسوّل له نفسه الخيانة والتجاوز ، او تعطيل احكام الله وفرائضه واوامره وبذلك قطع لدابر الفساد وتثبيت لدعائم العدل بين العباد ، فعامة الامة اذا رأت الحاكم مصراً على تنفيذ الاحكام الالهية لا تأخذه في الله لومة لائم ولا ينجو من عدله قريب او صديق كان ذلك رادعاً قوياً لهم عن التعدي لحدود الله ، وحافزاً على الاقلاع عن المنكرات والجرائم . كما يوصي (ع) ان تكون العقوبة كما هي على العامة فهي على الخاصة ان لم تكن على الخاصة اشد واكبر كما هو واضح من قوله (ع) في بعض كلامه « فنكل به » ولا بد من الاعلان عنها والتشهير بالمجرم لتقبيح الجريمة في عيون الناس وهذا هو الجانب التربوي البناء في عملية العقوبة لا بداعي التشفي والحقد المذمومين كما يتوهم من لم يفهم اسرار الشريعة ولم يستوعب اغراضها ومراميها وعملية اعلان العقوبة صريحة في الكتاب العزيز : « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (النور : ٢). وهنا يكمن السر والهدف من وراء فضح الخيانة والخونة المارقين عن احكام الله الساعين بالارض بالفساد ، وهي عملية تربوية بناءة للحد من الاقدام على المنكرات ، وبناء صرح الاصلاح الاجتماعي وصدق الله العظيم حيث يقول : « **ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب** »(البقرة : ١٧٩).
ويؤكد أمير المؤمنين (ع) على ضرورة التشهير بالمجرم المتعدي ضمن ثلاث صيغ ، وهي غاية في الشدة والصرامة ومجابهة المنكر حيث يقول : « ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة » وذلك كقطع يد السارق مثلاً أو الجلد او الرجم في جرائم أخرى ، لما في ذلك حماية للمجتمع بالاقتصاص من المجرم والتشهير بالانسان المجرم باعتباره مريضاً بأخطر الامراض والاوبئة ، لكي لا يخدع به الناس ثانية فلا يقعوا تحت مخالبه . =

تنظيم موارد الدولة المالية

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم لأن

= ولا اشكال ان عقوبة مجرم واحد والتشهير به على ملأ من الناس ، كل ذلك يغتفر بجانب حماية المجتمع من التلوث بمرضه ، والحد من تسرب وبائه ، وانتشار منكراته ، كما يغتفر عزل مرضى الابدان ووضع العلامات المميزة عليهم ،كوضعهم في المحاجر الصحية وفرض العزل الصحي عليهم ، ومنع الناس من الاختلاط بهم ، كل ذلك في سبيل حماية المجتمع من التلوث والابتلاء بدائهم ، ولا أظن ان مرضى الجريمة والانحراف اقل خطراً على البشرية من مرضى الابدان.

ومع فرض حالة التستر في العقوبات ،وعدم اقامة الحدود علانية ، وعدم التشهير بالمجرمين فان العقوبة تفقد اهدافها السامية التي استهدفها الاسلام في تشريعه للحدود والعقوبات البدنية وهو تفريغ للحكم الاسلامي من محتواه التربوي ، وحرمان للامة من الانتفاع بمردود هذا التشريع وآثاره النفسية ، وبالتالي فالتستر على العقوبة ، هو تستر على الجريمة والمجرمين ، واتاحة الفرصة للمجرم الذي جلد أو طرد سراً من الباب ان يعود من النافذة ثانية ، كما حدث ويحدث على مسرح الحياة من تسلل المنافقين والمجرمين الى كثير من آفاق الحياة التي تكلف الامة كثيراً من الخسائر والاضرار لهذا نلمس شدة اهتمام امير المؤمنين (ع) بهذه النواحي ، وتأكيده عليها في اكثر من موطن =

الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلّا قليلاً[٤٢].

= وموقف ، وبأوضح النصوص وبما لا يقبل التأويل والتحريف : « ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة »، نعم اذا كان الامام هو الحاكم وكانت لديه من الملاحظات والظروف ما يستدعي صيغة من صيغ الحيطة والتستر لمصلحة اسلامية يشخصها الامام المعصوم او الولي الفقيه ، او كانت الامة تعيش وضعاً استثنائياً تعطي للامام حق اختيار طريقة العقوبة ووسيلة عرضها على الامة بما لا يتعارض مع صريح احكام الله واوامره.

(٤٢) الخراج : بالفتح والتخفيف · هو ما يحصل من غلة الارض ، وقيل : يقع اسم الخراج على الضريبة والفيء والجزيّة والغلة . فالخراج اذن هو حصة الدولة من غلات الارض وحاصلاتها وهو رصيد الدولة المالي المتجمع من أجرة الارض الخراجية ووارد الارض المزروعة بيد الدولة او تأجيرها للآخرين ، ولا زالت الزراعة تشكل العمود الفقري لميزانيات الدول النامية ، وتعتبر الزراعة معلماً من معالم النمو والازدهار الاقتصادي بين الامم حتى في عصر الثورة الصناعية ، واكتشاف الطاقات والثروات الطبيعية كالنفط والمعادن الاخرى ، كما ان الكثير من القطاعات الصناعية متوقفاً ومديناً للزراعة بموارده الاولية وخاماته الضرورية ، وفي هذا الفصل من العهد يؤكد (ع) بعمق ووضوح جدارة الاطروحة الاسلامية وانسانيتها في معالجة قضايا المجتمع ، وتشخيص أهم أمراض الحكم والحاكمين ، وان كثيراً منهم لا هم لهم إلّا جمع الاموال ، والهاب ظهور الكادحين ، وفي مقدمة المضطهدين واكثرهم معاناة وحيفاً هم الفلاحون ، وارهاقهم بالضرائب والجبايات الثقيلة ، دون تقديم ما يضمن استمرار هذه الموارد وتنميتها من رعاية وحماية، لهذا نرى علياً (ع) يؤكد ان مهمة الولاة الصالحين من جمع الخراج بالمفهوم الاسلامي تمر عبر الهدف الاسلامي الواعي الذي يستهدف تنظيم الجانب الاقتصادي ، =

= وتوفير حاجات الامة الضرورية من الرعاية والحماية . مؤكداً (ع) ان بصلاح حال الفلاحين وتنظيم امورهم وتوفير الضروري لشؤونهم وشؤون زراعتهم ، ومراقبة مدى التزامهم بواجباتهم ، تكمن مصلحة وصلاح المجتمع وتتوقف ميزانية الدولة ومشاريعها فيقول (ع) : « لأن الناس كلهم عيال على الخراج واهله » ومن خلال هذا النص الدقيق الواعي تتضح نظرة الاسلام الحكيمة من جمع الضرائب والزكوات ، وانها وسيلة لا غاية ، فلا بد أن يكون نظر الحاكم الاسلامي متجهاً للغايات السامية المنشودة من تشريع هذه الاحكام ، وهي عمارة الارض ، وحسن استغلالها ، وان ذلك اولى من قصر نظرة على جمع المال فقط ، علماً بأن التوجه لجمع المال فقط دون السهر على عمارة البلاد واصلاحها مدعاة لخراب البلاد وهلاك العباد، وان الحاكم الجشع الذي يقصر نظره على جمع المال سيجني على المجتمع وعلى نفسه ولا يستقيم امره الا قليلاً ، وعلى ذلك من الشواهد والامثلة ما لا يحصى . وليس ببعيد عنا النظرة الحمقى التي سار عليها الكثير من الحكام ممن انتسبوا للاسلام دون وعي وتقوى ، كالذين اضاعوا الاندلس ، وسببوا انحسار المد الاسلامي من ملوك وولاة ، وسلاطين الحكمين المنحرفين الاموي والعباسي .

وزاد في المحنة سيرة اكثر حكام وسلاطين الدولة العثمانية ، حيث كانت همومهم وهموم وكلائهم وولاتهم ناظرة لجمع المال فقط . فيخرج الوالي والحاكم من اسطنبول ، وجل همه ان لم يكن كله جمع المال وتوفيره لشهواته وشهوات اسياده ورؤسائه دون النظر لعواقب الامور ، وكانت الدولة العثمانية باسم الاسلام تحكم اعظم واثرى بقاع العالم ، وتهابها كبريات الدول ، وتمتلك ضمن مناطق نفوذها في العالم الاسلامي جل مصادر الثروة العالمية من الزرع والضرع والخامات الثمينة والمعادن النادرة والماء والهواء والشمس والارض والطبيعة. .ويسيل لذكر ثرواتها لعاب الشرق والغرب الا ان السلوك السيء وجشع الحكام وجهلهم وتوجههم لجمع المال فقط ، دون الاعتناء بحاجات البلاد الاخرى من تطويرها وتنمية مواردها الطبيعية كالزراعة والصناعة والنفط وغيرها ، كان من أهم وابرز جوانب الفساد الذي جر على الدولة والامة =

الرأفة بالمجتمع

فإن شكوا ثقلاً أو علّة ، او انقطاع شرب أو بالة ، أو احالة أرض اغتمرها غرق ، أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو

= والبلاد الاسلامية الخاضعة للحكم العثماني الويلات والفقر والمجاعة والمذلة ، وحطم معنويات البلاد والامة الاسلامية ، وأخرّها أيّما تأخير ، وجعلها عرضة للغزو الصليبي الاوروبي الكافر ، بمدنيته السخيفة الفاسدة ، وماديته الالحادية الكافرة ، فمزقت الدولة العثمانية شر ممزق ، وجنت على الاسلام والمسلمين ، واعطت للاعداء المثل الواضح للجهل والتخلف والظلم ، وسوء الادارة ، مما جرّأ دعاة الكفر والفساد فزعزعوا ثقة الامة بدينها واستدرجوها للافكار والاطروحات الجاهلية الكافرة ، وبالتالي تمكنوا ان يقيموا على اشلاء الدولة العثمانية واجزائها الممزقة دولاً علمانية كان اشرّها واتعسها الدولة العلمانية التركية في انقرة مثالاً للتمرد والتنكر للدين الاسلامي وحرب المسلمين ، مع الخضوع الكامل للغرب وافكاره الالحادية وتنفيذها لكل اطروحات الفساد والضلال وتشريع ذلك وتثبيته في قانون الدولة الاسلامية ، والتي حكمت العالم الاسلامي بأسره تقريباً ، وفي ذلك من الطعن والوهن على الاسلام والمسلمين ما لا يحصى ، بالاضافة الى انحيازها سياسياً للغرب ودخولها تابعاً ذليلاً لحلف شمال الاطلسي ، ولو دققنا وانصفنا لوجدنا ان من ابرز مبررات ومسببات هذا الانحراف هو سياسة آل عثمان السابقة وجشعها في جمع المال دون التفكير بعواقب الامور.

أن يصلح به أمرهم ، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك(٤٣).

مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم ، معتمداً فضل قوّتهم ، بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم ،

---

(٤٣) يوصي (ع) بأن يتسع صدر الحاكم لسماع آهات الامة وتشكياتها وان يهيء نفسه لقبول المعقول من اعذارها ، والكف عن ارهاق الناس بالضرائب والرسوم الثقيلة خاصة اذا تعرضت محاصيلهم الى العلل والافات من « انقطاع شرب »: اي ما تشرب منه الارض من الانهار والآبار والامطار.

« او بآلة » بالتشديد : أي ما يبل الارض ويروي الزراعة من ندى ومطر.

« او إحالة » أي عدم انتاج الارض لاحد الاسباب المذكورة ، اما لزيادة الماء لحد الغرق ، وبذلك تفسد الزراعة ، او بعطشها لحد الموت وعدم ادائها للثمرة المطلوبة ، مشيراً (ع) الى اهم الحالات التي يمكن ان تخفق الزراعة او تموت او لا تؤدي الحاصل المطلوب. وان التخفيف عن الامة في مثل هذه الحالات او اعفاء المزارعين مما كتب عليهم من اجر الارض وضرائبها مدعاة لتحسين احوالهم ، وهو بالتالي مرده للصالح العام ، حيث يؤدي لمواصلة العمل وانتعاش الاقتصاد وشيوع الرفاه، بخلاف ما لو شدد الحاكم ولم يراع ظروف المزارعين وما يطرأ على الزراعة من آفات وكوارث ، فإن ذلك سيرهق الناس ، ويدفعهم لبغض الحاكم والانصراف عن العمل والزراعة . كما ينصح امير المؤمنين (ع) الحكام والولاة ان لا يثقل عليهم العدل والانصاف او ان يستكثروا اعفاء الامة مما يثقل عليها آنياً ، وان كان ذلك يجلب ضرراً مؤقتاً بقلة الايرادات الا ان ذلك العفو رصيد مذخور يحمل الامة على الوفاء به للدولة ويؤدي لاعمار البلاد وازدهارها ، ويطيب سمعة الدولة وقادتها ، ويحببهم للرعية ، وفي ذلك ما لا يخفى من الخير والاستقرار للاسلام والمسلمين وللبشرية عامة .

والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ، ورفقك بهم ، فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به ، فإن العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب الارض من إعواز اهلها ، وانما يعوز اهلها لاشراف أنفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر [٤٤].

---

(٤٤) بحث رائع تعجز افكار علماء الاقتصاد والسياسة عن الوصول لسمو معانيه ، وجدارة مبانيه ومنطلقاته ، حيث يواصل أمير المؤمنين (ع) نصائحه وتوجيهاته لولاة الامور بمزيد من الاحسان واشاعة العدل ، فان الاحسان ، وحسن الادارة ، وافشاء العدل في البلاد ، من احسن ما تدخره الحكومات وولاة الامور عند شعوبهم ، حيث يحمل الناس على اطراء الولاة ومدحهم والرغبة ببقائهم ودوام ملكهم ، والدفاع عنهم ببذل الاموال والانفس، كما ان حسن صنيع الولاة والتخفيف عن كواهل المحكومين ، يبيح للوالي التبجح بالعدل والتظاهر به ، ومطالبة فصائل الامة بالالتزام به ، ومقاييس الناس حساسة متأثرة ، فهي لا تحتمل الاقوال الفارغة ، ولا تصغي من واعظ غير متّعظ والله سبحانه يقول : « **يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون** »(الصف : ٢).

فلا بد للوالي والحاكم والقائد والزعيم من زرع الثقة في نفوس الامة ، ولا يتم ذلك بالدعاوى الفارغة ، لهذا يقول (ع): « بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم » وان تلك السيرة الحسنة المحكومة بالعدل والاحسان ستكون ذخيرة ورصيداً للحكم والحاكمين ، وديناً في عنق الامة ينتظر وفاؤه منهم في احرج الظروف واشدها ، ثم يؤكد (ع) حقيقة هامة ترتكز على أسس رصينة من الخبرة والتجارب ، بان البلاد اذا كانت مزدهرة اقتصادياً ، ولم ترهقها كثرة الضرائب وجشع الحكام وسوء ادارتهم ، ستكون حينذاك مستعدة للظروف الاستثنائية كالحرب والطوارىء والكوارث التي قد تتعرض لها البلاد ، وستتقبل الامة كل التبعات برحابة صدر ، مشيراً (ع) ان منطلق هذا الحكم وأساسه يعتمد على دعامتين منطقيتين وهما : =

= اولاً : ثقة الامة وحبها للحكم والحاكمين ، وما يتولد عن ذلك من استعداد للتضحية والبذل لدعم الدولة في مواقفها المحرجة وعدم خذلانها « . . ما اذا عولت فيه عليهم احتملوه طيبة أنفسهم به . . ».

وثانياً : ان تكريس العمران والاهتمام بتنمية اقتصاد البلاد وازدهار مواردها الطبيعية من زراعة وغيرها كلها عوامل تعد الامة والبلاد لاحتمال الطوارىء والصمود بوجه الجدب والهزات الاقتصادية ومقاومتها ، حيث يشير (ع) لذلك بقوله : « فان العمران محتمل ما حملته » وهي حقائق علمية منطقية لا يمكن تجاهلها او تجاوزها، ونتائجها حتمية لا زالت موضع اعتناء من كبار علماء الاقتصاد ورواد الاصلاح الاقتصادي .

ثم يؤكد (ع) بالمقابل وكنتائج حتمية للسير الخاطئة والسياسات الجشعة النهمة التي لا تأخذ بعين الاعتبار تلك الملاحظات والاسس السليمة لحماية اقتصاد البلاد ، فلا بد أن تأتي النتائج عكسية ، مشيراً (ع) لحالة الترتب وتسلسل النتائج بعضها على بعض : « وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها ، وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع » ، فمما لا شك فيه ، ان من أهم اسباب خراب البلاد ، وانتشار الفساد ، وشحة الموارد هو توجه الولاة والحكام لجمع المال فقط ، دون التفكير بمصادر الثروة والطاقة ، والعمل على تنميتها وادامتها وحمايتها ، وايجاد السبل والوسائل لانعاش الامة ،وتحسن احوالها الاقتصادية ، ثم يبين (ع) علة تجاهل الولاة والحكام لهذه الحقائق راجع لعدم ثقتهم بالبقاء في مناصبهم « وسوء ظنهم بالبقاء » واحتمال عزلهم او انقلاب الامة عليهم ، فيما يتحرك الحاكم المسلم الواعي في مجالات عمله من منطلق الاسلام العظيم واسسه الحكيمة التي تعتبر الحكم والولاية فريضة شرعية تؤدى من مبدأ الشعور بالمسؤولية وهذا ما سجله امير المؤمنين في اكثر من موقف وخطبة حيث يقول (ع) في بعضها : « اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من =

....

= عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك » « النهج : خطبه ، ١٣١)».

ومع هذه الاطلالة الرائعة من أمير العدل والبيان نكون قد عشنا اهم اهداف الولاية والقيادة وانها وسيلة لا غاية ، نعم وسيلة لاقامة حكم الله وتنفيذ عدله في بريته . وفي مشهد آخر من مشاهد شعور امير المؤمنين (ع) بالقيمة الحقيقية لاستلام الحكم والقيادة ، وانها مسؤولية كبرى يتبرم منها الابرار وتـطول حسراتهم من تبعاتها، فلا بد من الاعذار فيها والاجتهاد لاداء حقها ، وانها فريضة فرضها الله سبحانه لا مناص منها حيث يقول (ع): والألم يعتصر قلبه : « أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كضة ظالم ، ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت أخرها بكأس أولها ، ولالفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز » « النهج خطبه : ٣».

هذا هو الحكم في المنظور الاسلامي وعند أئمة الهدى والرشاد ، اما الحكام والولاة الذين لا ينطلقون من منطلق اسلامي ، وانما يعتبرون الحكم وسيلة للتحكم والوجاهة والإثراء ، فحكمتهم المفضلة : « ما لي وللبلاد وعمرانها ، والتفكير طويلاً بذلك ، اليوم هنا وغداً لا اعلم أين المقر فلا بد من اغتنام الفرصة ، وجمع المال على عجل ، وليحلبها دماً عبيطاً »، ومرد ذلك الفكر الخاطيء والمنهج المدمر اما جشعاً وحباً في المال ، أو طلباً لارضاء من فوقه فـي الحكم بالتملق والتظاهر بالاخلاص في تحقيق اكبر رقم في الجباية وجمع المال أو لبذل الرشاوى والهدايا لحواشي الحكام ليدفع عنه طائلة الحساب او يكف عنه اذى الوشاة .

وفي ختام هذا الفصل الرائع من عهد علي (ع) يشير الى حقيقة مرة مؤسفة ، وهي عدم اتعاض كثير من الحكام بالتاريخ وسير الماضين : « وقلة انتفاعهم بالعبر » وكيف ان الامم حكمت بالطرد واللعن وسوء السمعة على كل حاكم جائر لا هم له إلا جمع المال بارهاق الامة وخراب البلاد ، وكيف أدى الحكام الجهلة بتلك السير الفاشلة اغلى الضرائب .

أسس التقييم والمتابعة أو اختيار الوزراء والمسؤولين

ثم انظر في حال كتابك فول على امورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك واسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ، ممن لا تبطره الكرامة ، فيجترىء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك ، واصدار جواباتها على الصواب عنك ، فيما يأخذ لك ويعطي منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل قدر نفسه في الامور فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل(٤٥).

---

(٤٥) عوداً على بدء لبيان أهمية كتاب الولاة والحكام ، وتكمن هذه الاهمية في المهام والمسؤوليات الموكولة لكاتب الدولة ، والدور الحساس الذي يقوم به ، وأثره على الحكم والحاكم والامة مع اشارة الامام (ع) الى أهم أعمال الكتاب وضرورة تخصيص ذوي الكفاءات العالية من خيرة الكتاب والاصحاب لكتابة العهود والمواثيق والخطط السياسية والعسكرية وأسرار الحكم والدولة وغيرها من المهام الكبيرة الخطيرة فلا بد مع جسامة هذه المهام وخطرها من وجود كاتب تقي مخلص عالم بارع بمختلف وسائل المعارف ، خبير بأموال الدولة وقدراتها ، ملم بأحوال الامة والرجال وملفاتهم الشخصية ، ونقاط القوة =

= والضعف فيهم ، محيط بما يستجد من الاحداث والمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية . فوظيفة الكاتب اذاً ذات أثروخطر كبيرين ، ومرآة تعكس وجه الحكم والحاكم ، ولاهمية مركز الكتابة هذا كان يذكر اسم الكاتب مقروناً باسم الوالي والحاكم العام فيقال : « ولى الحكم فلان ، وكان كاتبه فلاناً » كما أن المؤرخين افردوا ابواباً واسعة ومؤلفات في أحوال الكتاب واخبارهم ونوادرهم تضاهى ما خصص للكتابة عن الولاة والحكام والقضاة فهم جميعاً في مرتبة واحدة ، وبمسؤوليات متقاربة ، ومشاكل متشابهة ، ويمكن تشخيص مهمة كاتب الدولة في التسميات المعاصرة بأنها وظيفة رئيس الوزراء او الوزير الاول ، أو هي موزعة في وظائف عديدة منها مكتب رئاسة الدولة ، او مكتب رئاسة الجمهورية ، ووزير الدولة ، وكاتب وامين سر رئاسة الدولة والمستشار الشخصي للحاكم ، بالاضافة الى دوائر ووظائف في هذا المضمار ، فجميع هذه الوظائف والمؤسسات الواسعة اليوم هي من مهام ومسؤوليات كاتب الدولة . وهي حتى في ذلك الوقت وعلى صغر حجم المؤسسات والوظائف ما كانت تقوم بشخص واحد ، فكثيراً ما نقرأ عن جهاز الكاتب وأعوانه ومستشاريه . لهذا نقرأ مدى اهتمام امير المؤمنين (ع) لهذه المهمة وكيف يوصي بأن يكون كتّاب ولاته على الاقطار ، وهي وصية لكل الحكام والولاة والمراجع والقادة ، بأن يعتمدوا على كتاب ووزراء حاوين لافضل الصفات متسلحين بالتقوى والعلم والوعي وصنوف المعرفة الاخرى نقيين من معايب الرجال ، ممن لا تبطره النعمة ، والمركز الذي يحصل عليه من مصاحبة الوالي فيتجرأ بالعصيان والمخالفة ، وان لا يكون من الغفلة والتهاون الذي ينجر للتهاون بمهام الدولة ، وحوائج الامة ويؤخر ما ينبغي المسارعة في الاجابة عليه ، والمسارعة من ابرز معالم التقوى والحزم ،والاخلاص ومعلوم مدى اضرار التهاون وسيئاته وهي آفة الموظفين قديماً وحديثاً .

كما يوصي (ع) بمبدأ اخلاقي تربوي سام وهو عدم امتهان الحاكم والرئيس لوزرائه واعوانه والتحاشي عن الازدراء بقيمة وزيره وكاتبه واحتقاره وانتقاصه =

ضوابط اختيار الموظفين

ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك ، واستنامتك وحسن الظن منك ، فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاة ، بتصنعهم ، وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء . ولكن اختبرهم بما ولّوا للصالحين قبلك ، فاعمد لاحسنهم كان في العامة أثراً ، واعرفهم بالامانة وجهاً فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ، ولمن وليت أمره[٤٦].

= بملأ من الناس ، فإن ذلك مدعاة لتهاون الامة واحتقارها لكتّاب الدولة ومأموريها ، وذلك ينجر للاستهانة بالدولة وقوانينها وعقودها .

ويختم أمير المؤمنين (ع) هذا الفصل بالتأكيد على وعي الكاتب ، وادراكه لمهامه ومسؤولياته والى قيمته ومكانته الاجتماعية والسياسية والادارية ، وما يستتبع ذلك الشعور من آثار وإعمال الفطنة والرزانة واحترام المنصب . ولنردد معاً هذه الحكم العلوية : « ولا يجهل قدر نفسه في الامور ، فان الجاهل بقدر نفسه ، يكون بقدر غيره اجهل ». نعم انه تقييم رائع ونص خالد يحسه كل « من كان له قلب والقى السمع وهو شهيد ».

(٤٦) يشير (ع) الى ظاهرة اجتماعية بارزة ، وهي اعتماد الحكام وولاة الامور في اختيار موظفيهم واعوانهم على الفراسة وحسن الظن وحسن الظاهر ، مبيناً (ع) ان اعتماد هذه المقدمات محفوف بالمخاطر والنتائج السيئة =

توزيع الاعمال والمسؤوليات

واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ،

= المؤسفة ، حيث ان طلاب الوظائف والمناصب من المنافقين ، قد يتعرفون على مذاق واهواء الحكام والرؤساء ومذاهبهم السياسية والاخلاقية ، وميولهم وتوجهاتهم النفسية ، فيعملون على التظاهر بأعمال تناسب توجهات الحكام وتحببهم في أعين القادة والرؤساء وتحدث الثقة والقناعة بصلاحهم وجدارتهم للعمل .

لهذا ينصح امير المؤمنين (ع) بعدم الاغترار بالمظاهر ، وعدم اعتماد هذه المظاهر في تعيين الموظفين بدون اختبار وتمحيص ، كما يضع (ع) الاسس العلمية السليمة لمعالجة هذا الموضوع الشائك ، وللتخلص من تحايل المنافقين الانتهازيين ، ينصح بسلوك اصلح الطرق وأكثرها ضمانة في الوصول للنتائج السليمة ، وذلك بالرجوع الى ماضي الموظف وسلوكه المثبت في الملفات الشخصية ، او من خلال التحقيق ومعرفة ما له وما عليه ، فإن ذلك أضمن السبل للتعرف على حقائق الرجال ، وحسن سمعتهم وجدارتهم بما يوكل اليهم من الاعمال ، وان لا يكون ظالماً او متهماً بخيانة او انحراف ، او مخالفة حكم شرعي او سوء ادارة .

ولأهمية هذه الفقرة يؤكد امير المؤمنين (ع) ان التثبت من اختيار الموظفين من قبل الرؤساء والحكام هو مظهر من مظاهر تقوى واخلاص الحكام لله سبحانه وللأمة ، ويشير من خلال هذه الفقرة الى تحميل الولاة والحكام مسؤولية =

ولا يتشتت عليه كثيرها ، ومهما كان في كتّابك من عيب فتغابيت عنه الزمته[٤٧].

= سوء اختيارهم وتحملهم تبعات الغفلة وسوء الاختيار « فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره » فأي تجاوز على هذه المقاييس هو تجاوز على احكام الله وعلى حقوق الامة.

(٤٧) سبق ان اشرنا : ان ما ورد في العهد من تقنين وتنظيم اداري ، ربما هو أول نص تناول هذه النواحي بشكلها التفصيلي ، وطرحها كبرنامج عمل ، ودستور ينظم الحالة الادارية ، وهذا الفصل يؤكد قيمة هذا الدستور الفريد الخالد ، حيث يشير امير المؤمنين (ع) في هذه الفقرات لحقيقتين هامتين في مجال تنظيم الاعمال والمسؤوليات في جهاز الدولة :

أولاهما : توزيع المسؤوليات والاعمال على شعب ووحدات واشخاص الجهاز بعد الفراغ من شروط التعيين ومؤهلات الموظفين والاعوان ، فإن ذلك التنظيم والتوزيع يهيىء الفرصة العملية لتنجيز الاعمال بأسرع واكمل وجه ، ويشل من الفوضى وتكديس الاعمال ، والانطلاق من خلال هذا التوزيع لتقييم العمل كما وكيفاً ، والتحرك للتوسع او الاختصار من خلاله . كما يعطي للرئيس حق المحاسبة ومعاقبة المقصر ، وتكريم وتقديم المجد المخلص.

الحقيقة الثانية : هي ان كل تلك الاحتياطات والدقة في اختيار المسؤولين وتوزيع الاعمال لا تعفي الرئيس الاعلى من المسؤولية عما يبدر من فساد عماله وموظفيه وظلمهم للامة ، ويعتبر امير المؤمنين(ع) إعراض الحاكم والرئيس عن اخطاء وتجاوزات وتقصيرات عماله واعوانه غباء من الرئيس او تغابياً لا مبرر له ، ولا يصح ولا يقبل من الحاكم التقي المحنك ، لأن العيب والخطأ سيعود على رئيس الدولة وحينها لا عذر له عند الله ، ولا عند الناس ، ويحمله امير المؤمنين المسؤولية كاملة : « ومهما كان في كتّابك من عيب فتغابيت عنه الزمته » وهو تشخيص للمسؤولية يحمل اعلى درجات التحذير والادانة وتحمل المسؤولية.
=

حقوق التجار وذوي الصناعات

ثم استوصي بالتجار ، وذوي الصناعات ، وأوصي بهم خيراً ، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه ، فإنهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق ، وجلابها من المباعد والمطارح ، في برك وبحرك وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ، ولا يجترؤن عليها ، فإنهم سلم لا تخاف بائقته ، وصلح لا تخشى غائلته ، وتفقد امورهم بحضرتك ، وفي حواشي بلادك(٤٨) .

= ما اعظمك ايها المصلح العظيم ، والقائد المحنك والامام البر التقي ، وانت ترسم اللوحة الرائعة لحكومة العدل الالهي المنشودة ، حيث تعج البشرية منذ تنكبت طريق الحق والهدى واعرضت عن كتاب الله وهدي الأئمة الصالحين ، بمختلف المآسي والمحن ، وتعيش مأساتها من خلال اجهزة الدول ومؤسساتها التي بنيت على الجهل والجاهلية .

(٤٨) منذ خلق الانسان وخلقت معه غرائزه وطموحاته التي فطر عليها عرف عنه التوجه نحو العمل والتجارة والزراعة والصناعة لسد تلك الحاجات الفطرية ، ومر الانسان في تعامله وتوفير حاجاته بمراحل عديدة تدرج فيها ، وتعايش وابتكر كثيراً من الوسائل والممارسات التي تحقق له بعض حاجاته وطموحاته ، وكان للشرائع السماوية دورها في تنظيم الانسان وتوجيهه نحو مصادر الطاقة ووسائل الربح وتقنينها وضبطها بالضوابط الشرعية ، وكان للشريعة الاسلامية =

= الغراء بما لها من عمق وشمولية وتكامل الدور الهام في تنظيم التجارة والصناعة وتطويرها ، وتوجيهها الوجهة التي تكون اداة خير وسعادة للبشرية ، حيث تضمن الكتاب العزيز كثيراً من الآيات الكريمة المشيرة للعمل والتجارة والصناعة ، واهميتها وشرف مقاصدها ، وتوجه كثير من الانبياء والرسل للعمل في حقل التجارة والصناعة حتى بعد ارسالهم وابتعاثهم ، كما حكى ذلك قوله سبحانه : « **وجعلنا النهار معاشا** » (النبأ : ١١) وقال تعالى : « **فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله** » (الجمعة : ١٠) وقوله سبحانه وهو يعدد فضائل داود(ع) وما منحه الله من قابليات في الحكم والصناعة : « **وعلمناه صنعة لبوس لكم** » (الانبياء : ٨٠) الى كثير من آيات الكتاب العزيز التي تشير للعمل والكسب والصناعة وكما حدث لداود وموسى وادريس ويوسف ولنبينا محمد (ص) في أسفاره في التجارة مع قوافل قريش ولكثير من الانبياء والأئمة والصالحين وقد حفلت كتب الحديث والسير والتاريخ بكثير من اخبار عمل الانبياء والائمة والصالحين ، فقد ورد عنه (ص): « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء »، وفي حديث آخر : « ان الله يحب المؤمن المحترف »، وعنه(ص) « احل ما اكل العبد ، كسب يد الصانع اذا نصح »، وروي ان نبي الله عيسى (ع) رأى رجلاً فقال ، ما تصنع ؟ فقال ، اتعبد ، قال ، ومن يعولك ؟ قال ، اخي ، قال عيسى (ع): « اخوك أعبد منك » وشبيه بهذا الحديث روي عن النبي (ص) وعن الأئمة الاطهار (ع)، وروي ان لقمان الحكيم قال لابنه : يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر ، فأنه ما افتقر احد قط ، إلاّ اصابه ثلاث خصال رقة في دينه ، وضعف في عقله ، وذهاب في مروّته ، وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به[1].

كما افرد الفقهاء والعلماء والمفسرون ابواباً واسعة في الفقه والحديث الاسلامي عن التجارة والصناعة وبركاتها ، وضرورة تنميتها وتنظيمها واستنباط =

(١) يراجع في هذا الحديث كتب الحديث في أبواب التجارة ومنها الكافي المجلد (٥) والبخاري ج٣ والترمذي ج٣.

. .   .   .

= الاحكام الشرعية لذلك ، وما هذه الفصول الموسعة والتأكيدات المتتالية من علي (ع) في عهده هذا وفي غيره من الكتب والخطب والوصايا إلاّ تأكيداً على أهمية التجارة والصناعة في تحقيق سعادة البشر ورفاهه واستقراره . حيث يشخص امير المؤمنين (ع) فى هذه الفقرات من العهد أهم النقاط في الموضوع ، ابتداءاً من حث الو والحكام على رعاية التجارة والتجار : « ثم استوصي بالتجار وذوي الصناعات واوصي بهم خيراً » وهي عناية فائقة ، كي يستشعر الولاة اهمية وقيمة التجار والصناع وتـأتي العنايـة من قولـه (ع) « استوصي .. واوصي بهم خيراً » أي أصدر الاوامر والتعليمـات لجميع المسؤولين ولعموم الامة بالاهتمام بالتجار والصناع وتوفير الضمانات المشجعة لهم ، وسن الاعفاءات والتكريمات التي تغري التجار والصناع وبقية المجتمع بالعمل وبمزيد من الجهد واستثمار الطاقات البشرية ورؤوس الأموال وضمها للخبـرات التجاريـة والصناعيـة التي تؤدي لا محالـة الى رفاه المجتمـع واستقراره ، ولمزيد العناية منه (ع) يوصي بتوسعة دائرة التنظيم والرعاية لكافة اصناف التجار والصناعيين ، حيث ان منهم المقيم المستقر ، ومنهم المتنقل بأمواله اوبجهده وصناعته ، لأن كل ذلك يعود على الامة والدولة والبلاد بالخير والمنافع ، لهذا ينبغي توفير الاجواء والفرص المشروعة للتجار وأصحـاب الصناعات لتشجيعهم على مزيد من الجهد والممارسة ، وان تلك الاجواء ستنمي الغرائز والمواهب والطموحات البشرية المجبولة على حب الـربح والمنافع ، ومعلوم مدى ما تركه التخلف التجاري والصناعي في أوساط الامم والشعوب والتي بقيت محتاجة لغيرها متسكعة على أبواب اعدائها ، وما جره ذلك التخلف التجاري والصناعي من ويلات ودمار على الشعوب المستضعفة فكانت مسارب لتـدفق الخبرات والتجـارب الاجنبية وهيمنتهـا على البلاد والعباد ، كما هو معروف عن اسباب ومبررات دخول الغزاة من الصليبيين والصهاينة وهيمنتهم على كثير من البلاد الاسلامية وتكريس حالـة الجهل والفقر ، مما هيأ لسقوط الدولة الاسلامية واستعباد شعوبها وبلدانها ، ونهب خيراتها وثرواتها . وفي غمرة توجه الامام علي (ع) لدعوة الولاة والحكام =

نظام المراقبة المالية

واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة ، وعيب على الولاة ، فامنع من الاحتكار ، فإن رسول الله (ص) منع منه . وليكن البيع بيعاً سمحاً ، بموازين عدل ، واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ، فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به ، وعاقبه في غير اسراف(٤٩) .

= برعاية التجار والصناع ، لا ينسى ان يوصي بضرورة التنظيم والمراقبة ، ولزوم متابعة رئيس الدولة لكل تلك الشؤون واعطائها مزيداً من العناية « وتفقد امورهم بحضرتك ، وفي حواشي بلادك » .

(٤٩) في هذه الفقرات وضع أمير المؤمنين (ع) نظام المراقبة المالية ومهام الدولة في محاربة الجشع ، الذي هو من الامراض الفتاكة بجسم الامة ورفاهها ، وان اطلاق الحريات الواسعة للتجار تغريهم وتشجعهم على الاعتداء على حقوق الناس والتلاعب بقوتها ، لأن النفس امارة بالسوء وغريزة النفع الشخصي تدفع الانسان لسلوك ابشع الوسائل واحطها واخطرها ان لم يكن معها تقوى عالية ونظاماً وأحكاماً تلجمها وتردعها عن الافراط والتجاوز المؤدي لاحتكار المنافع دون النظر لمصالح المجتمع والبلاد .

لهذا نجد الاسلام وتشريعاته المقدسة حثت كثيراً على تنظيم التجارة والصناعة=

رعاية المساكين والمعوقين

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى ، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً ، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد ، فإن للاقصى منهم مثل الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك

= ولزوم تحلي التجار بالاخلاق الاسلامية التي تجسد الانصاف والانسانية ، حيث اعتبر الاسلام التجارة والصناعة وسائل لتنظيم حياة البشرية وتوفير العيش الرغيد مع مراعات كل أسس العدل والانصاف . وكان من أهم توصيات الشريعة في هذا المجال هو تحلي التجار والحرفيين بالمفهوم الاسلامي لاهداف التجارة وتسلحهم بالفقه بما لا يقل عن الالمام بالاحكام الشرعية المتعلقة بأحكام التجارة وشروط المتبايعين ومعرفة المكاسب المباحة من المحرمة . ففي الحديث : « . . والله للربا في هذه الامة دبيب اخفى من دبيب النملة على الصفاء ، التاجر فاجر ، والفاجر في النار ، إلاّ من اخذ الحق واعطى الحق » الى ان قال في الحديث : « من اتجر بغير علم ارتطم بالربا ثم ارتطم . . »[1]

=

(١) من لا يحضره الفقيه / باب أداب التجارة.

= وتجسيداً لانسانية النظرة الاسلامية للتجارة والعمل ورد في اداب التجارة كثير من الاحاديث الحاثة عليها والمحذرة من الوقوع في الربا او الاحتكار او المخالفات الشرعية الاخرى ، حيث شدد الاسلام على التجار ومحترفي المكاسب بلزوم التقيد بالاحكام الشرعية والابتعاد عن المكاسب المحرمة كالربا والاحتكار والغش ، وندد بالمحتكرين الجشعين ، وتوعدهم بأشد العقوبات ، كما دعا الحكام وولاة الامر لاعلان تلك الاحكام والتحذيرات.

وبين (ع) ان حماية الامة من الاحتكار والغش ورعاية التجارة وتنظيمها بما يكفل مصالح الجميع هي من فرائض الاسلام ومن واجبات أئمة المسلمين وقادتهم ومصدر هذا الاهتمام والتحذير هو صريح احكام الله التي تواترت بها الاحاديث ، كقوله (ص): « لا يحتكر الطعام إلاّ خاطيء وانه ملعون » وروي عن الصادق (ع) انه قال ، قال رسول الله (ص): « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون »، وقد ذكر الفقهاء ان الاحتكار حقيقته : جمع الطعام وحبسه يتربص به الغلاء مع حاجة الناس اليه . كما توسع الفقهاء في ذم الاحتكار وبيان أقسامه ومصاديقه ، ومنهم من خصصه بأصناف من المطاعم والمآكل ، ومنهم من عممه لكل ما هو ضروري للناس . حيث قال السيد الامام الخميني في تعقيبه على تحديد الاصناف التي تقع عليها احكام الاحتكار وبيان مبغوضية الاحتكار : « نعم هو أمر ـ أي الاحتكار ـ مرغوب عنه في مطلق ما يحتاج اليه الناس ، لكن لا يثبت لغير ما ذكر احكام الاحتكار ، ويجبر المحتكر على البيع ، ولا يعين عليه السعر على الاحوط ، بل له ان يبيع بما شاء ، إلاّ اذا اجحف فيجبر على النزول من دون تسعير عليه .. » وكمعالجة جادة من الامام الخميني لتقليص دائرة الجدل في مصاديق الاحتكار واحكامه وتخليص الامة من دائرة تحايل التجار ومماطلاتهم في بيع محتكراتهم وتسعيرها بالسعر المناسب ، يحسم الموقف بنقل المهمة الى الحاكم الشرعي ، وضرورة الحزم في معالجة المشكلة التجارية من ناحية التسعير والاحتكار ، حيث يقول : « ومع عدم تعيينه ـ أي مع مماطلة التاجر في تعيين السعر . يعين الحاكم بما يرى =

الكثير المهم فلا تشخص همّك عنهم ، ولا تصعّر خدك لهم ، وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ، ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ، ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه ، فإن هؤلاء من

= المصلحة . . »[1].

واما عن تنظيم المبيعات فهو امر لا بد منه وذاك بتنظيم الاسواق ومراقبة الموازين ، وحماية الناس من الفوضى والتجاوزات ، وذلك تحقيقاً لامر الله سبحانه : « وزنوا بالقسطاس المستقيم » فلا بد لتحقيق ذلك من وضع الضوابط والمراقبة الدقيقة المشددة لتحقيق مصلحة كافة الاطراف وردع المتعدين لحدود الله ومن أصر بعد ذلك على الفساد وخالف الشرع وامر الحاكم الشرعي فلا بد من معاقبته والتنكيل به ، اقامة للعدل وحفظاً لحقوق الامة مع التقيد والالتزام الكامل العادل ، وكون العقوبة بمستوى الجناية ، من غير اسراف وتشف ولا تفريط ، وهذا ما اشار له امير المؤمنين (ع) بقوله : « فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه ، فنكل به وعاقبه في غير اسراف . . » وعلي (ع) لم يكتف بالوصايا والعهود شأن كثير من القادة والحكام وانما كان يمارس المراقبة والتفتيش بنفسه في الاسواق والتجمعات ويواصل التحذيرات ، ويهدد بأشد العقوبات ، كما روى العامة والخاصة ان علياً (ع) مارس معاقبة المحتكرين بنفسه ، وانه كان شديد البغض والشنئان للاحتكار والمتحتكرين ، فقد روى ابن حزم في المحلى بسنده عن ابن الحكم « ان علي بن أبي طالب احرق طعاماً احتكر بمائة الف »[2].

وروي فيه أيضاً عن حبش قال : « احرق لي علي بن أبي طالب بيادر بالسواد كنت احتكرتها لو تركها لربحت فيها مثل عطاء الكوفة »[3]. =

---

(١) تحرير الوسيلة ج٢ ص٥٠٢.

(٢،٣) المحلى لابن حزم المسألة ١٥٦٧ ج٦ ص٦٥.

بين الرعية أحوج إلى الانصاف من غيرهم ، وكل فاعذ ـ ى الله في تأدية حقه اليه(٥٠).

= وفي دعائم الاسلام عن امير المؤمنين (ع) أنه كتب الى رفاعة : « إنهْ عن الحكرة ، فمن ركب النهي فأوجعه، ثم عاقبه باظهار ما احتكر »[1] وعلي (ع) لم يكتف بالوصايا واصدار الاحكام والبيانات شأن كثير من القادة والحكام وانما كان يمارس التفتيش والمراقبة بنفسه في الاسواق والتجمعات كما اسلفنا وهذه السيرة الصالحة من اجلى مظاهر عدالة الحاكم وحرصه على مصالح الامة ، وتنفيذ الاحكام الشرعية فقد ذكر ابن بابويه القمي في كتاب « من لا يحضره الفقيه » فصلاً موسعاً في أداب واحكـام التجارة جـاء في بعضه : وكـان علي(ع) بالكوفة يغتدي كل بكرة ، فيطوف في اسواق الكوفة سوقاً سوقاً ، ومعه الدرة على عاتقه ، قال فيقف على اهل كل سوق فيناديهم : يا معشر التجار ، قدموا الاستخارة ، وتبركوا بالسهولة ، واقتربوا من المبتاعين ، وتزينوا بالحلم ، وتجافوا عن الظلم ، وانصفوا المظلومين ، ولا تقربوا الربا ، واوفوا الكيـل والميزان ، ولا تبخسـوا النـاس اشيـاءهم ، ولا تعثـوا في الارض مفسدين . قال : فيطوف في اسواق الكوفة ثم يرجع فيقعد للناس اي للفصل بين الناس ، وهذا ما تفقده البشرية اليوم ، وهو حلمها المرتجى واملهـا المنشود .

(٥٠) لعل هذا أوسع فصل في هذا العهد ، كرسه امير المؤمنين (ع) للحديث عن الشرائح الاجتماعية ، معبراً فيه عن رأي الاسلام واهتمامه بهذا الصنف من البشر وضرورة الاهتمام بشؤونهم والسهر على تـوفير كـرامتهم من خلال الاهتمام بحاجاتهم المعنوية والمادية .

والطبقة السفلى :هي الدانية او المنحطة ممن لا طاقة ولا وسيلة لهم لاكتساب معايشهم ، وتوفير وسائل الحياة والتعلم ، والاحترام لهم وخاصة منهم ذوي العاهات البدنية والمقعدين . =

---

(١) دعائم الاسلام ج٢ ص٣٦ ورفاعة كان قاضياً لعلي (ع) على الاهواز.

= وان في هذه الطبقة من يتعرض للسؤال ويلح في الطلب ، وهو المعني بالمعتر ، كما ان فيهم القانع والذي يحجبه الحياء والقناعة ، والعفة عن التعرض للسؤال ممن عناهم الله تعالى بقوله : « **للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً** » (سورة البقرة : ٢٧٣) فلا ينبغي لولي الامر والحاكم اعطاء المعتر المتعرض للسؤال واهمال امر الضعيف القانع الذي يمنعه حياؤه وعزة نفسه عن ذل المسألة وهوانها . فلا بد من وضع رصيد لهؤلاء الناس . وتخصيص قسم في ميزانية الدولة يفي بحاجاتهم وتخصيص قسم ثابت من ايرادات الدولة وغلات أرضها في كل بلد وقطر من أقطار البلاد ، ويعلن ذلك لهم ليوزع عليهم في كل بلد ، ولا بد من شمول نظرة الحاكم لكافة المحتاجين في البلدان القريبة والبعيدة، ولعلي (ع) وصايا وتأكيدات على أهمية هذا المرفق الهام في حياة الامة ووجوب مشاركة أئمة المسلمين للأمة في آلامها واحزانها : « أأقنع من نفسي بأن يقال لي أمير المؤمنين ولا اشارك الناس مكاره الدهر او اكون لهم اسوة في جشوبة العيش ، ولعل في الحجاز او اليمامة من لا عهد له بالقرص ، ولا طمع له بالشبع ، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي ، واكباد حرى او اكون كما قال القائل :

وحسبك داء ان تبيت ببطنة　　　وحولك اكباد تحن الى القد[1]

نعم هذا هو السلوك المنشود للحاكم المسلم ، وضرورة تفقده لشؤون الامة ، والعمل على اسعاد كافة الطبقات ، ثم ينبه علي (ع) الى ان أعمال الولاة والحكام مهما كانت كبيرة وهامة ومثمرة ، فلا تصلح ان تكون عذراً وحجة في ترك الامور الصغيرة ، وكل صغيرة اذا تركت صارت كبيرة موجعة ، ثم يحث (ع) على وجوب تواضع الحكام والقادة لسائر طبقات الامة وخاصة الفقراء والمساكين ، فان تواضع الحكام لهم دليل تقوى الحاكم ، وصدق=

(١) نهج البلاغة.

رعاية اليتامى والعاجزين

وتعهد أهل اليتم ، وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ،

= حمله لرسالته . كما انه يمنح الثقة للفقراء ، ويشجعهم على المطالبة بحقوقهم وذلك عمل جدي لإصلاح حالهم ، وإبعادهم عن الانحراف والجريمة .

ومع فرض كثرة مهام ومشاغل الحكام وازدحام اعمالهم بما لا يتيح لهم فرصة الاطلاع الكامل على احوال هذه الطبقات والوفاء بحقوقها ، وهو ما يطلبه حثيثاً امير المؤمنين (ع) فإنه ينصح بقوله : « ففرغ لأولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع ، فليرفع اليك امورهم. . » وفي هذا النص نقرأ مدى اخلاص امير المؤمنين (ع) وحرصه على اداء الوظائف الشرعية ، وفائدة توزيع الاعمال والاعتماد على الثقاة الاكفاء المتواضعين لايصال اصوات الامة للولي الحاكم والعمل على تنجيزها ، وتتبع احُوالهم ، وتفقد الغائب منهم ، والسعي بقضاء حوائجهم خاصة تلك الطبقات الفقيرة المعدومة والتي لا تستطيع ضرباً في الارض ، هم احوج الناس لعطف الوالي وعدالته وحمايته.

وهذا المنهج الرسالي والتشخيص الدقيق لمعالجة هذه المشاكل برهان متين يجسد انسانية التشريعات الاسلامية ، ويشدد على الحكام والولاة بلزوم رعاية هذه الطبقات المحرومة ، وتخفيف آلامهم في اطار العدالة العامة وبما لا يجحف بحقوق الاخرين .

والبُؤسى : بضم الباء شدة الفقر.

والزمنى : الزَمِن بفتح الزاء وكسر الميم هو المصاب بعاهة مزمنة دائمة مانعة عن العمل والكسب.

ولا ينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل ، والحق كله ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية ، فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم[٥١].

(٥١) في هذا الفصل من كلام امير المؤمنين (ع) يضع الخطوط العامة للضمان الاجتماعي في الاسلام ، والذي سبقت الاشارة الى بعض احكامه ومنها : حماية اليتيم من التشرد والفاقة ، وذلك بفتح المعاهد والمياتم التي تكفل لليتامى الرعاية والتوجيه ، وتعفيهم مذلة السؤال ، وخطر التشرد والانحراف ، وقد جاء في الكتاب في مواطن عديدة ما يؤكد ان الله سبحانه اعطى اولوية لرعاية اليتامى والمساكين والاحسان اليهم ، فحين يكرم الله اولياءه وأفضل خلقه محمداً (ص) واهل بيته ، يجعل من اسباب استحقاقهم للتكريم أنهم كانوا : « **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماًواسيرا** » (سورة الانسان : ٨) وحين يأمر سبحانه عباده المؤمنين بالتحلي بأفضل الاخلاق والصفات يقول : « **وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين** » (سورة البقرة : ٨٢) ويتعرض لمعالجة بعض الحالات الاجتماعية ، وللاجابة على تساؤلات تجري عن كيفية التعامل مع اليتامى للتخلص من عظيم حقهم على الدولة والناس يقول عز اسمه : « **ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم** » (سورة البقرة : ٢٢٠).

وحين يرشد المولى سبحانه الى جوهر الايمان والعبادة وافضل صيغهما المحبوبة لله سبحانه يأتي قوله عز اسمه : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين. .** » (سورة البقرة : ٣٦) وبذلك يضع سبحانه رعاية اليتامى والمساكين في اعلى درجات العبادة وبمصاف الايمان الخالص بالله . وحين يتعرض الكتاب العزيز لوصف مشاهد القيامةواهوالها ويذكر سبحانه بعض الاعمال التي تجلب الامن والسعادة وتجعل الانسان بمنجى من تلك الاهوال والكروب فيقول سبحانه :« **أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة او مسكيناً ذا متربة** » (سورة البلد : ١٤) . وبالمقابل يستنكر عز اسمه إغفال امر اليتامى وعدم الاهتمام والاداء لحقوقهم ، =

= ويعد ذلك اثراً من أثار عدم التصديق بالله وبالدين : « أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » (الماعون٢ و٣) كما ان الشريعة الاسلامية ضمنت لليتامى والمساكين فصولاً مالية ثابتة في ميزانية الدولة ، وسهماً صريحاً في أموال الاغنياء : « وفي اموالهم حق للسائل والمحروم » (الذاريات : ١٩) وكذلك الاحاديث النبوية والسلوك الرسالي لرسل الله كافة وللنبي محمد (ص) والائمة البررة من خلفائه عليهم السلام ، كلها تؤكد وتجسد اهتمام الاوامر الالهية والشريعة الاسلامية باليتامى والمساكين، يقول (ص): « انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى كناية عن علو منزلة كافل اليتيم وعلو درجته بحيث يكون قريباً من مقام الانبياء والصديقين وكذلك بالنسبة لرعاية المسنين والعجزة من الناس ممن رقت أجسامهم لتقدم السن فيهم ، بحيث أقعدهم الكبر والعجز عن كسب المعيشة ، ولا يمكن ان يتركوا للتسكع والسؤال ، لسابق مكانتهم ولعفة نفوسهم ، فلا بد من ايجاد ملاجيء ومعاهد وارصدة مالية توفر لهم من خلالها الضروري لحياتهم ، أو تخصص لهم رواتب تقاعدية تضمن حفظ كراماتهم ، وهي كرامة الدولة والامة والانسانية عامة .

وقد اكدت كثير من أيات الكتاب العزيز حق هذا الصنف من الناس حيث يقول سبحانه : « للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » (سورة البقرة : ٢٧٢).

ولا يخفي امير المؤمنين (ع) تقديره لجسامة هذه المسؤولية وثقلها على الولاة والحكام والقادة وخاصة لمن لم يتعرض للسؤال ولا يتظاهر بالفقر والحاجة وهو ما اشار له (ع) بقوله : « وذلك على الولاة ثقيل »، ولكن الوالي او الحاكم ، إذا كان يهتم بالامة ويسعى لتفقد شؤون الرعية ، ويفسح المجال لاهل الحاجة ، ويستعين بالصالحين الذين يخصصهم لرفع حوائج الناس اليه ، فلا بد ان الله سبحانه سيعينه على تحقيق الخير ، ويسهل عليه كافة المهام

حق الامة على الحاكم

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً ، فتتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتقعد عنهم جندك واعوانك من أحراسك وشرطك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع ، فإني سمعت رسول الله(ص) يقول في غير موطن : « لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع »[٥٢] .

= الثقال : « يخففه الله على اقوام طلبوا العافية » ومن عوامل توفيق الولاة للاطلاع على حاجات الامة واداء حقوقها كاملة ، توطين الوالي نفسه وشعوره بالمسؤولية ، واليقين بلقاء الله ، وانه سبحانه سائل الولاة والحكام عمن تحت ايديهم من عباد الله وحقوقهم والحديث : « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم لله احسنهم لعياله ».

(٥٢) في مجال تنظيم العلائق بين الامة والحاكم ، وضرورة تقسيم الحاكم لاوقاته بين مجموع مهامه ومسؤولياته ، وحقوق الامة وطمعها في عدله ، يأمر امير المؤمنين (ع) بأنه لا بد للحاكم العادل من توزيع أوقاته ، كما لا بد من تخصيص الوقت الكافي لسماع الشكاوى وقضاء الحاجات ، والاذن فيه لعامة الناس بالدخول لعرض امورهم على الوالي ، مع رفع الحجّاب والحراس ان أمكن ، وصرف الاعوان والحواشي والرقباء واطلاق الحرية التامة ، ليقول=

ثم احتمل الخرق منهم والعي ، ونَحِ عنهم الضيق والانف ، يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط ما اعطيت هنيئاً ،وامنع في اجمال واعذار[٥٣].

= الناس ويعبّروا بأمن وارتياح بعيدين عن عيون الحراس والرقباء ، والذين قد يكونون هم الخصوم ، وهم الظلمة او اعوان الظلمة .

فان المواطن العادي ، اذا دخل على الرئيس والحاكم وسياط الجلادين وسيوفهم مشرعة مشهورة على رأسه ، وأذان وعيون الاعوان والحواشي تصغي وتراقب ، قد لا يستطيع المظلومون وذووا الحاجات ان يعبّروا بصدق عن آلامهم وآمالهم ، بالاضافة الى ان هذه الاطر الكثيفة من الحرس والرقباء غالباً ما تكون مانعاً للامة عن الاتصال بالرئيس وابلاغ ما تريد ابلاغه ، كما ان هذه الحواشي ، كثيراً ما تلتهم اصوات المستغيثين والمظلومين وشكاياتهم وتدمرها ، ان لم تدمر اصحابها ، وينطلق امير المؤمنين (ع) لتشريع هذه الاوامر والتعليمات من روح الاسلام العظيم وعدالته الصميمية العملية حيث يدعم (ع) توجيهاته هذه بما سمعه من رسول الله (ص) حيث يقول : « لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع »، وهي دعوة صريحة لضمان حرية الترافع ، وتشجيع للمظلومين وذوي الحاجات بايجاد الجو المشعر بكرامة المظلومين المشجع لهم على عرض ظلاماتهم. وكما سجل التاريخ الاسلامي لأمير المؤمنين (ع) هذا السبق الانساني في تقنين كثير من البنود والاحكام التي تركز العدل وتنميه ، فإنه (ع) أول من فتح صناديق الشكاوى والظلامات ، بفتح بيت سماه « بيت القصص » يلقي فيه الناس رقاعهم وعرائضهم ليبينوا فيها ما يرجون وصوله للامام (ع) مباشرة محاولة منه (ع) لقطع كافة الحجج والمعوقات دون رفع المظلوم لظلامته ، كما يفرض بذلك سنّة صالحة لبقية الحكام والمسؤولين واذا ادعى من تأخر عن علي (ع) انه وضع صناديق سماع الشكاوى فانما به اقتدى ومنه اخذ ، مع العلم ان صناديق المتأخرين نادراً ما يطلع عليها كبار المسؤولين او تقضى من خلالها الحوائج .

(٥٣) يذكّر امير المؤمنين (ع) بجملة حقائق هامة ، ونقاط ضعف لا بد أن يمر بها =

= الحاكم ويتعامل معها . ومنها حالات مرضية نفسية شائعة عند كثير من المتشكين واصحاب الحوائج من الخرق في الكلام ، وهو الهذر في الكلام بما لا يناسب الموضوع او المقام ، واصل الخرق هو الحمق وضعف العقل ويأتي الخرق بمعنى الجهل أيضاً وكلها معان متقاربة ، كما ان في بعض ذوي الحاجات والمظلومين « عيّاً » أي عجزاً وقصوراً عن بيان الحاجة والمراد ، او هو التقصير عن التعبير والبيان ، وعدم استطاعة النطق على الوجه المطلوب ، اما لعاهة او لنقص عضوي في اللسان او لجهل وعدم المعرفة أو بسبب الخوف والرهبة ، او بسبب الفرح والاستبشار الكبير ، ومع كل هذه الحالات والاحتمالات ، فلا بد للحاكم اذا أراد أن يقيم العدل، ويشيع الاستقرار ، ان يكون حليماً على من يترافع اليه ، واسع الصدر ، وان يبعد عن المتظلمين واصحاب الحوائج الضيق ، وان لا يأنف من خرقهم وعيّهم او تلكؤهم في مجلسه او تكلمهم بما لا يناسب . وان الوالي والحاكم بقدر ما يبسط على الامة وذوي الحاجات منهم من عدله وحلمه وسعة صدره ، سيجزيه الله تعالى بأن يبسط عليه أكناف رحمته . ويوجب له جزاء ذلك ثواب طاعته ، وعظيم المنزلة عنده سبحانه ، وهي مراتب عالية ومدعاة لحسن السمعة وكرامة الدنيا والاخرة .

ونحن اليوم احوج ما نكون لمثل هذه الدروس التربوية والسير الصالحة والمناهج الرسالية الحكيمة ، وفي هذا الفصل من عهده (ع) يوصي ويؤكد على مكارم الاخلاق والتي من اهمها : ان المؤمن ، اما ان يعطي بلا من ، او يمنع باجمال واعتذار بأسباب معقولة ، دون اللجوء للشتيمة او التشهير بالسائل ، وهذا مما أدب الله تعالى به اولياءه حيث قال : **« الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »** (سورة البقرة ٢٦٢) وكقوله عز اسمه في المفاضلة بين حالتين بشريتين تنمّان عن اخلاقية اصحابهما ، فيحث المولى سبحانه على التحلي بأفضل الحالتين ، والابتعاد عن العطاء المصحوب بالمن والتعسف والاذلال : **« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم »** (سورة البقرة : ٢٦٣) وفي موضع لاحق يحكم سبحانه ببطلان =

= العطاء وفساد العمل المشفوع بالمن والاذى ، واعتبار هذه العاهة كاشفة عن عدم ايمان صاحبها بالله وبجزائه في اليوم الآخر : « **يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين** » (سورة البقرة : ٢٦٤)، وبذلك يحكم سبحانه صريحاً بأن حالة الرياء وتغليف العطاء والاحسان بالمن وايذاء المحتاجين ، انما هي حالات محرمة مرفوضة لانها كاشفة عن عدم ايمان صاحبها بالله سبحانه وتعالى وجزائه في الدار الآخرة .

ولا يغيب عنا كيف ختم الله هذه الآية بالتقريع والتوبيخ الممض للمرائين والمنافقين ، وممتهني اصحاب الحوائج حتى يختم الذم بالوصم باللعن والكفر - والعياذ بالله - وهو من أشد انواع التبشيع والتحذير ، وفي مقابل ذلك يبين سبحانه في الآية التي تليها كرامة الانسان وجمال العمل والاحسان الذي يؤطر باطار الايمان بالله سبحانه ، واليقين بجزائه ، مشيداً بالنتائج الحسنة المتوقعة للمنفقين ابتغاء مرضاة الله سبحانه وطلب ما عنده : « **ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير** » (سورة البقرة : ٢٦٥) .

ونكتشف فيما نقرأ من هذه الآيات الكريمة اشارة المولى سبحانه الى الجانب الاخلاقي في العطاء والاحسان « وتثبيتاً من أنفسهم » حيث انهم لا يقومون بداعي الامتثال للامر الشرعي فقط ، بل يكشف عن جذور اخلاقية نفسية وتربية اسلامية عند الباذل والمحسن ، وعن تجذر ملكة حب الخير والبذل والاحسان ، وحين يأتي العمل امتثالاً لامر الله سبحانه وبدافع نفسي اخلاقي وحب ورغبة في الطاعة والبذل ، وتلك ارقى درجات الاحسان والبذل وسائر العبادات ، وهذا ما جسده رسول الله (ص) وأهل البيت وصالح المؤمنين ، فكان عطاؤهم واحسانهم مشفوعاً بالارتياح النفسي ، وذلك علامة طهارة النفس واستقامة الطبع وشدة الايمان بالله سبحانه وتعالى . =

= ويذكر علماء الاخلاق « للمن » المذموم صفات وعلامات منها : ان يرى الانسان نفسه محسناً أو يتحدث ويظهر الانفاق ، ويطلب المكافأة عليه بالشكر والتعظيم « والأذى » التعيير والتوبيخ والاستخفاف ، واستخدام ذوي الحاجات ، ومجابهتهم بالقول السيء وتقطيب الوجه ، وهتك الستر والتشهير بالمحتاجين ، وخير علاج يذكر لهذه العاهات يعالج بها المن والاذى ان يستشعر المحسن الباذل انه هو الفقير ، وهو المحتاج ، وان العاقل يعرف بعد التأمل ان ما يبذله ويعطيه قليل في مقابل ما يأخذه من اجر وكرامة ، وان المحسن الحقيقي هو الفقير المحتاج ولهذا يقول امير المؤمنين (ع): « ومن علم انما صنع الى نفسه ، لم يستبطيء الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلتمس من غيرك شكر ما اتيت الى نفسك أو وقيت به عرضك ، واعلم ان الطالب اليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك ، فاكرم وجهك عن رده »، وعليه فينبغي لمن يريد أن ينجو من عاهة المن والاذى ان يمتّن ملكة التواضع في نفسه ، بأن يتواضع للفقير عند اعطائه كأن يضع الصدقة باحترام في يد الفقير ، او يمثل قائماً بين يديه ، او يبسط كفه ليأخذ منها الفقير وبذلك تكون يد الفقير هي العليا.

روي عن الصادق جعفر بن محمد (ع) قوله : « رأيت المعروف لا يصلح إلاّ بثلاث خصال تصغيره ، وتستيره ، وتعجيله ، فأنت اذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه اليه ، واذا سترته تمّمته ، واذا عجلته هنأته ، وان كان غير ذلك محقته ونكدته »» كما ورد في صفات الاحسان والعطاء هو : « بذل الجيد المحبوب » لصريح قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» (آل عمران : ٩٢).

كما روي في اداب الاحسان والعطاء عن النبي (ص): « ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله »، ثم تلى (ص) هذه الآية : « الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » (سورة التوبة : ١٠٤) « إذا ناولتم السائل فليردد الذي ناوله يده الى فيه فيقبلها فان الله =

مهام وأوقات أولي الامر

ثم أمور من امورك لا بد لك من مباشرتها ، منها : اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور اعوانك ، وامضي لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم ما فيه[٥٤].

= عز وجل يأخذ الصدقات ». كما ورد في أداب الاحسان والعطاء عن اهل البيت (ع) قولهم : « اذا اعطيتم فلقنوهم الدعاء ، فإنه يستجاب لهم فيكم ، ولا يستجاب لهم في أنفسهم »، وفي حتام هذا الفصل لا بد من الاشارة الى أن أفضل أنواع العطاء ما يصرف لاهل الورع والتقوى والعلم ، وكاملي الايمان والمعرفة ، وخاصة من الارحام والاقارب من اهل العفة والتستر والقناعة ، فان الاحسان اليهم صدقة وصلة .

(٥٤) هذا النص وغيره كاشف عن قيمة الشعور بالمسؤولية تجاه الحكم والامة حيث يكرر امير المؤمنين (ع) اهتمام الشريعة الاسلامية بتنظيم اعمال الولاة والمسؤولين ، ووجوب متابعتهم لشؤون البلاد والعباد في تقسيم الاوقات والهموم . وان اعمال امام الامة ومن بمقامه من الولاة والحكام تنقسم الى قسمين :

أولاً : أمور يمكن الانابة فيها وتخصيص الثقات الواعين لمعالجتها ومباشرتها ، ورفع حصيلتها للامام والرئيس ، كما سبقت الاشارة =

= لامور كثيرة شخص الامام علي (ع) إمكان الاعتماد فيها على المسؤولين الثقاة.

ثانياً : أمور لا يمكن احالتها على الاخرين ، بل لا بد للحاكم من ممارستها شخصياً وباستمرار ، لاهميتها في حياة الامة او لاحتمال ضياع الحق فيها بالتعويل على الاعوان والوكلاء بما يجر ويورط الحاكم والدولة بأخطر العواقب ويشيع الظلم والفساد ، او يعطل الحدود.

ويشخص (ع) بعض تلك الشؤون الهامة التي لا بد للوالي من الاطلاع عليها وتصريفها بنفسه وهي : اجابة عمال الاطراف ورؤساء الدوائر والمناطق في النواحي التابعة لولايته ، واعادة مراسلات الاقطار : وان تسويف تلك الامور والتعويل بها على الاخرين ، يضيّع على البلاد والعباد مصالح كثيرة ، او يجلب لها مخاطر واضرار كبيرة ، وان تلك الشؤون ، ان لم تأت عن حس ومباشرة شخصية من ولي الامر تكون ناقصة وعرضة للتضليل والتشويش ، وعلي (ع) لم يطلب هذا من ولاته ورؤساء الاقطار في حكومته فقط ، بل طرحه كمبدأ عام ، ومنهج اداري رائد ، وشفعه بالزام نفسه بذلك ، حيث تركت اقواله وممارساته اثاراً لن تنساها الاجيال : « أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ، ولا اشارك الناس مكاره الدهر ، او اكون لهم أسوة في جشوبة العيش. . » وكيف يشارك الحاكم رعيته ، او يكون لهم اسوة ان لم يمارس التعرف على احوالهم ومتابعة قضاياهم نعم. . . هذا هو الاطار السليم للقيادة الرسالية الواعية والادارة الحكيمة ، الهادفة حقاً للتخلص من المسؤولية : « اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك » أي بما يعجز او يقصر عنه كتابك او لا يقدرون على حسمه واعطاء الرأي السديد فيه ، والحاكم باهتمامه يستطيع تشخيص تلك الموارد من خلال اهميتها السياسية والشرعية والاجتماعية ، ومنها : « اصدار حاجات الناس يوم ورودها » ومعلوم ماذا تعني هذه الفقرة الهامة ، حيث يتحسس الناس عمق الجرح من برودة تعامل المسؤولين مع حاجات الناس ، او تسويف قضائها ، وهو خلل اداري مجمع على ادانته ، =

= وضعف يجر الوهن والتذمر في اوساط الامة ، وعامل من عوامل شيوع الفساد الاداري الذي يشجع على الرشاوى والشفاعات الباطلة والتجاوزات على حقوق الاخرين ، حيث ان الناس سيضطرون مع المماطلة والتسويف بحوائجهم للتحايل على انجازها بالوساطات والرشاوى وغيرها من الطرق الملتوية والتي تؤدي في كثير من الاحيان للتجاوز على حقوق الاخرين ، وانهاك الامة وارغامها على سلوك الوسائل المخلة بسمعة الدولة والحاكم .

ثم ينبه (ع) في تخطيط عملي سليم لمعالجة آفة تسويف قضاء حوائج الناس وحسم امورهم وذلك ان الوالي والحاكم الاعلى اذا كان مهتماً ومصمماً على تنجيز الاعمال بأوقاتها سيفوت الفرصة على الاعوان والكتبة المسوفين الكسالى ويرغمهم على المسارعة بقضاء حوائج الناس وشؤون البلاد بأوقاتها ، بالاضافة الى ما تحمل حالة الاهتمام هذه والمسارعة بانجاز الاعمال من احراج ادبي واداري عملي لاولئك الاعوان والكتبة ، وتطبعهم على المسارعة وانجاز الاعمال وتزرع في نفوسهم الخوف من العقوبات المترتبة على الاهمال.

ثم ينبه (ع) الى اهمية مبدأ الحزم ، وتنظيم الاوقات والاعمال ، فيقول : « وامض لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم ما فيه » اي لكل يوم عمل ، وان شؤون الدولة والامة لا تنتهي ولا تتوقف ان لم تتوسع وتزداد ، وان تصريف الاعمال ليومها وعدم تأخيرها لغد سيلغي حالة تكدس الاعمال ، بما تستتبع تلك الحالة من مآسي وخسائر مادية ومعنوية ، وبالمسارعة والحسم الفوري ضمن ضوابطه ، ستجني الدولة والامة كثيراً من المنافع ، وان اخطر ما تعانيه الامة في تعاملها مع المسؤولين والموظفين هو التواني والاهمال المؤديان للتكدس ، وهذا المبدأ السامي وهذه التوصية الكريمة التي تحمل صيغة الامر والتحذير تبرز مدى اهتمام الاسلام وقادته الابرار بالحزم في قضاء حوائج الناس ، كما انها تعيد للاذهان في كل زمان ومكان اهمية واولوية العمل الاداري والوظيفي ومسؤولية الحكم والقيادة حيث تعاني البشرية عبر تاريخها والى اليوم حالات مرضية في اجهزة الدولة ، ما يبعث على الآلام والخسائر المادية والمعنوية بشكل مريع ، وقد تصدت بعض المؤسسات الدولية =

واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، واجزل تلك الاقسام ، وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية ، وسلمت منها الرعية . وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة ، فاعط لله من بدنك في ليلك ونهارك ، ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص ، بالغاً من بدنك ما بلغ(٥٥).

= للاجصاء والتقييم فأظهرت ان بسبب شيوع ظاهرة التواني وتكدس اعمال الناس في الدوائر والمؤسسات الحكومية ، تحملت الدول والشعوب خسائر فادحة بارقام مالية مذهلة بالاضافة الى ما تسببه هذه الحالة من هدر لاوقات الناس وكراماتهم ، كما يؤدي شيوع هذه الظواهر لبروز حالة الوسطاء والمرتشين ومكاتب تعقيب الاعمال ، وكلها ما كانت لتكون لولا ظاهرة تكدس الاعمال وعدم انجازها في وقتها ، بالاضافة للاعانة على هدر الحقوق وانصراف اصحابها عن المطالبة بها تحاشياً من اطالة اوقات المرافعة وتكدس المعاملات .

(٥٥) تأكيداً لنهج الاسلام في تجسيد الاحكام الى واقع عملي ملموس على الحاكم والمحكومين وتمتيناً لارتباط الانسان بخالقه العظيم وتحقيقاً للاهداف السامية من العبادات وما تنطوي عليه من فوائد تربوية واخلاقية وانسانية وانضباطية ، وتتأكد حالة الاهتمام والتوجه نحو الاهداف السامية من الفرائض والعبادات في الحكام والقادة وولاة الامور وضرورة محافظتهم على الفرائض والاستزادة من النوافل والمستحبات ، وتوطيد الثقة وكثرة الاتصال بالله سبحانه عبر العبادات والادعية والاوراد ، لحاجة الحكام والمسؤولين الى مزيد من اللصوق بالله ، وكثرة التذكر له سبحانه ، للتخلص من امراض الزعامة والقيادة والتي تدفع الانسان للغرور بالمنصب والدنيا واللجاجة في ارهاق الناس بالاحكام الجائرة القاسية ، ونسيان الله وعظمته ، وما اوجب على ولاة الامور من العدل والحق والانسانية ، وقد اجمع علماء الاخلاق وكتاب السير على ان أفضل الصيغ =

. . . .

= للحكام والقادة للحد من شهوات النفوس وجمحاتها رطغيانها واستعلائها وتجاوزها لحدود الله سبحانه ، هو تذكر عظمة الله وسعة سلطانه وقدرته على كل عباده .

كما أن أفضل السبل لتمتين الملكات الصالحة والتمتع بهذه المزايا الفاضلة ، وحماية النفس من التلوث بأمراض العظمة والزعامة والطغيان ، هو المحافظة على العبادات خاصة منها البدنية كالصلاة والصيام والحج وغيرها وما تمنحه هذه العبادات من تربية الانسان على العبودية لله سبحانه ومراعاته في كل اعماله واقواله ، والتضرع بين يديه ، والتردد على موائده الكريمة والتزود بزاد التقوى ، كما هو المعروف عن أفضل خلق الله واعلاهم شأناً واكثرهم واوسعهم سلطاناً وهم رسل الله وانبياؤه واصفياؤه . وهذه سيرة خاتم الرسل وأفضلهم واكثرهم قدراً وسلطاناً سيدنا الرسول الاعظم محمد (ص)، فقد كان سيد العابدين مكثراً للعبادة حتى ورمت ساقاه منها ، ونزل في حقه قوله تعالى :« طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى » (طه : ٢) وحين عوتب (ص) على عظيم جهده في العبادة والتضرع والخوف والبكاء ، قائلين له : « اليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ »، أجابهم رسول الله (ص) بالنص الرسالي الخالد « ألا أكون عبداً شكوراً » وكذلك تلميذه وخليفته علي أمير المؤمنين (ع) بما اتسمت به حياته ، وعرفه عنه القريب والبعيد ، فعلي (ع) صاحب المناجاة الطويلة والعبادات المتواصلة في اناء الليل واطراف النهار ، وكم شوهد وهو يتململ تململ السليم يقضي الليل راكعاً ساجداً ، متضرعاً باكياً .

وفي بعض ما حفظ لنا التاريخ من تلك المناجاة الطويلة ، دروس وعبر تجسد الخوف الحقيقي من الله ، والايمان الكامل بالله واحكامه ، والقلق الدائم من ثقل التبعات وجسامة المسؤوليات وهول الحساب . .

وملف كربلاء الخالد لن ينسى تلك اللحظات الحرجة من فيض الدماء وتساقط الرؤوس والاجسام وغبرة الموت التي تهيمن على الساحة ، وتساقط الاحبة =

= والابناء وخيرة الاصحاب ، واذا بالحسين (ع) يقف ظهر العاشر من المحرم ليؤدي صلاة الظهر في احرج اللحظات ، وتحت ظلال الاسنة ومشتبك الرماح ، ثم يكرم (ع) مَن بشّره بحلول وقت الصلاة بكلمته الخالدة « ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين »، وكذلك بقية الأئمة والقادة الاسلاميين ومن اقتدى بهم وصاحبهم.

ومن خلال هذا الفصل المبارك من عهد علي (ع) نقرأ الهدف لهذه الوصايا الكريمة التي هي امتداد لوصايا القرآن الكريم في كثير من آياته ، وان الحرص والالتزام الكامل بالعبادات والفرائض عامل مهم من عوامل صقل النفوس وترويضها على اداء بقية الواجبات والفرائض والتوقي من المنكرات وصدق الله العظيم حيث يقول : « **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** » (:) ثم يشير امير المؤمنين (ع) الى معنى في غاية السمو والوعي بفهم العبادة حيث يعتبر عمل الحاكم وممارساته في اداء مهام الدولة ورعاية شؤون الامة كل ذلك هو عبادة الله سبحانه ، ومظهر من مظاهر التقوى والتدين والشعور بالمسؤولية فيقول : « وان كانت كلها لله ، اذا صلحت فيها النية ، وسلمت منها الرعية » نعم ان اعمال الحاكم الاسلامي اذا كانت كما امر الله سبحانه فهي كلها لله وهي عبادة بل في قمة العبادات ، وفي صدر اولوياتها ، ولا قيمة للعبادات ان لم تكن معها اعمال صالحة ولكن لا ينبغي أن تحمل جلائل الاعمال وفضائل السير ومحاسن الاخلاق على التسامح بالعبادات خاصة من القادة واولي الامر لما اسلفنا من مبررات ، بالاضافة الى ان فعل القائد والحاكم والزعيم سنّة تتبع « . . **لكم في رسول الله اسوة حسنة** » (الاحزاب : ٢١) كما ان نهج البشر وسيرهم هي الاقتداء والمتابعة للحكام والرؤساء ، حتى قيل:
« الناس على دين ملوكهم» ومتى ما اظهر الحكام والقادة الاهتمام بالفرائض والاكثار من التعبد لله تعالى ، والحرص على اداء الفرائض بأوقاتها فان ذلك سيحمل الامة على مزيد من الالتزام واقامة الفرائض بمختلف الدواعي والغايات ، ولسنا بصدد تقييم حالات المتابعة والتظاهر بالالتزام بالعبادات ولكنها بالتالي تؤدي الى شيوع الالتزام بالعبادات ، وعلي (ع) لم =

واذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرداً[1] ولا مضيعاً ، فإن في الناس من به علة ، وله حاجة وقد سألت رسول الله (ص) حين وجهني الى اليمن ، كيف اصلي بهم ؟ فقال : « صل بهم

= يقل ذلك مجرد وصايا وتظاهر كما هو شأن كثير من الحكام والقادة حيث يتظاهرون بالصلاح والتعبد ، وواقعهم يكذب ذلك . فمثل هذا السلوك التظاهري الكاذب والمفتضح حتما.

ومها تكن عند أمرءٍ من خليقة ... وان خالها تخفى على الناس تعلم

نعم، ان ذلك الخداع سيهدم الايمان والمثل والاخلاق ويشجع العامة على التمرد والتسامح بالاحكام والفرائض ، بينما كان علي (ع) بما لا يحتاج الى دليل سيد العابدين وامام المتهجدين ينتظر الليل بفارغ الصبر ليخلو الى محرابه ومناجاة ربه فيعطر الاجواء بأريج أنفاسه الطاهرة تختلجها العبرات والزفرات والاهات الطويلة موصولة بركــوع وسجود وتدبر وتفكر وتلاوة كتاب الله وحسرات طويلة ، وكذلك الائمة المعصومين من ابنائه وابرار مدرستهم الخالدة وهذا تراثهم الضخم من الادعية ، والمناجاة والوصايا ، مع ان القليل هو الذي وصل الينا وسلم من التدمير والابادة التي لحقتهم ولحقت خطهم وفكرهم وعلومهم ، فكونً هذا القليل المبارك ثروة اسلامية ومدرسة فكرية شاملة متكاملة ، ترددها الاجيال ، وتلتذها الاسماع ، وتفتح لها مقفلات القلوب وان شئت الدليل فمتع بصرك في الصحيفة السجادية التي سطرها الامام زين العابدين علي بن الحسين (ع) وهي بعض نتاج عباداته وخلواته بالله سبحانه ومناجاته الرسالية الرائدة وما احتوى هذا السفر الجليل من علوم جمة وافكار بناءة ، وعلاج شاف لمرضى الابدان والنفوس.

---

(١) وفي رواية (منفراً).

كصلاة أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيماً »[٥٦].

---

(٥٦) وفي غمرة حماس أمير المؤمنين (ع) في الحث على حفظ الفرائض والمسارعة لأدائها لا ينسى تحذيره لظواهر مدانة في طريقة اداء هذه الفرائض ، حيث يشير (ع) الى حالة الافراط والتفريط ، معبراً عن شمولية الفكر الاسلامي واستيعابه ومعالجته لكل مفردات الحياة ، كما ان في ذلك بيان لمسؤولية الحاكم والامام في تقييم ومتابعة اعمال الولاة والمسؤولين وضرورة تشريع الاحكام والوصايا لكل تلك الحالات ، مع بيان سلبيات اهمالها ومخاطر تجاوزها ، كما ان فيها تأكيداً للوسطية الاسلامية الرائعة ، وان خير الامور اوسطها في الحق ، « واذا قمت في صلاتك فلا تكون منفرداً ولا مضيعاً » اي اذا كنت امام القوم في صلاة جماعة فلا بد لك من مراعاة حال المسلمين ، ولا يصح منك الافراط في الاطالة بالصلاة الى حد ضجر المصلين المنفر لهم عن حضور صلاة الجماعة والدافع لانفضاضهم ، فتبقى منفرداً ، ولا ان تفرط في الاسراع بالصلاة الى حد الاخلال بها فتضيع الصلاة ، او يضيع بعض اجزائها ، لسرعتك في الصلاة ، بل لا بد من ملاحظة الامرين والتمعن بما رواه (ع) عن رسول الله : « صل بهم كصلاة اضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيماً ، حيث يقرر (ص) جملة حقائق هامة لا بد من مراعاتها ، منها :

اهتمام القيادة بكافة الامور والقضايا التي قد يراها البعض ليست ذا بال يشغل بها القادة ومنها : تأكيد روح الاسلام وانسانيته في التعامل مع الامة ومراعاة شعورها وقابلياتها وقدراتها وعدم ارهاقها بما لا طاقة لها به.

منها : ان الاهتمام بشيء يجب ان لا يكون على حساب شيء آخر ففي حالة التشويق والحث على الاكثار من العبادات وحسن ادائها في اوقاتها يجب ان لا يكون دافعاً لنسيان سلبيات الاطالة ومخاطرها .

ومنها : انه لشدة اهتمام الرسول (ص) بهذه المفردات اعتبر ان الرفق بالناس ومراعاة حالهم مظهراً من مظاهر الرحمة التي امر الله بها عباده وامتدح الرحماء ، وبذلك تكون الاطالة وارهاق الناس بطول الصلاة امر منهي عنه ، وهو اضطهاد للناس وخلاف الرحمة ، كما ان الاستقامة في هذه الامور ، =

عيش الحاكم مع الامة واتصاله بها

واما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ، وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى به الناس من الامور ، وليست على الحق سمات ، تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين : اما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب تعطيه أو فعل كريم تسديه ، او مبتلى بالمنع ، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك ، مع أن اكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك ، من شكاة مظلمة ، أو

= وعدم التزّمت ، سيشجع عامة الناس على اداء الفرائض وحضور الجماعات والجمعات .وبذلك يعكس امير المؤمنين (ع) النظرة الاسلامية الانسانية والتخطيط السليم لعدم ارهاق الامة واضطهادها بالسلوك المزاجي ، ومنها نلمس جدارة المنهج التربوي الاسلامي في الشعور بمسؤولية حقوق الاخرين ، وان حرية المسلم الواعي هي الحرية المنضبطة والتي تنتهي حيث تبدأ حقوق الاخرين المشروعة.

طلب انصاف في معاملة(٥٧).

---

(٥٧) الحجاب والحجّاب والاحتجاب، مشكلة معقدة نادراً ما ينجو منها القادة والزعماء والحكام، ويجمع علماء الاخلاق والسياسة على ذمها، ويروون الكثير من القصص والنوادر والاشعار بمساويء الاحتجاب، وذم الحكام الذين يحتجبون عن الامة ويكون لهم حجّاب وابواب مغلقة تحول بين الحاكم وبين التقائه بالامة واستماعه لمشاكلها واحوالها وشكاواها وارائها كما روي في ذم حالة الاحتجاب احاديث تؤكد خطر احتجاب الحكام ومذموميته.

قال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز، فقال لآذنه: من بالباب؟.

قال رجل اناخ الان زعم انه ابن بلال مؤذن رسول الله (ص)، فأذن له، فلما دخل قال حدثني؟ فقال: حدثني ابي أنه سمع رسول الله (ص) يقول: «من ولي شيئاً من امور المسلمين ثم حجب عليه، حجب الله عنه يوم القيامة» فقال عمر لحاجبه: الزم بيتك، فما رؤي بعدها على بابه حاجب، وقال لا شيء اضيع للمملكة واهلك للرعية من شدة الحجاب للوالي ولا اهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب لأن الرعية اذا وثقوا بسهولة الحجاب احجموا عن الظلم(١).

ومن خلال صيغ الذم والنهي الواردة في ذم الحجاب، يتأكد ذم الاحتجاب الطويل الذي يقطع الحاكم عن الامة ويحول بين وصولها اليه او الاتصال به مباشرة، وهذا صريح في فقرات العهد المبارك حيث يبتدىء بذم اطالة الاحتجاب، ثم يذكر (ع) جملة حقائق وارقام تدين اطالة الاحتجاب، وانها حالة مرضية تصاحب الحكم والحكام تكشف عن ضيق في صدر الحاكم وعدم ثقة منه بنفسه وبالامة وبقدرته على حل مشاكل الامة والنظام.

ثم يشير (ع) الى اهم مساويء الاحتجاب، وما يجره على الحاكم والامة،=

---

(١) الراعي والرعية لـ لتوفيق الفكيكي ص٢٧٦.

= وكيف ان الاحتجاب سيحرم الحاكم من جملة معلومات هامة لا يستغني الحكم والحاكمون عنها ، مما يؤدي الى تبادل سوء الظن بين الحاكم والامة ، وغياب الحقائق والارقام الدقيقة من شؤون الحاكم والامة ، فيصغر بنظر الامة كثير من الاعمال الكبيرة التي يقوم بها الحاكـم ويتفاقم ويكبر عندهم الامر الحقير الصغير ويتحول الحدث الحسن الى قبيح والقبيح الى حسن ، ويختلط الحق بالباطل ، لأن الامة والوالي هم بشر لا يعلمون الغيب ، ولا يخرقون الحجب ولا يمكن التعليل بمعالجة تلك الحالات الخطرة بأن الحاكم والامة يجب ان يجتهدوا لمعرفة الحق والعمل به ، فإنه لا توجد مميزات للحق عن الباطل دون الاتصال وسماع الاراء والادلة « وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب » ثم يشير (ع) في نص تحليلي رائع لمبررات وأقسام هذا الاحتجاب ، وطرق تفنيدها وانها لا تخلو من حالات ثلاث :

١ ـ اما ان يكون الحاكم الذي يمنع الناس من الدخول عليه او يطيل احتجابه عنهم هو امرؤ سخي كريم النفس يطمع الناس بعطائه ، وهو يشعر بلزوم ذلك العطاء ، وانه حق للامة عنده فلماذا اذا يحتجب عنهم.

٢ ـ ان يكون الحاكم والزعيم بخيل مبتل بعاهة الشح والمنع ، فلماذا اطالة الاحتجاب لأن خبر بخل الامير وشحه سينتشر بين الناس « فما اسرع كف الناس عن مسألتك ، اذا أيسوا من بذلك » وبذالك لا تبقى حاجة للحجّاب والابواب وطول الاحتجاب ، فان الناس هم منصرفون عنه آيسون من خيره واحسانه.

٣ ـ وهنا يرشد امير المؤمنين الولاة والزعماء الى ان القادمين من الامة على ابواب الولاة والمتهالكين للدخول عليهم ليسوا جميعاً من طلاب نوال الحاكم وعطائه . بل اكثرهم الذين يأتون للحاكم والزعيم ليعينهم في استخلاصْ حقوقهم ، او رفع الظلامات عنهم بما لا يكلف الحاكم اي مؤونة او بذل « مع ان اكثر حاجات الناس اليك ما لا مؤونة فيه عليك ، من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة ». =

ثم أن للوالي خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتطاول ، وقلة انصاف في معاملة ، فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال ، ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة ، تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة(٥٨) .

= يبقى كيف تعالج حالات الحجابة التي تمت في ايام الرسول (ص) وايام الائمة صلوات الله عليهم يضاف لها ما استجد من توسع اعمال الحكام والزعماء وكثرة اعمالهم ومسؤولياتهم ، وتصدى الناس جميعاً وطمعهم في الاتصال بالزعيم والحاكم ، بما يصل لحد طمع الالاف من البشر وتمكنهم من الوصول لمقر الحاكم يومياً .

ومعلوم مدى الهدر في الاوقات والحقوق العامة والخاصة التي تحدثها حالة الفوضى وعدم التنظيم ، لهذا لا بد من الفصل بين الحالات التي يحتجب فيها الحاكم احتجاباً كاملاً او يطيل لحد مرفوض ، ويغلق باب الوصول اليه ، او يعسره بما يحـرم الامة من إسماع صوتها وحماية حقوقها وبين تنظيم الاوقات والاعمال ، واستعانة الحاكم والزعيم بالاعوان الثقاة وتخصيصهم للقاء الناس وسماع شكاواهم ومشاكلهم وتصريف شؤونهم بما يحقق مصلحة الامة والحكم والحاكم ، وهذا ما تعرض له امير المؤمنين (ع) في اكثر من موطن من العهد وغيره من الرسائل والكتب والخطب والوصايا اشرنا لبعضها فيما تقدم .

(٥٨) تكرر من علي (ع) تحذير الولاة والحكام والزعماء من مخاطر واضرار الخاصة والبطانة في فصول العهد السابقة وغيرها من الكتب والخطب والوصايا ، وما ذلك إلاّ لخطر هذه الفئة وكبير ضررها وفسادها على الحكم والحاكم والامة ، وانها فئة ضارة تجمعها المصالح الخاصة مما يؤكد خطر البطانات والحواشي وكبير ضررها وان علياً (ع) لم يتعرض إلاّ لمساوئها واضرارها ومفاسدها على الحكم والامة والحاكمين ، وان ابرز مساوىء =

....

= البطانة ، هو حبها للاستئثار بالمراكز والمنافع والاموال . وان هيمنتها على ذهنية الحاكم وتسلطها على مقدرات الامة يحملها على التطاول والجرأة على أحكام الله وحقوق الناس واذا استفحل امرها وضعف امامها الحاكم سيكون تطاولها على الحكم والحاكمين ، فيتلاعبون بالحاكم وبمقدرات الامة وطالما شهد التاريخ البعيد كيف تحولت البطانة الى اداة هدم للحكم ، ومنها انطلقت كثير من المؤامرات والثورات التي اطاحت بالحاكمين او كانت ادوات لاعداء الحكم والحاكمين ، وسهلت مهمة الاعداء واوقعت أفدح الخسائر ، الى حد ان جملة من خلفاء بني امية وبني العباس والعثمانيين كانوا العوبة بيد حواشيهم وبطاناتهم في كل يوم لهم انقلاب وخليفة يبيعون المنصب ويعطونه كما يشاؤ ون بدون انصاف ولا وفاء .

ثم يشير (ع) الى ضرورة معالجة سلبيات البطانة ومساوئها « فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال. . » ويعدد (ع) جملة من تلك الامور التي يقتضي للحاكم الحزم والشدة في قطع دابرها ، وان اي تهاون او حسن ظن مع البطانة والحواشي ستجر الدمار والفساد ، وتشجعهم على ارتكاب اقبح الاعمال واضرها بالبلاد والعباد ، فعلى الحكام والزعماء حسم كل مداخل البطانة وقطع دابر طمعهم وجشعهم وسوء استغلالهم ، لأن ذلك سيكون على حساب الامة والنظام ، ثم يختم هذا الفصل بقوله (ع): « فيكون مهناً ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والاخرة » وبذلك يشير (ع) الى مسؤولية الحاكم والزعيم عن اعمال وتصرفات اعوانه وحاشيته بما يلحق من عيب وادانة وانتقاص للحكم والحاكمين ، وما يستتبع ذلك من سخط الامة وعدائها للحكم والحاكمين ، فان الامة ترى أن فساد البطانة وسوء تصرفها بسبب ما يمنحه الحكم والحاكم لهذه البطانة من فرص وامكانات وحماية ، وهي ادانة مشروعة تعطي الحق للامة بالنقد والمحاسبة، وللحاكم الاعلى بالقصاص والمعاقبة . وهذا ما يؤكده (ع) في الفصل اللاحق من هذا العهد ، ويحث على اقامة موزاين العدل والمراقبة والمحاسبة مع البطانة والخاصة ، هذا بالاضافة الى حساب الاخرة وأليم عذابها .

والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فان مغبة ذلك محمودة .

وان ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ، ورفقاً برعيتك ، واعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق[٥٩] .

---

(٥٩) لأهمية هذه النقاط وخطرها على الامة والحكم والحاكمين ، نجد امير المؤمنين (ع) يكرر الحديث عنها ، ويؤكد من خلالها على ضرورة الالتزام بالحق والصبر على تطبيقه وخاصة على النفس والاقربين والبطانة وعدم إعفاء احد من تبعات اي مخالفة .

ومهما ثقل على الحكام اقامة العدل والمحاسبة ، واقامة الحدود على الاهل والخاصة ، فان عاقبة ذلك رضا الله سبحانه ، وحماية النظام ودوامه ، وقطع دابر الفساد.

ثم يشير (ع) الى مبدأ رسالي رائع ، يرسم معالم السياسة الاسلامية الحكيمة ، بأن على الوالي توضيح اعماله للناس وعرض امور الامة على الملأ والرأي العام « فأصحر لهم بعذرك » فإن الامة اذا بقيت بمعزل عن مجريات الامور ستظن بحكامها التقصير والظلم والعجز. . وسيستغل الاعداء غموض المواقف ، وعدم اعلان الحقائق ، فيفسروا اعمال الحكومة والحكام على عكس حقيقتها ويشيعوا بذلك النقمة على الحكم والحاكمين ، فلا بد من قطع دابر الفساد بعرض الامور على الامة تطبيقاً للنصيحة الالهية في الكتاب العزيز « وشاورهم في الامر . . » (آل عمران : ١٥٩) .

وهذا المسلك الرشيد من أسس السياسة الاسلامية ، هو منهج حكيم يجب ان يقتدي به كل الرساليين الساعين لأقامة حكومة العدل الالهي وارساء دولة الاسلام العالمية ، وهذا ما يلمسه المتتبع المنصف واضحاً في سيرة الرسول =

= الاعظم (ص) ومن سار على نهجه وطبق اوامره.

وعلي (ع) كان من ابرز العاملين بهذا المبدأ الكريم ، نلمس ذلك جلياً من بياناته وخطبه ورسائله منذ تسلم زمام الامور ، كخطبته بعد بيعة الناس له في المدينة ، وكخطبته بعد موقعة البصرة ، والنهروان ، وصفين ، وكالخطبة الشقشقية التي سرد فيها جملة الاحداث السياسية ورأيه الصريح فيها ، وكذلك في كثير من كتبه وعهوده للاقطار والولاة موضحاً فيها سياسته الاسلامية المبدئية الواضحة ورأيه بكافة الامور ، متعرضاً لما يهم الامة والبلاد تجاه ما وقع منها وما هو متوقع الحدوث.

ومن خلال هذا الجزء من فقرات العهد المبارك تتعمق الثقة باخلاقية السياسة الاسلامية وبعدها عن رذائل السياسات الوضعية ومنعطفاتها المردية والتي تعتمد الغش وخداع الامة وتضليلها حين تتكلم عن كثير من الامور خوف الافتضاح والتناقض ، بينما يدعو الاسلام وحملته الابرار للاعلان وبيان الحقائق « فاصحر لهم بعذرك ».

ثم يبين (ع) اهداف ومنافع هذا الاعلان مؤكداً على أربعة نقاط هامة ، سبقت الاشارة لها مجملة فيما تقدم من فصول العهد :

١ ـ واعدل عنهم ظنونك باصحارك » لأن في الاعلان واطلاع الامة على الحقائق يتخلص الوالي والحاكم من سوء ظن الامة حيث يشكل سوء ظن الامة بالوالي فرصاً كبيرة وكثيرة تعمق البغض والقطيعة ومناهضة الحكم والتشهير به والعمل على هدمه.

٢ ـ « فان في ذلك رياضة منك لنفسك » لأن اعلان الحق وما يستتبعه من قبول المراقبة والمحاسبة من الامة على الدولة والحاكم ، واستعداد الحاكم للمحاسبة وهو من موقع السلطان والقوة دليل على هيمنة الحاكم على نفسه وشدة تقواه ، وهي ممارسة تمتن ارادة الحاكم وقدرته على عدم التجاوز لحقوق الله والامة والتهاون بمهامه. =

ولا تدفعن صلحاً دعاك اليه عدوك ، ولله فيه رضى ، فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن(٦٠).

= ٣ ـ « ورفقاً برعيتك » وهو تجسيد للجانب التربوي الاخلاقي ودعم لمبدأ الشورى ومحاسنه وتمتين لجسور الحوار بين الامة والقائد ، واشعار للامة بالكرامة ، والاعتناء بوجهات نظرها وهذا المبدأ يحمي الامة ويوقيها من سوء الظن بالحكم والحاكمين وما يستتبع ذلك . كما ان الامة من خلال اهتمام الحاكم بها ومشاورته لها واطلاعها على المهم من شؤونها ، سيحملها كل ذلك مسؤولية حماية الحكم والحاكمين والدفاع عن وجهات نظرهم .

٤ ـ « واعذار تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق » وذلك تجسيد للقاعدة العقلية المنطقية « قبح العقاب بلا بيان »، فان التكتم واخفاء الحقائق على الامة يبيح للامة كثيراً من الاعمال والممارسات التي تؤدي الى الفساد والدمار واهدار الدماء والاموال والاوقات وتسلب الحجة من الحكم والحاكمين في محاسبة ومعاقبة المتجاوزين . فيما يعطي التوضيح واعلان الحقائق الحق والحجة للحكم والحاكمين بالمحاسبة والمعاقبة على كل افتراء وتجاوز ولا تبقي عذراً لمعتذر وتبيح للحاكم من خلال هذا الإعذار الحق كاملاً بالزجر والتقويم والعقوبة .

(٦٠) تقرر هذه الفقرات جملة حقائق عن رأي الاسلام في السلم والحالات التي يجب فيها قبول مبادرات السلم ومبررات ذلك القبول ، وهو تأكيد لما جاء في الكتاب العزيز حيث صريح امر الله سبحانه للمؤمنين : « يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » (سورة البقرة : ٢٠٨) وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة =

. . ..

= الدنيا فعند الله مغانم كثيرة » (سورة النساء : ٩٤)، وقوله عز اسمه : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (سورة الانفال : ١٦) .

ووبذلك تتضح الاهداف السامية للشريعة الاسلامية بالدعوة للسلام في الارض ، ونشر الدعة والامان والاطمئنان بين البشر ، لأن الحرب بنظر الاسلام وسيلة لا غاية ، ولا يصح اللجوء للحرب إلاّ بعد استنفاذ كافة الوسائل السلمية ، وما ذلك إلاّ لأن في الحرب مساويء وآلام ومحن وكوارث واستنزاف للطاقات وتعريض لدماء الناس واموالهم لأبشع الاضرار والمفاسد . وقد اكد حب الاسلام للسلم ودعوته المبدئية الحقيقية له جملة حقائق وادلة ، فبالاضافة لما جاء في الكتاب العزيز ، كان سلوك الرسول الاعظم (ص) في مختلف ادوار ومراحل الدعوة الاسلامية في غزواته وحروبه ، وحتى في ايام قوة الدعوة وانتشارها ولجاجة اعدائها ، فكان (ص) يؤثر السلم ما استطاع لذلك سبيلاً ، وما أمر صلح الحديبية عنا ببعيد ، حتى ان بعض المسلمين ثقل عليهم قبول ذلك الصلح وتضايقوا منه لظاهر بعض شروط الصلح المجحفة بحقوق المسلمين بما في ذلك منع المسلمين من دخول مكة مع قربهم منها ، وكثرة عددهم وعدتهم ، وبوادر تشتت امر قريش وضعفهم . إلاّ أن النبي (ص) عملاً بمبدأ حبه للسلم وايمانه بأفضليته على الحرب وامتثالاً لارشاد المولى سبحانه ، أثره على الحرب ، كما ان المعروف من سيرة الرسول الكريم (ص) ووصاياه واوامره لامراء الجند وقادة الغزوات والمعارك ، هو ترجيحه للسلم على الحرب ، وكذلك سيرة امير المؤمنين (ع)، وانهما لم يبدءآ حرباً إلاّ بعد استنفاذ كافة الوسائل التي تجنب الحرب وتبعدها وتذكير القوم بمساويء الحرب وأضرارها.

ولو تتبعنا صفحات التاريخ لوجدنا ان كل الحروب التي وقعت أيام رسول الله (ص) بين المسلمين والكفار والمشركين واليهود ، الحروب الصغيرة منها والكبيرة ، كانت بسبب اصرار ولجاجة اعداء الاسلام في الوقوف بوجه دعوة الله سبحانه وتبليغ احكامه في المجتمع . وغالباً ما كانت تأخذ حروب =

= المسلمين تجاه اعدائهم طابع الدفاع ، او لتأمين الطرق والبلاد من المفسدين او للقصاص واسترجاع حقوق المسلمين ، وكذلك الحال بالنسبة لما وقع من الحروب على يد علي امير المؤمنين (ع)، كلها كانت بسبب اصرار المنافقين والمنحرفين والمتمردين على الحيلولة دون اقامة موازين الحق والعدل ، او لطرد المفسدين ، وتأمين البلاد والعباد ، مما حمل المسلمين حملاً على خوض الحرب.

ومما يؤكد منهج الاسلام الانساني الداعي للسلم وبغضه للحرب ، فإنه حتى بعد فرض الحرب وممارستها وانتصار المسلمين فيها ، فان اوامر الرسول (ص) صريحة بالكف عن الحرب عندما تحقق اهدافها ، او عندما يسلّم العدو او يهرب كما وقع في كافة حروبه وغزواته (ص) وكما في فتح مكة ، وغيرها من مواقف النبل وايثار السلام وحماية ارواح الناس واموالهم ، وكذلك بالنسبة لسلوك امير المؤمنين (ع) كما هو معروف ، وكنموذج لذلك موقفه (ع) من موقعة الجمل ، فإننا نقرأ اكثر من دليل على تحاشي الامام للحرب ، ورغبته بعدم وقوعها ، فرغم اصرار المتمردين على حرب الامام الشرعي ، واعلانهم العصيان المسلح ، وفتكهم في البصرة قتلا للابرياء ، ونهباً للاموال ، فإنه (ع) لم يبدأ الحرب ، بل بذل اقصى الجهود لأخماد الفتنة بالتي هي أحسن وارسل ابن عباس وخيار الصحابة ليحذروا العصاة من مغبة الفتنة والقتال ، ويذكروهم احقية علي (ع) بالخلافة ، ويتلون عليهم وصايا النبي (ص) بحق علي ، وبيعة المتردين لعلي في المدينة ، وبراءته من دم عثمان ، وان المتمردين ورؤسهم هم الذين ألبوا على عثمان وخذلوه واسلموه للفتنة والقتل ، ويدعونهم للكف عن القتال مع ضمان العفو العام عن كافة المتمردين ان هم فاؤوا الى الحق وارجعوا حقوق الله والناس ، ومع استنفاد كافة الوسائل السلمية لاخماد الفتنة وتحاشي الحرب ، فقد أصر العصاة المتمردون على الحرب وسارعوا للبدأ بالحرب ، حتى استشهد جملة من جيش الامام قبل أن يأذن الامام (ع) بالحرب والقتال وعندها لم ير الامام بدأً من دخول الحرب وتخليص الامة والبلاد من فساد المتمردين وعبثهم ، ورغم =

= هول الحرب وشدة وطأتها ، وكثرة المتاعب التي جرتها على الامام والامة . .
فبمجرد ان عقر الجمل وانهزم المتمردون ، نادى مناد الامام في جيشه بالكف
عن القتال ، وان لا يجهزوا على جريح ، ولا يتبعوا هارباً . وعفا عن مثيري
الفتنة ورؤسها ، وارسلهم الى المدينة معززين مكرمين .

وهذا لا يعني ان الاسلام وحملته يقفون مكتوفي اليد امام طغيان الكفر والظلم
والفساد في الارض وامام صرخات المستضعفين من البشر تحت سياط جلادي
الشعوب والمستكبرين في الارض بحجة السلم وبغض الحرب فان ذلك
استسلام وخنوع وقعود عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشجيع للظلم
والكفر والفساد ، فان حماية السلم الحقيقي ، وصيانة حقوق البشرية تستدعي
من قوى الخير وحماة الشريعة التصدي بحزم **« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير»** (سورة الانفال :
٣٩).

« أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » (سورة الحج :
اية ٣٩).
**« يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس
المصير»** (التوبة : ٧٣).
**« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب
المعتدين »**(سورة البقرة : ١٩٠) .

من مجموع هذه الآيات وغيرها تتضح السياسة الاسلامية بخصوص الحرب
والسلم وضوابطهما حيث تتأكد سياسته بوجه عتاة البشرية وهادري كرامتها من
الكفار والمنافقين والمستكبرين الساعين بالفساد في الارض ، الذين لا يفهمون
سوى لغة القوة ، وحينها تكون الحرب والقتال هي الحل العملي الوحيد لاقامة
ميزان العدل الالهي ، وسيكون السلم استسلاماً للباطل ورضوخاً للكفر
والاستكبار ، وتكريساً للواقع الفاسد ، واعانة على الاثم ، ومن هنا تأتي
ملاحظة الامام علي (ع) في أخر هذا الفصل الداعية للحذر من العدو=

الوفـاء بالعهـود

وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، أو ألبسته منك ذمة ، فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالامانة ، واجعل نفسك جُنة دون ما اعطيت ، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق اهوائهم ، وتشتت ارائهم ، من تعظيم الوفاء

= ومكائده ، وان العدو اللئيم الغادر قد يستعين بالصلح حينما يدرك فيه مصلحته فيرضخ للسلم والمهادنة والاذعان ولكنه يريد من ذلك كسب الوقت وليعد العدة للانقضاض ثانية بعد استكمال قواه ، وسنوح الفرصة له او يتخذ العدو فرصة السلم والمهادنة وسيلة تتيح له دخول البلاد وبث عيونه واعوانه لخلق الفتن ، والاطلاع على عورات البلاد ومواطن الضعف فيها ، لذا نرى امير المؤمنين (ع) يدعو ويؤكد على مزيد من الحذر واليقظة : « ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل » أي ليستغل غفلة المسلمين وحسن ظنهم بالصلح والمهادنة ، وهو تأكيد لمنهج الاسلام الدائب في حثه على الحذر وذم الغفلة كما هو صريح قوله تعالى : « وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ، ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلةً واحدة » (سورة النساء/ آية : ١٠١) .

وفي هذه الآية الكريمة ، وان كانت بظاهرها وبسياقها تعالج حالة معينة من الحذر حالة الحرب واداء الصلاة وسط المعركة ، إلاّ أنها تقرر مبدء الحذر ، وتنهي عن الغفلة والتهاون والثقة بالكفار والمنافقين .

بالعهود ، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر ، فلا تغدرن بذمتك ، ولا تخيسن بعهدك ، ولا تختلن عدوك ، فإنه لا يجترىء على الله إلاّ جاهل شقي .

وقد جعل الله عهده وذمته أمناً افضاه بين العباد برحمته ، وحريماً يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره ، فلا ادغال ولا مدالسة ، ولا خداع فيه ، ولا تعقد عقداً تجوِّز فيه العلل ، ولا تعولّن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله ، الى طلب انفساخه بغير حق ، فإن صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه وفضل عاقبته ، خير من غدر تخاف تبعته ، وأن تحيط بك من الله فيه طلبة ، لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك(٦١) .

---

(٦١) في هذا الفصل الاخلاقي الرائع يؤكد علي (ع) انسانية واخلاقية التعاليم الاسلامية ويوضح معالم التربية الرسالية الفاضلة ، التي أدب الله بها رسله ، واولياءه وكرم بها الانسان على من سواه من المخلوقات .

ومن أبرز دعائم الاخلاق الاسلامية الامانة والوفاء بالعهد والميثاق ، لهذا نلمس شدة اهتمام القرآن الكريم وتكريسه الكثير من أياته لتأكيد هذه الحقائق واعطائها بعداً تشريعياً وانسانياً واعتبارها من المسلمات التي أكدتها كل الشرائع والتعاليم الالهية منذ أول الخليقة : « **إنا عرضنا الامانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً** » (سورة الاحزاب : آية : ٧٢) .

ويعتبر المولى سبحانه ان خيانة الامانة خيانة لله ولرسوله وذلك بصريح قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم** =

= **تعلمون** » (الانفال، آية : ٢٧) .

وحين يكرم المولى عباده الصالحين يبين ان من أهم اسباب نجاتهم من النار وفوزهم بالجنة ورضى الله هو أنهم : « **لأماناتهم وعهدهم راعون** » (سورة المؤمنون : آية :٨).

واما عن الوفاء بالعهود والمواثيق فقد كانت الشريعة الاسلامية شديدة الحرص على الوفاء بالعهود والمواثيق ، وذلك واضح من آيات الكتاب العزيز ، والاحاديث الشريفة وسلوك الرسول الاعظم (ص) والهداة الميامين من آله وأصحابه الملتزمين .

وقد تعرض أمير المؤمنين (ع) في هذا الفصل من عهده العلوي الكريم الى حقيقة هامة تؤكد قيمة الوفاء بالعهد ، وانه مما اجمع عليه عقلاء البشر وتطابقت عليه الشرائع السماوية واكدتها تعاليم الاسلام ومناهجه الاخلاقية المؤكدة على وجوب المحافظة على العهود والمواثيق ، وان لا بد للمعاهد أن يفي بعهده ويؤدي امانته ، ويتعفف عن نقض العهد ، وان الوفاء بالعهد الذي التزم به الملحدون والمشركون فيما بينهم اولى بأن يلتزم به المؤمنون ، مستجيبين لنداء الله سبحانه : « **الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق** » (سورة الرعد : ٢٠) .
وقوله تعالى : « **واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ان الله يعلم ما تفعلون** » (سورة النحل : ٩١) .

وقوله عز اسمه : « **واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً** » (سورة الاسراء : ٣٤) .

كما ورد في ذلك من الاحاديث ما لا يمكن استيعابه ، منها ما روي عن الامام الصادق (ع) قوله : « **ان الله عز وجل لم يبعث نبياً إلاّ بصدق الحديث ، واداء الامانة الى البر والفاجر** ».

وقوله (ع): « ثلاثة لا عذر فيهن لأحد : أداء الامانة الى البر والفاجر والوفاء =

حرمات الدماء

إياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شيء ادعى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا احرى بزوال نعمة ، وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها ، والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد ، لأن فيه قود البَدَن ، وان ابتليت بخطأ ، وافرط عليه سوطك أو سيفك او يدك بالعقوبة ، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى اولياء المقتول حقهم[٦٢].

= بالعهد الي البر والفاجر ، وبر الوالدين برين كانا او فاجرين ».

وروي عن لقمان (ع) قوله : « ما بلغت الى ما بغلت اليه من الحكمة إلاّ بصدق الحديث واداء الامانة ».

ثم يشير علي (ع) في هدا الفصل من العهد الى نقطة هامة ، وهي ان الوفاء بالعهد مهما كان فيه من عناء وضيق ، فإنه أفضل وأولى من غدر لا ينجو من تبعته من الله سبحانه ، وذله وحقارته بين الناس .

(٦٢) لله درك يا أمير العدالة والانسانية وصوتها المدوي عبر الأحيال ، لقد جسدت =

= المثل الاسلامية بوصاياك الخالدة وممارساتك العملية الصادقة ، وحقاً انها تنير الدروب للسالكين . .

أخي المسلم ، أيها المضطهدون في الارض ، هاكم اقرأوا هذا الفصل الرائع من وصايا الحاكم العادل علي أمير المؤمنين (ع) وهو يشدد ويتوعد في الردع عن اراقة الدماء المحرمة ، ووجوب المحافظة عليها من عبث العابثين ، وطيش الولاة واستبدادهم ، محذراً ان سفك دماء الناس الابرياء مدعاة لسخط الله ونزول نقمته ، وزوال نعمته .

ثم يحذر (ع) من أن يصون الحكام سلطانهم بسفك الدماء المحرمة ، فان ذلك يؤدي الى آثار عكسية ، وسيمهد ويسارع بتقويض الظالم واسقاطه ، ولا يظن ظان بان القوة والبطش والقتل من عوامل ترسيخ الحكم ودوامه ، كما هو سائد في عقلية طواغيت الارض ، وحكام الجور والفساد فان التاريخ بمختلف ادواره اثبت عكس هذا الفهم وخطأه وان الدماء المسفوكة حراماً كانت ولا تزال عاملاً من عوامل هدم الظلم واسقاط الظالمين وتدميرهم ، وان الدماء محفزة للثأر والانتصار ، ومادة من أهم مواد إثارة الشعوب وتحريكها ضد الحكم والحاكمين ، وصريح وعد الله ـ ووعده الحق ـ لاولياء المقتولين ظلماً بالنصر المحقق ، مضافاً لغضب الله ونقمته على الظالمين : **« ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ، ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً »** (سورة الاسراء : ٣٣) .

ثم يؤكد (ع) في وثيقته التي جسدت ايمانه وحرصه على اقامة ميزان العدل بين كافة ابناء الامة ، ان الولاة والحكام ليس لهم ما يميزهم عن بقية البشر ، او يعفيهم من تبعة اعمالهم وانما يتفاضل الناس بمقدار التزامهم بالاوامر الالهية ورضخوهم للاحكام الدينية . بل يكون الحاكم اولى بتنفيذ الاحكام التي يدعو اليها : **« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً »** (النساء : ٦٤) .

لهذا نجد صيغة التهديد من علي (ع) شديدة في مخاطبة الالحكام والولاة : =

. . . .

= « ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد » وهو موقف في غاية الجد والصرامة ، وصريح باسقاط الحصانة المزعومة التي يتستر بها الحكام والولاة الظلمة .

ثم يشير (ع) الى مبدأ اخلاقي في القوانين والاحكام وهو مراقبة الله سبحانه الذي لا تخفى عليه خافية ، وان الجاني قد يتستر في الدنيا على جريمته ، او ينجو من طائلة القصاص بسبب من الاسباب ، وخاصة ذووا النفوذ والسلطان ، بما يملكون من وسائل اخفاء معالم الجريمة واسكات صوت المظلومين بالبطش والقوة ، ولكنهم لا يمكن ان يفلتوا من عدل الله ونقمته ، ولن تجوز عليه سبحانه ، حجة زائفة او عذر باطل ، ولن تضيع عنده ظلامة مظلوم ، وان الله للظالمين بالمرصاد .

ثم يشخص امير المؤمنين (ع) الحل العملي لقضايا القتل والدماء وذلك مع فرض ابتلاء الحاكم والولي بقتل الخطأ ، فلا بد له من توطين نفسه على الاعتراف بخطئه ، وان لا تأخذه حمية الجاهلية ، ونخوة السلطان ، فيصر على خطئه . ولا بد أن يؤدي جزاء ما اقترفت يداه لاهل المجنى عليه دية قتيلهم ، او يحصل على العفو منهم ، وهذا هو صريح حكم الله سبحانه : **« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ خطأ ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة الى اهله إلاّ ان يصدقوا . . » « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيماً »** (سورة النساء : ٩٢ - ٩٣) .

ويؤكد أمير المؤمنين (ع) أن الاعتراف بالخطأ واداء دية القتيل ، كلها عوامل تكشف عن توطين الانسان نفسه وقبوله لحكم الله فيه ، كما انها تعبير عملي عن التوبة الصادقة ، إذ ليست التوبة هي محض الاقلاع عن الفعل المحرم ، بل لا بد من تأدية ما هدر بالتجاوز من عباده من دم او مال او حق لله او للناس ، كما ان توطين النفس والاعتراف بالحق واداء ما اوجبه الله سبحانه ، من قصاص او دية ، او كفارة ، تحمل على الردع عن تكرار المعصية ، كما=

= تحد من إقدام ضعاف النفوس على اقتراف الجرائم وارتكاب المآثم ، وكلها عوامل تربوية تساهم باشاعة العدل وتهذيب النفوس وابعادها عن الوقوع في الجرائم .

كما ان التزام الحاكم بأوامر الله وتنفيذه لاحكام الله على نفسه واهله واعوانه من اهم وسائل ثقة الامة بالحاكم وتفانيهم في حبه وتأييده ، وذوبان حقدهم عنه ، وحين يؤكد أمير المؤمنين كل هذه الاسس والقواعد لضمان العدل وجريان الحق على الحاكم والمحكوم ، ويلزم الحاكم بضمانة حقوق الامة فيما جرى منه ومن اعوانه واجهزته في العمد والخطأ ، ويحيل الحاكم والزعيم الى محكوم يوسم بميسم الذل والتعدي لحدود الله سبحانه ، وينزل به من العقوبة ما يستحقه مثله كاملاً غير منقوص ، فإنما يرسي امير المؤمنين (ع) أسس العدالة الالهية بما لم تره البشرية ولم تسمع له مثيلاً في غير الاسلام وحملته الابرار.

ونحن اليوم أحوج ما نكون لهذا العدل وصرامة التطبيق ، حيث تعيش البشرية محنتها الكبرى بحكامها وحكوماتها ، القائمة بالظلم واضطهاد الناس ، متذرعة بالحماية الباطلة لحكام الجور من خلال ما سنّوه من قوانين جاهلية جائرة ، ومما يروجه ادعياء الاديان ووعاظ السلاطين ومن توالى وتكدس المظالم بشكل مريع ، وما ذلك إلاّ سيئة من سيئآت الحكم بغير ما أنزل الله وها هو النور ينبعث من ايران الثورة ، ايران الاسلام ، فيضع نواة الدولة الاسلامية العادلة والتي طال غيابها ، ويحقق حلم الاجيال ، وأمل المستضعفين في الارض بقيام الجمهورية الاسلامية التي تعتمد الاسلام ديناً ودستوراً ونظاماً ، وترفع راية العدل الالهي الذي لا يفرق في العقوبة والقصاص بين الحاكم والمحكوم ، وتفتح كوّة على الاسلام والعدل الالهي المغيب في سجون الظلمة ، لترسي بذلك قواعد دولة الاسلام الكبرى في الارض التي تحقق أمال الانبياء والمصلحين وأمال وطموحات جميع عباد الله الصالحين ، دولة الامام المنتظر (ع) الذي سيملأ الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، وما ذلك على الله بعزيز. =

مساويء صفات الحكام

وإياك والاعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب

= والقتل عند الفقهاء على ثلاثة أقسام : عمد محض ، وخطأ محض ، وخطأ شبيه بالعمد :

١ ـ فالعمد المحض كل من قتل غيره ،وكان القاتل بالغاً كامل العقل ، بأية آلة كان القتل اذا كان قاصداً بذلك القتل ، أو يكون فعله مما جرت العادة بحصول الموت به . ويجب في هذه الحالة القود او الدية ، والقود هو قتل القاتل .

٢ ـ الخطأ المحض : وهو ان يرمي الانسان شيئاً فيصيب غيره فيقتله ، فانه يحكم له بالخطأ ويجب فيه الدية ولا قود عليه .

٣ ـ الخطأ شبيه العمد : وهو ان يقصد الانسان الى تأديب ولده او عامله ، او من له حق تأديبه ، بما لم تجر العادة ان يموت الانسان بمثله ، فيموت المضروب، او يعالج الطبيب غيره بما قد جرت العادة بحصول النفع عنده ، فيؤدي ذلك الى الموت ، فان جميع ذلك يحكم له بالخطأ شبيه العمد ، ويلزم فيه الدية فقط .[1]

وللفقهاء والمفسرين تفصيلات واسعة في هذا المجال ، فلا بد حين العمل من الرجوع الى مصادر التشريع المبرئة للذمة فعلاً .

---

(١) النهاية / للشيخ الطوسي : ص٧٣٣.

الاطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ، ليمحق ما يكون من احسان المحسنين .

وإياك والمن على رعيتك باحسانك ، او التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فإن المن يبطل الاحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس ، قال الله تعالى : ﴿ **كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون** ﴾[٦٣].

---

(٦٣) في هذا الفصل يتعرض أمير المؤمنين (ع) لعدة حالات وامراض اخلاقية في السلوك والممارسة مشعراً بأضرارها الكبيرة وخاصة في ولاة الامور والحكام ، ومنها : المن والمباهاة وخلف الوعد والتسرع باعطاء العهود والمواعيد التي لا يضمن وفاؤها .

وهي من المطالب التي سبقت الاشارة اليها في فصول سابقة من العهد ، وما ذلك إلّا لشدة اضرارها ، وابتلاء كثير من الناس بها ، وصعوبة التحلل منها ، لأنها تلاقي هوى في النفوس الضعيفة ، ونجد ان عناية أمير المؤمنين (ع) ببيان هذه المشاكل والامراض تمثل امتداد المبادىء الاسلام واسسه الاخلاقية في الحكم والحياة من خلال الكثير من آيات الكتاب العزيز والاحاديث النبوية الشريفة ، فقد نهى المولي سبحانه عن المن ، واعتبره عاهة تبطل الاعمال وتفسدها وامتدح عباده المؤمنين : « **الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » ثم يبين سبحانه أن الاحسان المصحوب بالمن والاذى عمل باطل ، وخير منه تركه بمعروف « **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى** » وللتأكيد على قباحة المن والاذى حكم سبحانه بأنه مبطل للاعمال ونهى عنه صريحاً بقوله : « **يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** » (سورة البقرة : ٢٦٢ ـ ٢٦٤) .

= كما يذكر امير المؤمنين أن من جملة العاهات الاخلاقية التي يجب الابتعاد عنها « خلف الوعد » « أو تعدهم فتتبع موعدك بخلف » لأن الوفاء بالعهود والعقود والمواثيق من محاسن الصفات التي اجمعت الاديان والعقول السليمة على الالتزام بها ، وذم تاركها ومنتهكها ، وقد جاء في الكتاب العزيز اوامر صريحة بوجوب الالتزام بالعهود والوفاء بها « **واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ان الله يعلم ما تفعلون** » (سورة النحل : ٩١) وفي مدح عباده الصالحين وتشخيص اسباب تكريمهم منه سبحانه : « **والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون** » (المؤمنون : آية٨) ، كما انه سبحانه قبح خلف الوعد واستنكره اشد الاستنكار ، حيث قال : « **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون** » (الصف : ٢،٣) .

وفي اكثر من آية من كتاب الله العظيم حكم المولى سبحانه بسقوط اخلاق من لا يفي بالعهد واليمين ، وطردهم من الله سبحانه يوم القيامة « **ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم** » (سورة آل عمران : ٧٦ - ٧٧) .

وما اجمع الناس على شيء كاجماعهم على قباحة وحقارة خلف الوعد ونقض العهد ، حتى عاد بين الناس من اسباب سقوط هيبة مرتكبيه ، وسوء تربيتهم ، وعدم التزامهم الديني والاخلاقي .

ثم يضيف امير المؤمنين (ع) لاضرار ومساويء هذه العاهات وفي مقدمتها خلف الوعد هو كسب صاحبه للمقت والذم والازدراء والبغض والشنئان بقوله (ع) « والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس » ثم عزز ذلك بقوله سبحانه : « **كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون** » (سورة الصف: ٢و٣) .

فلا بد للمسلمين عامة وللحكام وولاة الامور خاصة من تحري الصدق ، والوفاء بالعهد والامانة واذا دعت الحاجة للاعلان عن وعد أو عهد فلا بد من التأكد من القدرة والرغبة بالالتزام به وادائه . =

وإيـاك والعجلة بالامـور قبل اوانهـا أو التساقط فيهـا عند امكانها ، او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت، فضع كل امر موضعه، واوقع كل امر موقعه(٦٤).

---

(٦٤) قيل : الحكمة وضع الشيء في محله ، والحكيم هو الذي يضع الاشياء في مواضعها لهذا نرى حكيم الامراء وامير الحكماء علياً (ع) يوضح معـالم الحكمة ، ويجلي مفرداتها ويشخص مواطن الصواب من الزلل ، وان من خطل الرأي وسوء التصرف ، وحماقة الانسان التعجل بالامور قبل أوانها ، وان ذلك مظنة الهلكة وحماقة لا تحمد ، كذلك التواني والتباطؤ في الامور لحد تضييعها ، وتفويت الفرص يعد من الحماقة وسـوء الفهم ، وقد ورد في الحديث : « اغتنموا الفرص فانها تمر عليكم مر السحاب » وقوله (ع) : « فوات الفرصة غصة » ومن ابـرز محاسن الـرجال وحنكتهم هـو التحرك والمسارعة حيث تقتضي الحال ، والصبر والتأني حيث يلزمان ويصلحان.

وقد مدح علي (ع) صاحبه مالك الاشتر حين اعتمده لولاية مصر ، مبيناً مبررات اعتماده للحكم والولاية بأنه : « ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ، ولا بطؤه عما الاسراع اليه احزم ، ولا اسراعه عما الابطاء عنه امثل . . » ثم شفعه (ع) بهذا الدستور الحكيم والنظام الاداري والاخلاقي المتكامل .

رعاية حقوق الناس

واياك والاستئثار بما للناس فيه أسوة . والتغابي عما تعني به مما قد وضح للعيون . فإنه مأخوذ منك لغيرك ، وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك للمظلوم(٦٥).

---

(٦٥) استأثر بالشيء على غيره : خص به نفسه واستبد به(١).

والغباء : هو عدم الفطانة وعدم النباهة ، والتغابي هو اظهار عدم الانتباه وتجاوز الملاحظات والاشارات التي تطرأ على الانسان ، والمقصود هنا في الاستئثار المنهي عنه هو الشح والاحتكار الذي هو الاستبداد بالاشياء مادية ومعنوية دون الامة وهو من الامراض المدمرة والتي نادراً ما ينجو ويتخلص منها الزعماء والقادة والمتنفذون في الامور.

فضعف النفس وبروز نوازعها الخسيسة تجرهم الى استغلال ما تحت أيديهم والهيمنة عليه وحرمان الناس من حقوقهم فيه بغير حق . وقد كانت ولا تزال هذه العاهات مدعاة غضب الناس ونقمتهم وسقوط عدالة الحكام وولاة الامور. وكيف ان كثيراً ممن تشرفوا بصحبة الرسل والانبياء او تسلموا مراكز قيادية هامة في الامة ، مع ايمانهم بالمثل العليا، واستنكارهم وتنديدهم بعاهات الاخلاق كالشح والاستئثار والاستبداد ، فإنهم سقطوا خلال التجربة =

---

(١) لسان العرب ج٤ ص٨.

= العملية ولم يصمدوا امام الشهوات والمغريات مع قرب الكثيرين منهم بالرسل والرساليين.

وفي المقابل، كيف كان القادة الرساليون الابرار يضربون اروع الامثلة في الترفع عن الاستئثار والهيمنة والاستبداد، بل كان الرسل والاولياء ينتقلون الى الخندق الاسمى **« ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة »** (الحشر :٩) أي يقدمون الغير على حاجة انفسهم مع شدة حاجتهم، حتى ان رسول الله (ص) كان يمارس عدالة التوزيع لما يرد من واردات الدولة وغنائمها ولا يترك لنفسه منها، وفي عز الرسالة وانتصارها يعيش الرسول (ص) وأهل بيته البررة لأيام متتالية يتضورون جوعاً حيث يؤثرون الاخرين بأقراصهم، فيسجل الكتاب العزيز هذا التسامي بقوله سبحانه : **« ويطعمون الطعام على حبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً. . »** (سورة الانسان :٨).

فيما استرسل بعض القادة والزعماء في تحقيق شهواتهم واستأثروا بالاموال والمناصب على حساب حرمان الامة وظلمها وتلك حقيقة تصاحب كل حالات الاستئثار والظلم ولا تنفك عنها، حيث يؤكد ذلك امير المؤمنين (ع) في اكثر من نص وخطاب منها قوله : « ما جاع فقير إلّا بما متع به غني » وقوله (ع): « ما رأيت نعمة موفورة، إلّا وبجانبها حق مضيع »، نعم تلك الاثرة والاستئثار بحقوق الناس جرت الى التحلل من كثير من احكام الله تعالى والابتعاد عن روح الشريعة واهدافها السامية كما هي الحال ايام الحكمين الاموي والعباسي الذين مثلا أبشع أنواع النهم والاستئثار بحقوق الامة ومصالحها، وكذلك ايام الحكم العثماني المنهار ومن خلفه في الحكم على الوطن الاسلامي من الحكومات العلمانية والعميلة ممن تزكم الانوف من ذكر فضائحهم وجرائمهم في هذا المجال وفي غيره من مجالات الظلم والاستبداد، مما جسدوا فيه احط مراتب الحيوانات، وقد كان لسلوك هؤلاء القادة الظلمة والحكومات الجاهلية الجائرة من ادعياء الاسلام اسوأ الاثر في =

....

= نفوس الامة ، حيث ضجت الامة من ويلاتهم ، وتمنت زوالهم وانقراض دولهم ، بل واعانت على ذلك مما مهد السبيل لأعداء الاسلام من الكفار والصهاينة والصليبيين على تمزيق البلاد الاسلامية ، وغزوها واحتلالها ونهب خيراتها والطعن بالاسلام ككل وانكار عدالته وقدرته على تحقيق الحكم العادل المناسب لحاجات البشرية وكراماتها ولا يمكن تصور ان تلك العاهات والمظالم محصورة في حيز النظم والحكومات التي حكمت باسم الاسلام او في ارجاء الوطن الاسلامي وان الامم والشعوب الاخرى سالمة منه ، فهذا تصور خاطيء ، وحكم ظالم ، ودعوى مفضوحة الهزال .

فالمجتمعات الجاهلية القديمة والحديثة ذاقت من ويلات حكوماتها وحكامها وانظمتها من الجور والتعسف والاضطهاد والاستئثار بكافة حقوق البشرية وحرياتها وكراماتها ما يندى له جبين الانسانية ، ويعتصر قلب القارِيء والسامع المأ لتلك المعاناة والاضطهاد التاريخي البشع المرير ، وسجل تلك الامم والحكومات حافل بآلاف الشواهد والمآسي ، حيث ان ما في الحكومات والحكام الذين تسلطوا على الامة الاسلامية بالجور والظلم ، ذلك مرده لاتصال ادعياء الاسلام بتلك الحكومات والانظمة الجاهلية في اركان الارض ، وان ما بالمسلمين هو بعض ما علق بهم من اوظار الجاهلية ولحقهم من تقليد الكفار والطواغيت وحكام الجور والاستبداد والجميع يعرف كيف كانت ترزح البشرية تحت نير العبودية للفراعنة والاكاسرة والاباطرة واقطاعيات الهند والصين ودول اوروبا الشرقية ووالغربية وامريكا ، حتى ان كثيراً من بلدان اوروبا التي كانت تعيش العبودية تحت نير تلك الحكومات والحكام الجائرين كانوا يرسلون الوفود لدعوة المسلمين للدخول الى بلادهم وتخليصهم من ويلات حكامهم وحكوماتهم ، مما سهل دخول الاسلام الى بقاع نائية في العالم ،وفتحت كثير من تلك البلدان دون حرب ومعاناة ، وما أمر اسلام الاندلس ودخول ابنائها في الاسلام افواجاً ، وكذلك فارس والهند والصين ودول اسيوية واوربية اخرى ، إلّا دليلًا على ما كانت تعانيه من ظلم وجور حكامها وحكوماتها ورغبتها في التحلل من ربقة عبوديات تعسفية جائرة كانت =

= تمتلك الارض ومن عليها وتبيع البشر بأبخس الاثمان وتتاجر بملايين المستضعفين في سوق نخاسة دولية معترف بها ، ولا زال لهذا الظلم والاستبداد أثار سيئة مدمرة حتى انه اليوم اخذ اشكالاً ووسائل اخرى لا تقل بشاعة وظلماً عن عهد العبيد ومحاكم التفتيش ، وما تعانيه البشرية اليوم من ادعياء التحضر والمدنية وهو يعمق استرقاق البشرية والهيمنة عليها باسم العلم والصناعة ، حيث يعلن الاستكبار الغربي والشرقي حقه في فرض السيطرة على البشرية والتحكم بحرياتها وخيراتها ، ويعطي لنفسه الحق في التدخل والغزو والقرصنة لكافة بقاع الدنيا وخيراتها ، وفي الدنيا الف شاهد وشاهد على هذه الحقائق المرة والظلم البشع واضطهاد البشرية وحكمها بالقهر والاستئثار بكل خيراتها لحفنة من سادة الكرملن والبيت الابيض ومن سار في ركبهم من الحكام والحكومات العميلة دون الوقوف عند أي رادع انساني او قانون دولي ، وما محنة شعب فلسطين ، والعراق المظلوم ، وافغانستان والشعوب الاسلامية في آسيا وافريقيا إلاّ نماذج صارخة على ظلم الانسان لأخيه الانسان ، وما اضطهاد المسلمين في افريقيا السوداء ، وفي الهند ،وفي اندنوسيا والفلبين وفي بلدان الغرب واقطار اوروبا الشرقية وشمال افريقيا ، إلاّ نماذج للظلم والاضطهاد البشري الذي ينفذه الحكام والحكومات الجائرة باشراف ومباركة ودفع الصليبية والصهيونية العالمية ، مما دفع بالمستضعفين ، وخاصة المسلمين وبتأثير من روح الدين الاسلامي الحنيف واحكامه الرافضة للظلم والاستبداد ، حيث تحركت هذه الشعوب في صحوتها الاسلامية المباركة ، وخرجت من سكوتها القاتل وهي اليوم تصارع بضراوة قوى الكفر والاستبداد وتجاهد في سبيل اعادة حرية الانسان وكرامته وامنه واستقراره ، وتوجت هذه الصحوة الاسلامية المباركة بانتصار الاسلام في اجزاء عزيزة هامة والاسلام حين نهى عن الاستئثار واحتكار المنافع والمصالح للحكام والمتنفذين ،واعتبار ذلك عاهة وسلوكاً مذموماً ، قابله بالحث على الايثار الذي هو أعلى درجات الايمان ومن أجلّ الصفات التي مدح الله سبحانه بها عباده الصالحين فقال : **« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »** (الحشر : ٩).

السيطرة على النفس

املك حمية انفك ، وسورة حدك ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك ، واحترس من كل ذلك بكف البادرة ، وتأخير السطوة ، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك(٦٦).

= ثم يشير (ع) الى عاهة اخرى من صفات الرجال : « والاعتراض فيما لا يعنيك ، والتغابي عما تعني به مما قد وضح لعيون الناظرين » اي التدخل فيما لا يعنيك ، او التغابي والاعراض وتجاهل ما يعنيك من الامور ، خاصة في الامور التي يلاحظها عامة الناظرين ويحاسب عليها ويذم ويمدح على أساسها ، وهي مما تسالم عليه كافة العقلاء ، وجميل ما ورد من الحكم والامثال عن اهل البيت (ع) وغيرهم من عقلاء البشر ، مثل « من تدخل فيما لا يعنيه حصد ما لا يرضيه »، وبالمقابل فان تسامح الانسان بما يعنيه من الامور سيحمله تبعة الوهن والحسرة بعد فوات الاوان وشدة الحساب في الدنيا والآخرة ، وذلك نتيجة حتمية لكل المتهاونين بواجباتهم ، المسوفين لاعمالهم ولما ينبغي المبادرة له ، ومعلوم مدى ما تتركه هذه التهاونات والاهمالات ، وما يعقبها من الندم على التفريط والمبادرة بالاعمال ، واغتنام الفرص وأخذ الحزم في الامور.

(٦٦) « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » (سورة النجم :٣٢).

ويقول سبحانه : « وما ابريء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي » =

= (سورة يوسف : ٥٣) وفي الحديث الشريف : « أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه »[1] ومن ابرز مساويء النفس المهلكة المردية : الاعتداد بها والانقياد لها حيث تورد صاحبها المهالك وتحمله على احط الصفات وتورطه في اعقد المشاكل التي تضر بالدين والدنيا .

من هنا جاء اهتمام الكتب الالهية وعلى رأسها القرآن الكريم ، ووصايا وحكميات الرسل والحكماء والفلاسفة ، مشيرين الى مخاطر النفس ومنزلقاتها ونقاط الضعف فيها ، وان لها اقساماً ، ومميزات وتحتاج في الاستقامة الى حزم ووعي وتقوى ، وامامنا الامثال والدروس والعبر في الخير والشر بمجالات النفس والاعداد الغفيرة من النماذج والصور لبشرٍ انقادوا لحمية انفسهم ، حيث اسرعوا بالغضب والفتك والعقوبة باليد واللسان ولم يفسحوا المجال لعقولهم أن تتصرف وتتحكم بل اطلقوا الحكم للنفس ومفردات سيئاتها ، فتحكمت النفس بالجوارح وحركتها في أعمال طائشة أدت الى الدمار والهلكة والخسران الكبير. فيما تحكم الابرار في نفوسهم وحكموا عقولهم التي تقود للخير والهدى والرشاد وتروض الجوارح للخوف من الله ، وتدبر عواقب الامور ، فكان عاقبة امرهم النجاة والهدى والسلامة في الدين والدنيا .

لهذا نجد امير المؤمنين (ع) يكرر الاهتمام والحذر من مهالك النفس وامراضها ومنها : حمية الجاهلية التي تحركها الانفة والاعتداد بالرأي والنسب والمنصب ، وتذكي في الانسان النوازع الشريرة وتحمله على اقتراف الجرائم والمنكرات ورذائل الاعمال ، ويعدد علي (ع) في هذا الفصل من عهده الشريف ومنهجه الحكيم صنوف آفات النفس ومواطن الهلكة فيها المتمثلة بسورة الغضب والحدة ، وغضب المخلوقين كما يعرفه بعض العلماء ، هو عبارة عن غليان دم القلب لارادة الانتقام ، وقالوا : غضب المخلوقين فمنه محمود وهو ما كان في جانب الدين والحق والمذموم ما كان في خلافه . وفي الخبر : « الغضب شعلة من نار تلقى صاحبها في النار » لأنه يحمل صاحبه=

(١) سفينة البحار ، ج٢ ص٦٠٣.

الاعتبـار والتأسـي

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة

= على الدخول في المأثم ، وفي حديث عن الامام الباقر (ع): « ان الله خلق الجنة قبل ان يخلق النار . . » - إلى أن قال (ع) - : « وخلق الرحمة قبل ان يخلق الغضب »[1]. من هنا جاءت وصية امير المؤمنين (ع) بوجوب ضبط النفس والتحكم فيها « ثم املك حمية . . » وفي نص آخر له (ع): « وانما هي نفسي أروضها بالتقوى » نعم بالتقوى للتثبت من المواقف والتحرز من الهلكات .

ثم يصف (ع) الدواء لذلك الداء والعلاج العملي الناجح ، وكثيراً ما تفتك بالحكام والولاة والمتمكنين من التسرع بالعقوبة ، فيقول (ع): « واحترس من كل ذلك بكف البادرة » اي بلجم وايقاف مبادرات الغضب والفتك ، ويتم ذلك بالتريث والصبر ، « وتأخير السطوة » لأن للتسرع في هذه المواقف أخطار مدمرة .

ثم يشير (ع) بعد ذكر هذه الاسس التربوية الحكيمة لمعالجة هذه الآفات : « وارفع بصرك الى السماء عندما يحضرك منه ، حتى يسكن غضبك ، فتملك الاختيار » اي تبقى الفرصة امامك ، وتتجه نحو افضل الخيارات واحسن الحلول لما عرض لك من المشاكل . ثم يقول (ع) ان التمكن وضبط النفس في تلك الحالات ليس من الامور الهينة ، ولا يرقى لتلك المرتبة الفاضلة من =

(١) مجمع البيان / ج٢ ص١٣٣ .

عادلة ، أو سنة فاضلة ، أو أثر عن نبينا (ص) أو فريضة في كتاب الله فتقتدى بما شاهدت ، مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا ، واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها(٦٧).

= الاعتدال وضبط النفس، إلاّ من كبرت همومه بذكر الله عز وجل ، وتذكر المعاد وعواقب الظلم .

ويروى ان احد الملوك كان قد رتب شخصاً ورعاً عارفاً يراقب مجلس الملك واحكامه ، فاذا غضب الملك على انسان واراد البطش به نبهه ذلك العالم منادياً فيه : إنما أنت بشر ،فارحم من في الارض يرحمك من في السماء(١).

(٦٧) في ختام هذا العهد يعيد أمير المؤمنين (ع) تأكيد ما سبق أن أشار اليه ، وان من أفضل ما يزيـن ولاة الامور وحكام الامة وزعماءها ، أن يقرأ سير الماضين ويتابع اخبار امثاله من القادة والزعماء ومناهج الحكومات وان يترسم خطى الصالحين « من حكومة عادلة أو سنة فاضلة » وكثيراً ما حث القرآن الكريم على قراءة التاريخ والتفكر بما حل بالأمم ، ومناهج الرسل والرساليين وخاصة « ما اؤثر عن نبينا (ص) » « **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** » (الاحزاب : ٢١) ورغبة من أمير المؤمنين (ع) في دفع الولاة والحكام وسائر فصائل الامة لمزيد من العلم وتحري الحقائق وتتبع الكتاب والسنّة المطهرة ، نراه يؤكد في أكثر من حديث وخطبة متبنيات هذا الفصل ، معبراً عن تواضعه (ع) وعدم ادعائه بالاحاطة والالمام بجميع الامور تاركاً للولاة والحكام مساحة التحرر والاجتهاد وبذل أقصى التوسع لتحري الحقائق في خدمة الامة والبلاد، معتبراً ان هذه النصائح والوصايا هي واجبات ومهام رئيسية يجب على أئمة المسلمين وولاة الامر فيهم الاجتهاد في نشرها وتعميمها وتحميلهم المسؤولية كاملة تجاه كل تخلف او تقصير او تجاوز ، وان لامام المسلمين بعد تعميم هذه الاوامر والاحكام ان يحاسب ويعاقب على أساسها =

---

(١) شرح ابن ابي الحديد - ج١٧ ص١١٧ .

عليّ يثمّن عهده ويختمه

وأنا اسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ، ان يوفقني ، وإياك ، لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه ، مع حسن الثناء في العباد ، وجميل الاثر في البلاد ، وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ، « إنا إليه راجعون »(أ) والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً. والسلام(٦٨).

= قاطعاً بذلك عذر كل معتذر .

كما يشير (ع) من منطلق اخلاقي تربوي الى ان الحكام والولاة سيستعينون بتذكر هذه الاوامر والوصايا على ردع نفوسهم عن التجاوز على الحق او التهاون فيه « لكي لا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها » اي لا تبقي لنفسك حجة ومبرراً لتجاوز الحق او التهاون به .

(٦٨) « ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » (المطففين : ٢٦) .

لقد ختم أمير المؤمنين (ع) عهده ودستوره الخالد الذي ضمنه عصارة قلبه الطاهر وايمانه الخالص وحرصه على مصالح البلاد والعباد وتجاربـه الرائعة ، بالاضافة الى ما وهبه الله سبحانه من الفيوضات الالهية والنفحات المحمدية ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد غذته يد الرحمة ، ورضع من ثدي الايمان ، =

(أ) وفي رواية (وانا اليه راغبون) .

فكان أول مسلم على وجه الارض يستجيب للدعوة المحمدية عن وعي وتدبر وايمان معبراً عن عمق ايماني ، ووعي رسالي ، وشعور بالمسؤولية ، واجتهاد لخدمة البشرية.

وماهذه النصوص القانونية إلاّ غيض من فيض هذا الرسالي الفريد والنسخة الناصعة النيرة للاسلام العظيم ، فان أمير المؤمنين لم يشأ ان يفارق واليه وممثله وعامة المسلمين إلاّ ويسلحهم بأفضل الاسلحة ، من التضرع الى الله العظيم ، والدعوة للتوفيق والتسديد ، والحث على مزيد الاحسان للبشر واصطناع المعروف ، وتأسيس السنة الصالحة ، والمشاريع النافعة « إنما المرء حديثاً بعده ، فكن حديثاً حسناً لمن روى ».

وفي غمرة هذا الفيض المتدفق بصنوف العلوم والمعارف والاداب ، والداعي للفخر والاعتزاز ، والمعبر عن تبير الثقة بالدين العظيم وبالاهداف السامية ، لا تغيب عن بال أمير المؤمنين امنية الابرار : « وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة » وهل تُرد لعلي دعوة ، وهل تخيب له عند مولاه طلبة ، واذا بها لا تبتعد كثيراً حيث ينعى الناعي استشهاد بطل الجهاد والعقيدة والتضحية مالك الاشتر على يد معاوية وعملائه ، وفي حدود عام تقريباً يلتحق القائد والمربي بتلميذه البار، حيث يستشهد علي (ع) في شهر الله وفي بيت الله ، مردداً « فزت ورب الكعبة » في عناق تاريخي بين المباديء والارواح ، عبر خندق المعاناة والجهاد المرير الذي خاضه البطل الامام ، وربى عليه خيرة الرجال أمثال مالك وعمار والهجري والتمار... وبنهاية هذا الفصل يكون العهد العلوي الذي املاه أمير المؤمنين وكتبه عندما بعث مالك الاشتر والياً على مصر ، قد ختم حسب اشهر الروايات واكثر النسخ ، خاصة :

١ ـ برواية ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة .

٢ ـ ورواية كمال الدين لميثم ابن علي البحراني المتوفي سنة ٦٧٩ هجرية في شرحه لنهج البلاغة .

٣ ـ وفي مخطوطة نهج البلاغة لمكتبة السيد المرعشي في قم بايران.

. . .   .

= ٤ ـ وفي ما حققه صبحي الصالح في نهج البلاغة المبوب والمقسم حديثاً .

٥ ـ وما حققه السيد محسن الامين في موسوعته « اعيان الشيعة » ج١ ص٥٤٥ .

٦ ـ وما حققه في المقام السيد عبد الزهراء الحسيني في كتابه « مصادر نهج البلاغة واسانيده » .

إلا أنه وقع بيدي فصل أخير للعهد بنص يختلف عما اوردناه ، خاصة في السطور الاخيرة وفيها من التقديم والتأخير والاضافة ما لم نجده في النصوص السابقة ، ولطرافة ما ورد في الخاتمة من معان سامية ، نورد ما جاء مختلفاً عن النص المتواتر جمعاً للفائدة ، حيث وجدنا خاتمته بالشكل التالي :

(ثم اعلم انه قد جمع في هذا العهد من صنوف ما لم آلك فيه رشداً ، إن احب الله ارشادك وتوفيقك ، ان تتذكر ما كان من كل ما شاهدت ، فتكون ولايتك هذه من حكومة عادلة او سنة فاضلة او اثر عن نبيك (ص) او فريضة في كتاب الله ، فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به منها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا ، واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها ، فليس يعصم من السوء ، ولا يوف للخير إلاّ الله جل ثناؤه .

وقد كان مما عهد إليَّ رسول الله (ص) في وصايته تحضيضاً على الصلاة والزكاة ، وما ملكت ايمانكم ، فبذلك اختم لك ما عهدت ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، وأنا اسأل الله سعة رحمته وعظيم مواهبه ، وقدرته على اعطاء كل رغبة ، ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه ، من حسن الثناء في العباد ، وحسن الاثر في البلاد ، وتمام النعمة وتضعيف الكرامة .

وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ، وانا لله وانا اليه راجعون ، والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين) . =

....

= هذا آخر ما توصلنا اليه بجهدنا القاصر في تحقيق نص العهد ، وضبط الفاظه وكلماته ونسخه . وليتنا نرى اليوم هذا العهد الشريف احد أهم المصادر التشريعية للدساتير والحكومات والحكام الذين ينتسبون للاسلام.

ولكن من محنة الحق الصراح في محنته التاريخية ، ان يتعرض هذا العهد الشريف للحرب والتنكر من أدعياء الاسلام وحكام الجور والضلال ، رعباً وخوفاً من نصوصه ومضامينه ، وطمساً لمعالم الحق وانكاراً لدور الاسلام في السياسة وادارة شؤون الامة والبشرية ، فجرت همسات وملاحظات تنكر او تشكك في صحة نسبة هذا العهد الشريف لعلي امير المؤمنين (ع)، وقد يكون بعض المشككين بحسن نية ، وطلب تثبت إلاّ أن وراء الاكمة ما وراءها.

والشك الحقيقي ومنطلقاته واهدافه امتداد للشك وانكار كل ما نسب لامير المؤمنين في نهج البلاغة وغيره ، والقصد من ذلك التشكيك بما احتوى النهج وهذا العهد ، ولغرض الغاء افكاره ومدرسته السياسية الاسلامية المتكاملة ، تمهيداً لالغاء دور الامام العادل وموقعه الريادي الخالد واسدال الستار على كنوز خطبه وعهوده ووصاياه ، وما فيها من أرقام وحقائق تدين الكفر وتصفع الانحراف عن الاسلام وتعري المنافقين والمارقين والقاسطين ، الحاكمين بغير ما أنزل الله ، الغاصبين للحكم والحكومات الاسلامية ، ولكن الله يأبى إلاّ ان يتم نوره فقد انبرى عبر التاريخ جمع من العلماءوالمحققين الذين بذلوا أضخم الجهود ، وحققوا فيما حققوا من كلام اميرالمؤمنين (ع) وعهوده ووصياه مما كشف اللثام ، وبدد الشبه ، فأثبتوا بما لا مزيد عليه أن هذا العهد الشريف هو من كلام مولانا أمير المؤمنين علي (ع) رواه عنه المحب والمبغض . وصححه كل من صحح وأقرّ سند بقية نهج البلاغة ومستدركاته من كبار العلماء والمحققين ، وكان ممن اعتنى بتصحيح سند هذا العهد وتحقيق نصوصه جمع من العلماء والمحققين من المتأخرين ذكرهم العلامة المحقق السيد عبد الزهراء الحسيني حفظه الله تعالى في كتابه « مصادر نهج البلاغة وأسانيده » ثم =

= الحقه بفصل حقق فيه نصوص العهد واسانيده وأدرج فيه بعضاً مما قاله العلماء والمفكرون في هذا العهد الشريف ، حيث قال : هذا العهد من جملة مآثر امير المؤمنين (ع) التي لا تحصى ولا تستقصى ، وهو من أطول عهوده وأعظمها شأناً . . ، ثم أورد فقرات مما قاله بعض المؤلفين والكتاب ، وان هذا العهد الشريف والدستور الخالد يحتوي على أهم القواعد والاصول التي تتعلق بالقضاء والقضاة ، وأدارة الحكم في الاسلام ، وقرر فيه قواعد مهمة في التضامن الاجتماعي ، بل التعاون الانساني ، لاقامة العدل وحسن الادارة والسياسة وبيان صلاح الهيئة الاجتماعية ، وبيان الخراج وأهميته ، وكيف يجب أن تكون المعاملة فيه والنظر في عمارة الارض ، وما يتعلق بذلك من أصول العمران ، وما فيه صلاح البلاد ، ومنابع الثروة ، وما للتجارة والصناعة من الاثر في حياة الامة . . الى غير ذلك من القواعد الهامة التي تهدف الى اسمى هدف في العمل الاسلامي[١].

ويقول المحقق الطهراني في الذريعة : وقد وقف عنده المشرعون ورجال القانون في الشرق والغرب منذ العهود السالفة ، وحتى يوم الناس هذا ، موقف الاكبار والاعجاب والتعظيم وقد درست على ضوئه بعض القوانين والنظم الاوربية الحديثة وقورنت به فظهرت ميزته وأفضليته ، ولم يوجد له نظير أو شبيه بل وان معظم دساتير الدول وقوانين الممالك مأخوذة منه وناسجة على منواله[٢].

وقال ابن ابي الحديد المعتزلي : الاليق أن يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه ويفتن به ، ويقضي بقضاياه واحكامه هو عهد علي (ع) الى الاشتر ، فإنه نسيج وحده ومنه تعلم الناس الاداب والقضايا والاحكام والسياسة وهذا العهد صار الى معاوية لما سمّ الاشتر ومات قبل وصوله[١]. =

---

(١) الامام الصادق والمذاهب الاربعة ج٢ ص٢٨٠.

(٢) الذريعة في تصانيف الشيعة للطهراني ج١٣ ص٣٧٣.

(١) مصادر نهج البلاغة وأسانيده للسيد عبد الزهراء الحسيني ج٣ ص٤٢٤.

ثم أضاف السيد عبد الزهراء ، معقباً على كلام ابن أبي الحديد بقوله : ذكروا ذلك بعد أن نقل أن عهده (ع) الى محمد بن ابي بكر لما ولاه مصر ، كان من جملة الكتب التي أخذها ابن العاص لما قتل محمد ، فكان معاوية ينظر هذا الكتاب ويتعجب ،وان تلك الكتب بقيت في خزائن بني امية حتى ولي عمر بن عبد العزيز ، فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب (ع)[٢].

هذا هو العهد ، ولا زال مقلعاً ثرّاً ، يرفد المسيرة ، ويغذي الاجيال ، ويمد القادة والحكام بأعظم الوصايا وأهم الملاحظات لهذا ترى ان هذا العهد يستأثر باهتمام كبار الكتاب والمؤلفين ، حيث تباروا له بالضبط والشرح والتعليق والنظم شعراً . . ، ورغم الفاصل الزمني واختلاف كثير من الوسائل وصيغ الحياة السياسية والادارية والاجتماعية ، فالعهد حي طري ، يمتلك مؤهلات الصلاح والديمومة لكل زمان ومكان ، شأنه شأن بقية النصوص الاسلامية التي أريد لها الدوام والشمولية .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين. وأصحابه الصالحين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

محمد باقر الناصري

---

(٢) مصادر نهج البلاغة واسانيده للسيد عبد الزهراء الحسيني ج٣ ص٤٢٤.

أهم مصادر البحث

القرآن الكريم.
نهج البلاغة لابن ابي الحديد .
نهج البلاغة ـ لابن ميثم.
نهج البلاغة لصبحي الصالح.
كتاب الرجال للنجاشي.
اعيان الشيعة للسيد محسن الامين.
الراعي والرعية لتوفيق الفكيكي.
الحاكم في المستدرك على الصحيحين.
تفسير الميزان للسيد الطباطبائي.
تفسير التبيان للشيخ الطوسي.
تفسير مجمع البيان للطبرسي.
تفسير الفخر الرازي.
مجمع البحرين في اللغة للطريحي.
في ظلال القرآن للسيد قطب.
وسائل الشيعة للحر العاملي.
بحار الانوار للمجلسي.

سفينة البحار للمحدث الشيخ عباس القمي .
زبدة الاحكام للامام الخميني .
المسائل المنتخبة للإمام الخوئي .
الفتاوى الواضحة للشهيد الصدر .
المقدمة في الاجتماع لعبد الفتاح ابراهيم .
أصول الكافي للكليني .
صحيح البخاري المجلد الثالث .
الترمذي المجلد الثالث .
من لا يحضره الفقيه .
المحلى لابن حزم المجلد السادس
دعائم الاسلام المجلد الثاني .
النهاية للشيخ الطوسي .
لسان العرب لابن منظور .
الامام الصادق والمذاهب الاربعة للشيخ أسد حيدر .
مصادر نهج البلاغة وأسانيده للسيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب .

بالاضافة للافادة من كتب وموسوعات علمية اخرى جزى الله مؤلفيها خير الجزاء .

صدرت للمؤلف الكتب التالية :

١ ـ دراسات في التاريخ الاسلامي ـ طبع بيروت. عدة طبعات.
٢ ـ مع الامام علي في عهده لمالك طبعة اولى مختصرة عام ١٩٧٥ ـ طبع بيروت.
٣ ـ مع الرسول الاعظم (ص) في حكمه ووصاياه.
٤ ـ مختصر مجمع البيان في تفسير القرآن بثلاث مجلدات طبع ببيروت لعدة طبعات.
٥ ـ محاضرات في الصحوة الاسلامية الحلقة الاولى ـ الاسلام والقومية.
٦ ـ محاضرات في الصحوة الاسلامية ـ الحلقة الثانية ـ من معالم الفكر السياسي في الاسلام.
٧ ـ محاضرات في الصحوة الاسلامية ـ الحلقة الثالثة ـ هذا الكتاب علي ونظام الحكم في الاسلام.

وتوجد عدة مواضيع وبحوث لا زالت مخطوطة تنتظر الطبع.
منها الحلقة الرابعة من المحاضرات (الاسلام والتحديات المعاصرة).



الفهرس









